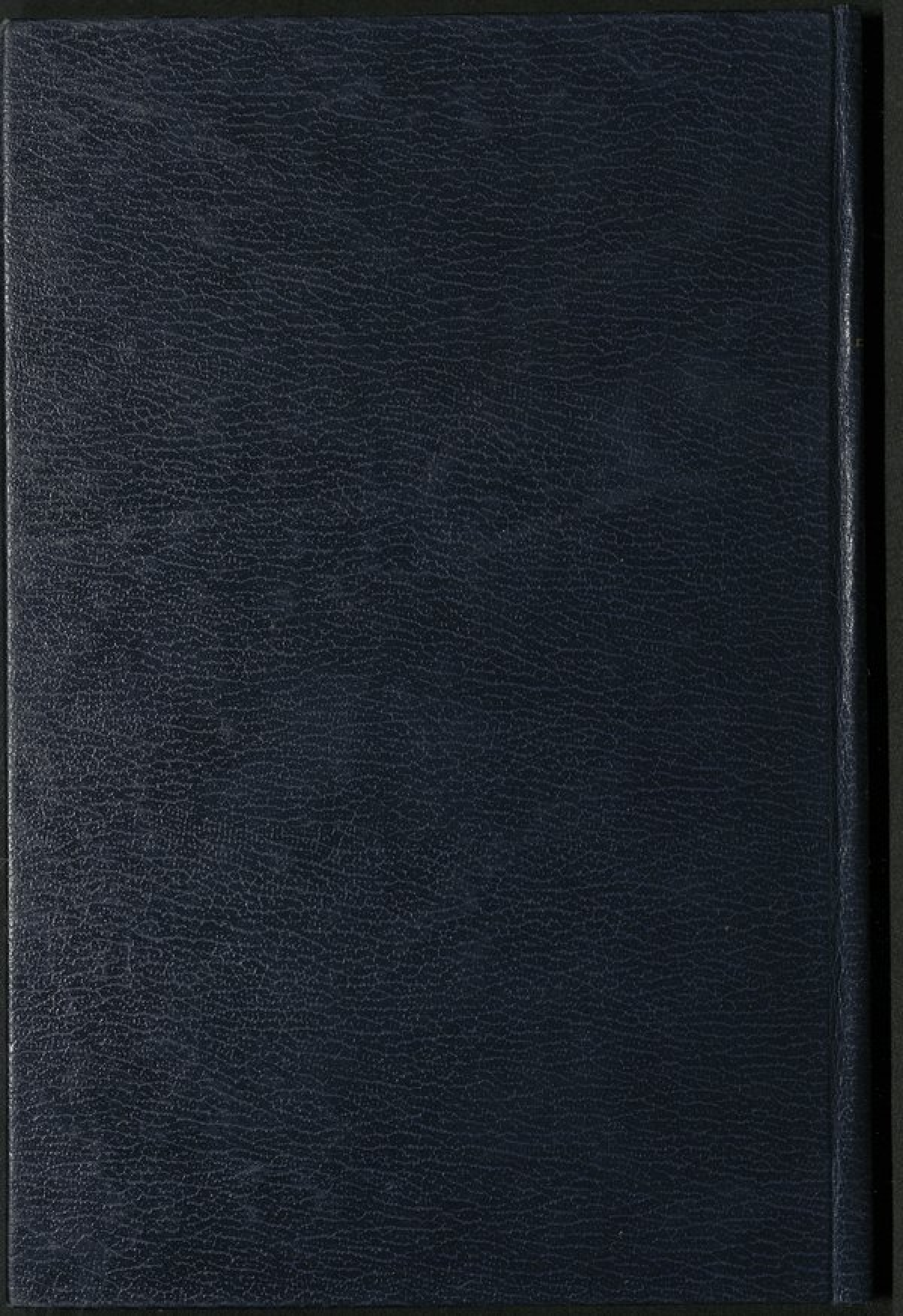
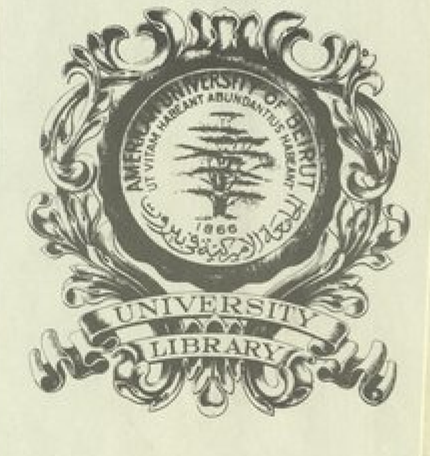
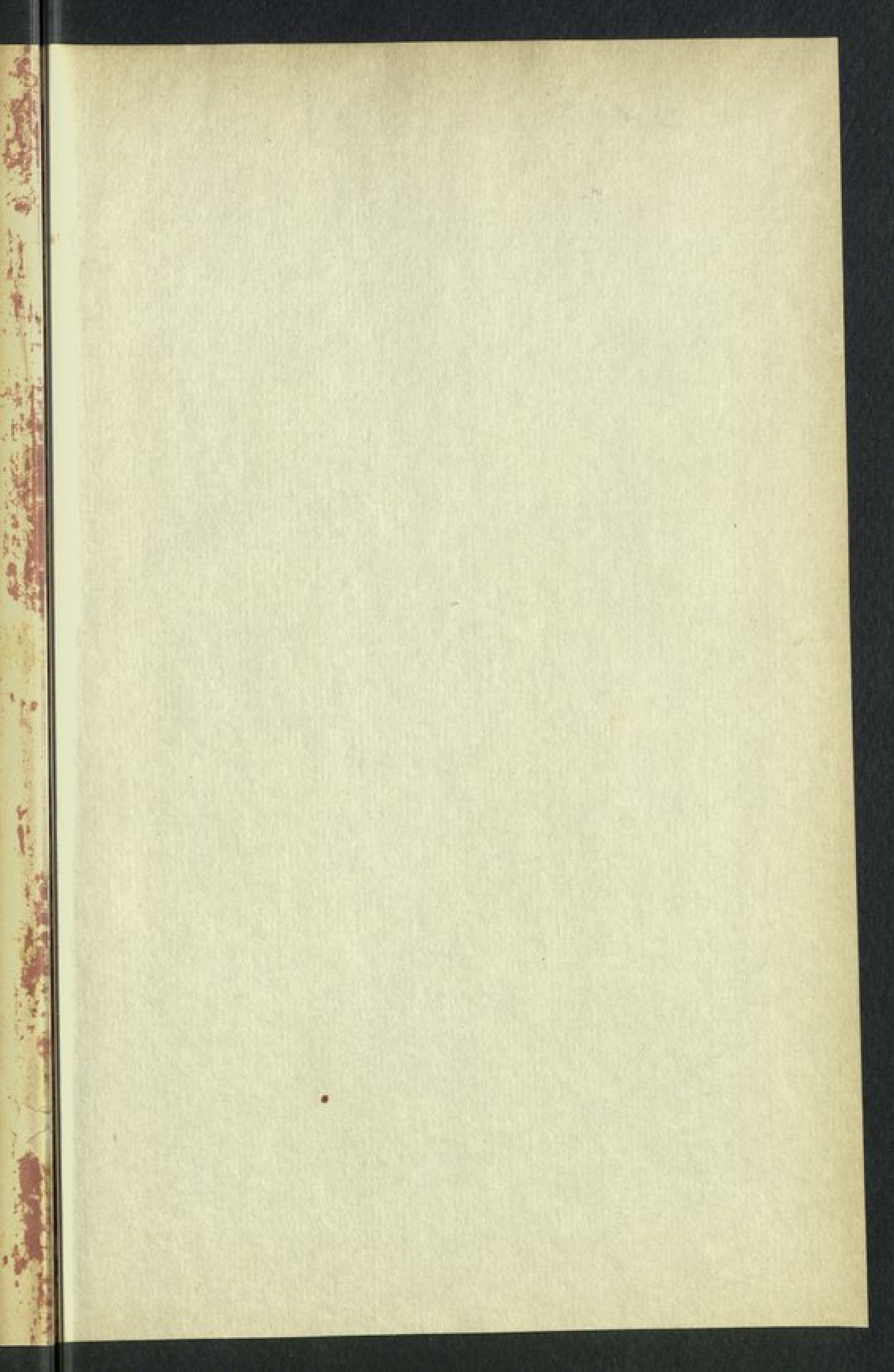



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



اليد المارونية

في

ارتداد الكنائس الشرقية

بحث خطير

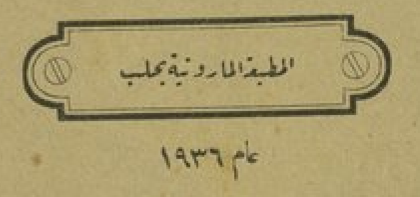
وضعه في الافرنسية وطبعه عام ١٩٣٥

حضرة العالم البحاثة الخوري بطرس روفايل الماروني

ترجمه الى العربية وزاد بعض حواشيه

القس اغناطيوس طنوس الخوري من كفر شخنا

الراهب اللبناني الماروني



عام ١٩٣٦

لا مانع من طبعه

بكركي في ١٣ حزيران ١٩٣٤

الحقير

انطون بطرس عريضه

بطريرك انطاكيه وسائر المشرق

رقيم صاحب القداسة

البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً

(عن الافرنسية)

الى حضرة الاب المؤلف

دولة الفاتيكان ١٧ ايار ١٩٣٥ — وزارة الدولة البابوية

عدد ١٤٤،٦٣٧

ايها الاب الجزيل الاحترام

يلذني ان انهي اليكم ان الاب الاقدس قد تقبل بعطف سام ما ابديتم له من احترام وتعلق برفعكم اليه مؤلفكم «Le Rôle des Maronites...» فقداسته يشكر لكم تقدمتكم والفكرة اللطيفة التي اوحتها. وعربوناً لنعم السماء يمنحكم من صميم الفؤاد بركته الرسولية.

ويلذني ايضاً ان اغتنم هذه المؤاتية فامحض حضرتكم فائق الشكر على تخصيصكم اياي بنسخة من هذا الأثر الجليل. واؤكد لحضرتكم ايها الاب الوافر الاحترام ما بي من تفانٍ واخلاص لحضرتكم.

الكردينال باشيللي

رقيم مجمع الكنائس الشرقية المقدس
(بالايطالية)

الى حضرة الاب المؤلف

الفاتيكان في ٣ ايار سنة ١٩٣٥ عدد ٣٥—٢٧٥

ايها الاب الجزيل الاحترام

يسرني اعلام حضرتكم بقبولي كتابكم الموسوم « اليد المارونية ... » اجل ان تقدمتكم هذه اصابت من قلبي الوقع اللذيذ للغاية . فاشكركم جزيلاً على هذه العاطفة اللطيفة . واستفيد من هذا الظرف فازفكم اعتباري الفائق لحضرتكم .

المخلص لكم شديداً

الكردينال لويجي سنشيرو — امين الاسرار

يوسف شيزاريني — معاون

اهداء الكتاب

كثيراً ما يحير المؤلفون ويترددون ، عند النجاز من وضع او اخراج آثارهم القلمية، ومنتوجات ادمغتهم ، وعصارات افئدتهم . ويستكدون المواهب والقوى، ناشدين السبيل الى شخصية عالية او منصب رفيع يرونه جديراً باهداء اثرهم اليه ، تقوم بينه وبين الهدية مراعاة النظير صحيحة سالمة من كل وجه . فيتقون اللوم والتثريب . ولكن منهم من يفشلون في وزن الجدارة وانتقاء الهدف، فتجيء الكفة راجحة من احدى الناحيتين ويقوم الاضطراب والخلل بفسدان الروعة والغاية على العمل ، ويطرح الآمال مطارح الضياع والندم .

اما مؤلف هذا الكتاب فلم يكن للحيرة والتردد من سبيل اليه ، عند انجاز اثره هذا . بل ارشدته الفطرة والمنطق ، في واقع الحال ، الى اصابة المرمى باهداء اثره الجليل الى شخصية هي وحدها قمينة به والحق يقال .

تلك الشخصية هي ذلك المولى الخطير ، والسيد المقدام الجليل ، والعماد المفدى عميد البلاد ، وحامي ذمارها الاوحد ، البطريرك الكبير

مار انطون بطرس عريضه

ايها البطريرك النبيل العظيم

على غرار المؤلف يطبع المترجم . ويرمي بقلمه وجهاده ، وعواطفه واخلاصه بين يديك وهو سعيد . ويتقدم الى مقامك الرفيع بهذا الكتاب ، امجد واعظم صفحة ، من تاريخ الامة المارونية ، حيال الكثلكة وامها الشرقية ، مأخوذاً بعوامل التهيب والاعجاب . فيستندي يمينك البركة ، ونظرك العطف ، ولسانك الدعاء والرضى ، وقلبك الحنان والارتياح . وذلك جل ما يتمنى عليك ايها الحبر الخطير ، ايدك الله وانسأ بحياتك الى ابعد الآجال ، وهو تعالى ولي الاجابة واليه الانابة والسلام .

ولد غبطتكم

القس اغناطيوس طنوس الخوري

د . ل .
من قرية كفرشخنا

كلمة للمترجم

ان للاجيال معانيها ، وللسنين اصداءها . تقرأ بين جنباتها تواريخ الشعوب وآثار الامم مسطورة بكثير من الدماء وغزير الدموع . ولا بد ابحث الآثار وتدبر التواريخ من نظر اعمق من نظر العين ، وتثبت ابعد من وثبة الفكر ، ليستطيع العقل ان يواكب السنين ويمشي خلال الاجيال .

ومن وقف على آثار الامة المارونية ، وتاريخها العريق المجيد ، وقرأ من وراء سطوره قصص الدهور السحيقة والمتوسطة والحديثة ، وجدها تنطوي تحت شطرين : شطر قوامه حب الكثلكة والتعلق الشديد باسيادها البابوات ، عن اخلاص لم يعرف التاريخ له نداً . وشطر منطوقه التفاني في سبيل الكثلكة بالعمل على بث روحها وزرع بذارها في قلوب الطوائف المنفصلة عنها ، وتسهيل المهمة الرسولية على المرسلين الافرنج ، بل مشاطرتهم ذلك ، لنشر لواء البابا على اقطار المشرق .

اما الشطر الاول فتجند له الاعلام الغابرون كالدويهي وفرحات والسمعاني ، ثم مسعد والدبس ودريان وغيرهم كثير . واشبعوه الدرس والتمحيص بما اوتوا من غزارة العلم ووفرة النبوغ . فاثبتوا للملا ان

المارونية ، في ربوع المشرق ، هي جرثومة الكثلكة الاصلية ونواتها الاصيلة المتحدرة من صلب الكنيسة الرومانية ، قبل الانفصال الارثوذكسي ، حتى انه حين كان المئون من رهبان مارون الابطال يؤيدون عقيدة رومية في المجمع الخلكيدوني ، ويدافعون عنها ، مستشهدين لاجلها بسفك دمائهم ، يروون بها سهول سورية الفسيحة ، فتغص السهول ، وتفيض الدماء مهدورة ، يستعين بها « العاصي » على ازدياد فيضانه وشدة جريانه ، ويستبدل بحمرتها القانية صبغة مياهه الزرقاء ؛ في ذلك الحين كانت ديار المغرب ، في معظم ارجائها الاوروبية ، وجميع اقطارها الاميركية ، مسرحاً ومرقداً لظلام الوثنية ، وضباب الجهل والهمجية ، لم تستضيء سماواتها بعد بنور الانجيل ، ولم تعرف شعوبها اسم المسيح .

وظلت المارونية ثابتة في الكثلكة « كالبقية التي لم تسجد للبعل » (١) بالرغم مما حولها من بؤر الكفر والالحاد ، تحيط بها الارتقات من كل جانب ، وتهاجمها على الدوام ، لتنتزع من صدورها الايمان ، وتخرجها عن عقيدتها الرومانية . فكان نصيبها الفشل والخذلان . وكان موقف الموارنة ثابتاً بنعمة الله وشريفاً سالماً كأنهم الفتية الثلاثة في اتون بابل ، لا ينالهم اللهيب المضطرم ، وهم في جوفه واقفون ، او « كأنهم الورديين

---

(١) من براءة البابا بيوس الرابع الصادرة الى بطريرك الموارنة موسى سعاده العكاري ، في اول ايلول عام ١٥٦٢

الاشواك، والصخرة الراسية في اللجة ... » (١) .

وقد طالما مدح المارونية على ذلك البابوات والملوك، وذكروه لها في معظم السوانح واهم الظروف. نخص بالذكر ما جاء من ذلك اخيراً في براءة البابا لاون ١٣، الصادرة في ٣٠ ت٢ عام ١٨٩١، بشأن تجديد المدرسة المارونية في رومة، وهو: « ... على ان لنا ثمة داعياً آخر هو حبنا الابوي لجميع الطوائف الشرقية وبالاولى الموارنة الذين قداستمسكوا دائماً بايمان اجدادهم وحافظوا عليه بعزم ثابت وتفاضلوا في نشره وبثه ... » (٢). ثم ما جاء ايضاً في محادثة فرنسوا جوزاف امبراطور النمسة، مع البطريرك الحويك (عهد كان مطراناً بعد) في مواجهة خصوصية جرت في ١٨ ك١ سنة ١٨٩١: قال: « ... وانني مسرور جداً لرؤيتكم وموقن ان الموارنة ثبتوا دائماً على الايمان الكاثوليكي ... » (٣).

ودعم اولئك الجهابذة الافذاذ قضيتهم هذه بما اقتضى من قوة الحجة وسداد النظر، واصالة الرأي. واظهروها للابصار بريئة من الشبهات لا

---

(١) من براءة البابا بولس الخامس الصادرة الى بطريرك الموارنة يوسف الرزي، في ١٣ ك١ عام ١٦٠٦. ثم من براءة البابا اكليمنضوس الثاني عشر الموجهة الى البطريرك الماروني يوسف ضرغام الخازن، في ٢١ ت٢ عام ١٧٣٥

(٢) طالع كتاب « دلائل العناية الصمدانية » في ترجمة البطريرك الياس الحويك، للخوري ابراهيم حرفوش، وجه ١٧٩

(٣) الكتاب المذكور عينه، صفحة ١٨٨

يستطيع احد رميها بالزيوف والزيغان . وجعلوها اجلى من عين الشمس في رائعة النهار ، واثبت من اساسات الجبال ، كأنها صخرة ذلك الشاعر القائل :

« كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... »

اما الشطر الثاني فظلت نقاطه ومعالمه مبعثرة ، ويا للأسف ، بين تضاعيف الكتب وثنايا المخطوطات ، في مكاتب الشرق والغرب ، وفي مختلف لغاتهما ؛ وقلّ ان يصطدم بذكرها باحث او يعثر مؤلف ، حتى هذا العصر . فأبه لهذا الواجب الهام حضرة المؤلف العلامة الخوري بطرس دوفائيل ، استاذ الجامعة اليسوعية في بيروت . فأقبل على تأديته وسد ثلمته ، وفي رأسه وثبة تسير وراء السطور والدهور ، وجدّ ينقب عن ذلك الشتات في مكاتب اوربا ومصر ولبنان وغيرها ، باذلاً عرق القربة ودم الجنان ، وابى على جفنه الكرى وقلبه الراحة ، حتى جمع تلك المعلومات عن وثائقها الاصلية ، وسبكها في سفر افرنسي العبارة وسمه بعنوان « Le rôle des Maronites dans le retour des Eglises orientales » اطلع به الغرب على ان امة مارون اتت في جنب الكثلكة ومرسليها ما جعلها اماً تولدت من كاثوليكيتها بقية الطوائف ، المرتدةالى حظيرة رومية ، وقد لجأ بعضها الى لبنان الماروني في كل زمان ، يحتمون ويستغيثون ببطريركه ومقدّمه واميره وشيخه وديره ، ويحافظون على

كثلكتهم الجديدة هناك .

فكان لغيرة هذا الكاهن العلامة ، وجهاده الابر فضل جسيم عرفه له اهل العلم والجهاد في كل وسط ، وانهالت عليه البرقيات والرسائل ، من اعظم المقامات تنوء بالاستحسان والتقريظ لذلك الأثر ؛ وقامت الجرائد والمجلات في الغرب والشرق تتهادى اعمدتها والصفحات بايات الاعجاب واطيب المقولات ، دبجتها اقلام الناقدين المنصفين من ارباب التاريخ واعلام الادب . مما جعل المؤلف من الجدارة في صف واحد مع علماء امته المتقدمين ، كما سترى ذلك في محله .

وقد ضن المعجبون بهذا الكتاب ان تحجب فوائده الجلى عن ابناء الضاد ، وراء ستاره الافرنسي . فقاموا يلحون على المؤلف باخراج اثره الى العربية ، لتتبينه عموم الكنائس الشرقية ، فيتثبت احفادها الكرام من ايادي المارونية في سبيل ارتدادهم ، عن حب وصدق وتضحية وتجرد ، فيزيدون في اصداق الود لها والاحترام وتوثيق التحالف معها على تعزيز الدين ومواصلة نشره في ارجاء شرقنا العزيز .

وما درينا بذلك الرأي الاجماعي ، وتلك الغيرة المنشطة ، حتى نشطنا الى اتيان العمل ، وهرعنا الى حضرة المؤلف نستأذنه بترجمة الكتاب . فتكرم علينا بذلك في رقيم خاص تاريخه ١٠ اذار عام ١٩٣٦ ، قال فيه :

«... واما من جهة سؤالكم اجازة التعريب لمؤلفي الافرنسي « Le rôle des maronites ... » فاني امنحكم اياها بكل سرور وطيبة خاطر ثقة مني بأدبكم العربي الجم الذي ستفرغونه على الكتاب بما أؤمل من الروعة والجدارة والدقة والاتقان . وفي الختام اغتنم هذه الفرصة لاثني على غيرتكم واجتهادكم ووطنيتكم الصادقة وفقكم الله الى كل خير وحقق كل امانيكم »

وقد فات المؤلف العثور على بعض نقاط تتعلق بموضوع الكتاب وتكمله . فاخرجناها نحن من مدافنها ، وادخلناها بموافقته على الترجمة ، في حواش خاصة مذيلة بتوقيع « المترجم » تمييزاً لها من حواشي المؤلف الاصلية . وما حسبنا من كل ذلك سوى مجد الله وخدمة الحقيقة المجردة.

وبعد النجاز من الترجمة عرضناها على المؤلف ليقول فيها كلمته ، وهو في الادب العربي ، كما في الادب الفرنسي ، عالي الكعب والمنزلة . فتلطف برسالة ثانية قال فيها ما حرفيته :

« حضرة الاب الجليل العزيز القس اغناطيوس الخوري الجزيل الاحترام

« بعد لثم يديكم وطلب دعائكم اعرض . لقد اطلعت على الترجمة العربية لمؤلفي الفرنسوي المعهود فراقني جداً ان سميتموه « اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية » مما ينطبق كل الانطباق على موضوع الكتاب وروحه ، كما قد راقتني ايضاً ترجمتكم الدقيقة بعبارتكم العرباء ونفسكم الوثاب واسلوبكم الرشيق الصادق

العروبة . حتى ليعتقد المطالع ان بين يديه كتاباً من وضع عربي الاصل كانه لا عهد له باي وضع اعجمي لذلك اهنئكم بهذه الجدارة التي لم اكن لارتاب بها واطلب الى الله عز وجل مزيد توفيقكم واطالة عزيز بقائكم .

دلبتا كسروان في ٢٠ تموز عام ١٩٣٦ »

الكتاب في الانظار

وكان للكتاب قيمة ووقع جميل . اذ ما كاد يخرج من تحت ملزم الطبع ، حتى لقفته ايدي الادباء والبحاثين من كل وسط يتثبتون موضوعه ويتدبرون مراجعه . وتوالت على المؤلف رسائل الاكبار والتحبيذ والاطراء والتشجيع والتهنئة ، في الافرنسية والايطالية والعربية ، رأينا ان نثبتها للتاريخ في ذيل خاص ملحق بآخر الكتاب . والله من وراء ذلك خير مثيب على الجهاد في جنب الحق والصواب ، وهو الكريم .

القس
اغناطيوس طنوس الخوري
ر . ل .

رأس بيروت مدرسة الفرار

في ١٥ ايلول عام ١٩٣٦

دياجة الكتاب

— للمؤلف —

لما همّ السيد المسيح بالصعود الى السماء ، قال لرسله : « اذهبوا وعلموا الامم ... » علموهم اجمع ولا استثناء . فان الشعوب جميعها مدعوة الى الانضواء تحت راية المخلص، له المجد . اذن على الجميع ان يسمعوا البشارة ويقتبلوا تعليم الانجيل . والكنيسة الكاثوليكية كانت جدّ امينة على تعزيز هذه الرسالة ، وقد وكلها اليها مؤسسها الالهي . فكان كهنتها ومؤمنوها ، منذ بداءة عهدها ، يبذلون كل الجهد والقوى في نشر تعليم المسيح ونوره ، مخاطرين بنصيبهم من الرزق والمال والحرية والحياة.

والشرق المسيحي كان له النصيب الاوفر، في تلك الرسالة ونشرها. فمن الشرق اولاً انبعثت النهضة البدائية للرسالة والتبشير . والشرق هو الذي جاد على المعمور بالرسل والبابوات الاولين . بيد ان جهاده هذا ما عتم ان اصطدم بظهور اريوس، ونسطوريوس ، واوطيخا ، المبتدعين خفضوا من شأنه . وزاد في عرقلتـه ، على الاخص ، ذلك الانشقاق المكدر المشئوم، الذي احدثه فوتيوس ، ففصل الشرقيين عن الغربيين .

انقطع ذلك السياق الرسولي المنسجم، فصار على الكنيسة الكاثوليكية

حمل جديد ، تجابه القيام به صعاب شداد . واصبح واجب الحبر الاعظم بعدئذ صرف النظر والاهتمام ، لا الى هداية غير المؤمنين فحسب ، بل الى مضاعفة الجهد لاعادة نصارى الشرق الى الوحدة الرسولية ، وقد ابتعدوا عن السدة البطرسية اثر انقسامات جد سيئة ومكدرة. ولم يكن اي وسع ليدّخر في هذا السبيل ،فأحدثت الرسالات، ونشرت البلاغات، واذيعت المراسيم والمناشير البابوية ، وعقدت المجامع ، وانشئت معاهد التعليم واعمال الرحمة والاسعاف .

وليست ببعيدة العهد عنا كتابة البابا لاوون ١٣ ، حيث قال : « ان الكنيسة الرومانية لم تفتأ قط ، في اشد الظروف تشعباً وحراجة ، تنقاد لحلمها واحسانها ، فتعمل على انقاذ الكنائس الشرقية من محنها ، وتزيد في تعزيز علاقتها مع الثابتة منها في حظيرتها ، وتدعو اليها المبتعدة عنها » .

والفضل في تجديد الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، يعود في المكانة الاولى الى الكرسي الرسولي ، ثم الى فرنسة . على ان الموارنة كانوا يقومون حول ذلك بقسطهم الكافي . فكان اشتراكهم فيه على اهمية عظمى . وهنا هو بيت القصيد في هذا الكتاب واياه قصدنا ان نخرج الى عالم النور .

اجل ان الموارنة لقد جادوا بخدماتهم على الكنائس الشرقية جمعاء . غير انه اذا كان الاقباط والكلدان لم يصبهم سوى القليل من ذلك ،

فسببه موطنهم الجغرافي القصي. اما الارمن والملكيون والسريان فقد نعموا من تلك المساعدات بقسط جزيل القيمة جليل الذكر. لذلك كان عذباً جداً ولذيذاً على قلبنا، عند انشاء هذه الصفحات، ان نعمل على خير اخواننا ومجد الكنيسة. واعظم من ذلك لدينا ان نتقاسم هذا الشعور اللذيذ مع القارئ العزيز.

بيروت ٦ ك٢ سنة ١٩٣٥

بحث تمهيدي

في كاثوليك الشرق عند اخذ الاستانة. — ليونار ابيل. — بطاركة الموارنة وكاثوليك الشرق. — المرسلون اللاتين في سورية ولبنان. — الصعوبات عند ممارسة رسالتهم. — مساعدة الموارنة. — المرسلون في حلب ودمشق وصيدا وطرابلس وبيروت. — رسولية الموارنة. — المقدم رزق الله — بطرس التولاوي. — جبرائيل فرحات. — الحساب الغريغوري. — الموارنة يُضطهدون على جهودهم الرسولية.

عندما اخذ الاتراك مدينة الاستانة سنة ١٤٥٣، كانت الكنيسة المارونية وحدها، بين كنائس المشرق المتحدة مع رومية عصرئذ، هي الراكزة حقيقة على قوام مرتب راهن، والحاصلة على سياق كامل من الدرجات والمراتب الكنسية (Hièrarchie) ولم تكن لفظة (كاثوليكي)

لتعني غير الماروني او الافرنجي واللاتيني (١) ».

مرّ على ذلك اكثر من جيل ، حتى عام ١٥٨٣ ؛ فأوفد الكرسي الرسولي احد احباره اللاتين ليونار ابيل (Léonard Abel) اسقف صيدا ، الى الشرق ليوطد دعائم الوحدة البطرسية ويعمل على اجراء الحساب الغريغوري. واذ ذاك رفع هذا الحبر الى البابا سكستوس الخامس تقريراً مسهباً عن مهمته . واليك بعض ما كتب فيه قال : « ان الموارنة في جبل لبنان والارمن في اقليم نكتشيفان بالعجم ، والكلدان الاشوريين في مدينتي قرى آمد وسعرت وجوارها ، هم وحدهم فقط ، بين امم الشرق المسيحية قاطبة ، القائمون على اطاعة الكرسي الرسولي ، والعائشون في حضن الكثلكة (٢) ».

بيد انه قد كان في سورية ولبنان بعض افراد ، حتى وجماعات ايضاً ، كاثوليك ، من مختلف الملل الشرقية . وكان البطاركة الموارنة يشملونهم بالعطف والعناية . اولئك البطاركة المنفردون في الشرق الادنى بالاتحاد مع رومية ، كان عليهم ان يوجهوا العناية والنظر الى جميع الكاثوليك المقيمين ضمن حدود بطريركيتهم . وكانوا يجرون ذلك بمعرفة الكرسي الرسولي واقراره . يؤيد ذلك براءة البابا بيوس الرابع ، الحاملة تاريخ اول ايلول سنة ١٥٦١ ، وفيها يفوضهم بان يحلوا من التأديبات الكنسية ،

---

(١) كتاب « Documents inédits » مجلد ٢ ، كراس ٢ ، صفحة ٢١٣ .

(٢) مجلة « L'Orient Chrétien » سنتها ٣ ، وجه ٤ وما يليه .

ويقبلوا في حضن الكثلكة المنشقين والاراتقة والجاحدين ، من اي طائفة كانوا (١) .

وقد نال الكهنة الموارنة من بطاركتهم، التفويض بسماع الاعتراف لجميع المؤمنين من غير طائفتهم . وعندما انكر عليهم ذلك الانعام فيما بعد، رفعت الى رومية عرائض التشكيات . وحينئذ اقر مجمع نشر الايمان المقدس «البروبغندة» نفسه الموارنة على اعمالهم (٢) . وكذلك المرسلون اللاتين فانهم قد اعترفوا للموارنة بتلك الامتيازات . واليك ما كتب القس اسطفان ورد بهذا الصدد قال : لقد سمعت مرات عديدة الاب نكي (Nacchi) ، رئيس اليسوعيين في صيدا ، يقول لرهبانه : « البطريرك الماروني هو اليوم البطريرك الحقيقي ؛ وسلطته تعم جميع الطوائف الاخر ، جرياً على العادة القديمة » .

ولم يكن حتى الجيل ١٦ غير الفرنسيسكان ، حراس الاراضي المقدسة المقيمين في الشرق من عهد الصليبيين ، الذين اسسوا رسالة لاتينية متفرعة في لبنان وسورية . وبالرغم من مجهوداتهم كانت اعاصير

(١) مجموعة « Collection Lacensis » مجلد ٢ ، عمود ٤٢٠ . ومجلة « Echos d'Orient »صفحة ٢٣ .

(٢) من كراس عنوانه « الدفاع عن الطائفة المارونية » الفه العلامة القس اسطفان ورد عام ١٧٣٢ ، واثبته الخوري مخائيل غبرئيل الشبابي في وجه ٨٤٣ ، المجلد الاول ، و ٧١١ المجلد الثاني القسم الاول من كتابه « تاريخ الكنيسة المارونية » .

الاضطهاد تدهمهم في فترات متدانية على سياق غير منتظم. «وتعاودهم بكراتها مرة تلو المرة».

اما الكرسي الرسولي ، حارس الحقيقة الامين ، فكان يواصل النظر والسهر وينشد انجع الوسائل لتحقيق الوحدة مع الكنائس الشرقيــة ، وقد كانت مجد المسيحية في القــديم . وسنحت للبابا اوربانوس الثامن فرصة موافقة فاغتنمها . وهي ان فرنسة ، في مستهل الجيل ١٧ ، كانت في الطليعة من شعوب اوروبا الكاثوليكية ، التي كانت تحاول جهدها لتبث في الشرق نفوذها وتجارتها ودياناتها . فعقدت الصلات الودية بين ملوكها وسلاطين بني عثمان ؛ وانشأت السفــارة الافرنسيةفي الاستانة ، مع القنصليات في حواضر المملكة العثمانية مثل : الاسكندرية وصيدا ودمشق وحلب وغيرها (١) .

فرأى البابا ان انجع خدمة لمصالح الكنيسة ، انما توفر له في ارسال مرسلين افرنسيس الى مختلف الاقطار في دولة الترك . فتعاهد على ذلك

---

(١) «ان البادئ الاول في ذلك انمـا هو فرنسوا الاول ملك فرنسة كما لا يخفى . فانه بتوقيعه لمعاهدات عام ١٥٣٥ ، اوجد علاقات منظمة ومرعيةبين فرنسة والدولة العثمانية ، وحصّل لاتباعه الحرية في ممارسة دياناتهم ، فوق حرية التجارة . وذلك كان المصدر الاول للحماية الافرنسية للكاثوليك في الشرق » . (طالع «تقاليد فرنسة في لبنان» للمسيو وستلهوبر ، صفحة ٧٨ .

مع مجمع نشر الايمان ، وملك فرنسة لويس ١٣ ، والرؤساء العامين للرهبانيات الكرملية والكبوشية واليسوعية . وهكذا اصدر للمرسلين الامر بالسفر عام ١٦٢٥ . وفي ٢٤ شباط من تلك السنة ، كتب لويس ١٣ الى سفيره في اسطنبول ، الكونت سيزي (Cezi) يأمره ببذل اقصى المجهود لمساعدة المرسلين في مهماتهم، لدى الكنائس الشرقية.

* * *

وصل المرسلون الى الديار التركية ، وهم يجهلون لغتها وآدابها الجهل كله . وفوق ذلك وجدوا ايضاً ان المسيحيين الافرنج منظور اليهم بعين ملؤها العداء والريبة والكراهية . الا ان لبنان كان مسيحياً ومستقلاً . فنزل فيه المرسلون على الموارنة اخواناً اعزاء ، ووجدوا فيهم خير الحماة الضامنين . ودونك ما كتب في ذلك الاب جوزاف بيسون (Besson) اليسوعي في اواخر الجيل ١٧ قال : « ان المرسلين في سوريا هم على ثقة اكيدة من ان لهم : في ٣٠ الف ماروني يقطنون بلاد كسروان من لبنان ، لحصناً منيعاً يقيهم كوارث الخطوب (١) » . وقد تم ذلك بالفعل . فان الموارنة وهبوا المرسلين الاراضي والديورة ، ليمتنعوا فيها على الاخطار اوان الاضطهاد والاضطراب ، فاكتسبوا بذلك جيرتهم العزيزة .

---

(١) الاب بيسون في كتابه « La Syrie et la Terre Sainte » صفحة ٩٨ . وستلهوبر ، وجه ٧٧ .

والبطريرك الماروني، يوحنا مخلوف من اهدن (١٦٠٩—١٦٣٣) رغب في اقامة الكبوشيين بجواره، فوهبهم عام ١٦٢٨ «محبسة مار توما ومحيطها في وادي قاديشا (١)». وقد كتب الكبوشيون سنة ١٦٣٤ ما يلي:
«واعطانا البطريرك الماروني مدرسة في لبنان، ومنحنا كل ما له من سلطة، واحبنا دائماً (٢)».

وفي سنة ١٦٤٣ انعم البطريرك جرجس عميره من اهدن (١٦٣٣— ١٦٤٤) على الرهبان الكرمليين بدير مار اليشع قرب قصبة بشراي (٣). والشيخ سنتو الخازن جاد على الفرنسيسكان بارض وسيعة في حريصا، حيث شيدوا ديرهم الحالي على اسم مار انطونيوس البادوي (٤).

ولما جاء اليسوعيون الى كسروان عام ١٦٥٢، اقتبلهم فيه حاكمه اذ ذاك الشيخ ابو نوفل الخازن بكل ارتياح. فأنزلهم اولاً ضيوفاً على داره، ثم وهبهم ارضاً كبيرة في عينطورا، وشيد لهم فيها من ماله الخاص

---

(١) مخطوطات الرسالة الكبوشية في بيروت.

(٢) مخطوطات الكبوشيين ايضاً.

(٣) «Documents inédits» مجلد اول وجه ٤٣٣ حاشية. ورستلهوبر المذكور، وجه ٨٦.

(٤) مجلة المشرق مجلد ٤ (١٩٠١)، وجه ٩٧٤.

كنيسة ومقاماً (١) . وهناك انشأوا اولاً مدرسة اكليريكية للموارنة والاقباط والكلدان . ولما حلت سنة ١٧٢٨ ، حولها الى معهد علمي عام. وذلك بفضل المكارم السخية التي ساعدهم بها المحسنون الموارنة ، وفي طليعتهم المطران بطرس مبارك الذي زهد فيما بعد بامجاد الحبرية فاعتنق الرهبانية اليسوعية متنزلاً الى راهب عادي .

ولما الغيت الرهبانية عام ١٧٧٣ ، بامر اكليمنضوس الرابع عشر بابا رومية ، حل اللعازريون محل مرسليها في لبنان واحتلوا معهد عينطورا سنة ١٧٩٢ . ولا يزال بيدهم الى اليوم عامراً مزدهراً شهيراً (٢) .

واليك ايضاً حبراً مارونياً آخر هو المطران جرجس بنيمين من اهدن قد شيد سنة ١٧٣٥ مدرسة بابرشيته في قصبة زغرتا مسقط رأسه . وبعد حين وهبها لليسوعيين . فلبثت في احتيازهم حتى سنة الغائهم الآنفة الذكر . وهذا الحبر الخطير قد زهد ايضاً بالمطرانية وصار راهباً يسوعياً (٣) .

---

(١) « واضاف ابو نوفل الى هذه المكرمة ان وهبهم داراً له في بيروت » (راجع وستلهوبر ، وجه ٨٤ .

(٢) المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠١) وجه ٩٧٤ .

(٣) المشرق ايضاً مجلد ٣ (١٩٠٠) صفحة ٤٨٢ وما بعدها . — على ان اليسوعيين قد عادوا الى لبنان سنة ١٨٣١ ، فاستقبلهم ذلك الامير الماروني الخطير، حيدر ابو اللمع ، حاكم نصارى لبنان ، وحثهم ، ليشتروا في قاعدة امارته بكفيا ،

وبديهي ان مهمة المرسلين لم تكن معدة للبنان المسيحي فحسب ، بل يجب ان تتخطاه الى خارج لبنان حيثما يقيم السواد الاكبر من الملل الارثوذكسية فتعمل على خدمتها وتنويرها واعدادها للانضمام . ومقام ذلك السواد الارثوذكسي كان موزعاً على المدن السورية : حلب، دمشق،

ارضاً تروقهم ، وينشئوا فيها مقرهم . فاوقعوا اختيارهم على محبسة هناك كان يقطنها نساك الرهبانية اللبنانية . واذ ذاك تجند لمساعدتهم الوجيهان المارونيان ، نصار وزيتك ، فقدما لهم قطعة ارض كبيرة ملاصقة للمحبسة المذكورة . وهناك بنى اليسوعيون لهم اول دير في الشرق ، بعد فك اسرهم من ذلك الالغاء التاريخي . وزاد الموارنة على ذلك عديداً قيماً من المساعدات والمناصرات ، اخصها في تشييد تلك الكنيسة على اسم « سيدة النجاة » . وكان الامير حيدر الكبير في مقدمة المناصرين فاهلته مكرماته الجلى لان يدفن ضمن ذلك الهيكل المقدس . وانجازاً لهذا المشروع الجليل اخذ موارنة بكفيا يتنافسون في بذل المساعدات والمجهودات بسخاء نادر : فكنت ترى الاغنياء يقدمون المال والفقراء يكدحون ويكدون . حتى ان النساء انفسهن قد سخرن عواتقهن لحمل الحجارة وتقديمها للبناء . وما انفكت تلك الهمم القعساء توالي نشاطها حتى تم المشروع المقدس ، وفتحت كنيسة « سيدة النجاة » ابوابها عام ١٨٥٢ . وبفضل ما كانت تجريه العذراء مريم هناك من كرامات ومعجزات على ابنائها ، صار ذلك المقام في صف واحد مع مزاوات لبنان الكبرى.

ثم جاء الامير بشير الكبير ، حاكم لبنان العظيم ، وجاد على اليسوعيين بقطعة كبرى من املاكه ، بقرية المعلقة في منطقة البقاع . وفيها انشأوا لهم الدير الثاني . (اطلب المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠١) وجه ٨١٩ وما بعده . ثم مجلد ٢٩ (١٩٣١) صفحة ٨٤٠ .

صيدا ، طرابلس ، بيروت (١) .

بيد ان حصول المرسلين على اتصال مباشر بتلك الملل كان مستحيلاً . فان السلطات المحلية كانت تسدد اليهم نظر الريبة والرقابة . وكم اصدر الباب العالي من فرمانات رفع بها النكير عن المسيحيين المنفصلين ، وقد كان مشدّداً عليهم بالامتناع المطلق عن اي تعاط مع كهنة اوروبة الكاثوليك ، ومهدداً المخالفين باشد العقوبات . حتى ان الباشا وزير حلب ابلغ مطران الروم وكهنته عام ١٧٣٣ ، انه عرف « ان مسيحيي تلك البلاد هزأوا بالاوامر العالية فازلوا على دورهم المرسلين ، وترددوا الى كنيسة الافرنج . فاقسم برأس السلطان ان الموت الزؤام ينتظر على اعواد المشانق اي مسيحي امّ منازل المرسلين ، او فتح بابه بوجه اي كان منهم . ومن خالف اوامره هذه ضبط له كل ما يملك وضمه الى الممتلكات الاميرية . وامر باعلان ذلك في الكنيسة منعاً لاي ادعاء بجهل ما تقدم . وارسل تلك الاوامر عينها يبلغها الموارنة والسريان والارمن (٢) » .

اما الموارنة فعلى الرغم من تلك التهديدات المغلظة ، ما انفكوا عن ان يظلوا الأيد الاقوى للمرسلين ، يضعون تحت تصرفهم كنائسهم ومنازلهم . والمهد الاول لتلك الارتدادات ، انما كان مدينة حلب . تلك الحاضرة السورية الكبرى آنذاك من اعظم المدن في الدولة العثمانية . وهي

---

(١) مجلة « Orient Chrétien » مجلد اول ، صفحة ٩٨ وما بعد .

(٢) كتاب « Doc. inéd. » مجلد ٢ ، صفحة ٤٠٤ .

ملتقى القوافل الدارجة بين ارمينية وسورية والعراق والعجم والهند . وكانت بموقعها غواية الشعوب القديمة والحديثة في كل العصور . يقوم منها ذلك الوسط التجاري الهام ، تتبدل فيه منتوجات الشرق والغرب .

في هذه المدينة التقى المرسلون من رهبانيات مختلفة . ولما اعجزتهم الصعوبات عن اقامة كنائس لهم فيها استغنوا عن ذلك بكنيسة الموارنة هناك ، فاعتمدوها لالقاء مواعظهم واقامة طقوسهم وفروضهم ورسالتهم بملء الحرية . واتخذوا ايضاً بيوتات الموارنة ملاجئ لهم ، يجمعون فيها النصارى المنشقين ويجرون عليهم التعليم والتنوير (١) .

والبطريرك الماروني ، يوحنا البواب من قرية « الصفرا » في ساحل فتوح كسروان (١٦٤٨—١٦٥٦) اصدر عام ١٦٤٩ انعامه للمرسلين في حلب من فرنسيسكان وكبوشيين وكرمليين ويسوعيين ، بان يعظوا ويعرّفوا وينشئوا اخويات العذراء مريم في كنائسه (٢) . وتؤكد تواريخ ذلك العصر ان تلك الاجتماعات كانت تحوي الرجال والنساء بعدد وفير ، من طوائف الروم والارمن والسريان ، وكثيرة مفيدة كانت

---

(١) الكتاب نفسه ، كراس اول ، وجه ١٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٠ .

(٢) نفس الكتاب ايضاً والكراس ، وجه ٥ . والمجلة السورية مجلد اول (١٩٢٦) ، وجه ٤١٣ و ٤٢٣ .

الثمار التي جنوها اذ ذاك لتهذيبهم وخير نفوسهم (١).

وقد كتب الاب يوحنا اميو (Amieu) رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٥٠ ، قال : « ان البطريرك الماروني الجديد (يوحنا الصفراوي المذكور) اصدر امره الى الرهبان الذين يحسنون الوعظ ، ليتناوبوا على القائه في كنيسته ايام الآحاد والاعياد . فتجند لذلك الابوان سيلفستر الكبوشي ، وبرونو من الكرمليين الحفاة ، والابوان ريمي شيزو وكوديت من جميتنا اليسوعية وتنافسوا بالقاء المواعظ في هذه الكنيسة ، من اول السنة ، متعاقبين عليها الواحد تلو الآخر في ادوار معينة ، على ثمانية اشهر ، وكانوا يلفظون العظات على باب كنيسة مار الياس المارونية المذكورة ليسمعها الروم والارمن ، القائمة كنائسهم حذاء مار الياس وفي فناء واحد ، كما كان يسمعها الموارنة من داخل كنيستهم (٢) » .

ولما اخذ الاتراك جزيرة صاقز (Chio) من جزر الارخبيل في اليونان سنة ١٦٩٥ ، قام بعض النصارى المنفصلين يشكون المرسلين الى السلطان بانهم جعلوا الجزيرة من اتباع البابا . فاوغر ذلك الافتراء صدر العاهل العثماني واستفزه الى اذاعة الاوامر المغلظة بتشديد النكير على المرسلين والكاثوليك . واذ بلغت تلك الاوامر مدينة حلب هب قاضيها يحرم على المسيحيين ، تحت طائلة الاعدام ، ان يتعاطوا اي تصرف مع المرسلين . حينئذ بادر احد الاعيان الموارنة اللامعين هناك ، وهو الشماس الياس ،

---

(١) « Doc. inéd. » نفس المحل ، صفحة ٢٢ .

(٢) الكتاب عينه مجلد اول ، وجه ٣٩٨ و ٤٢٢ .

وقام بمداخلة غير عادية ، فحمل بنفوذه ذلك القاضي على ان يعلن فيما بعد بقليل ان موارنة حلب هم في استثناء من ذلك التدبير . وعندئذ برز اليسوعيون والكبوشيون والكرمليون من مخابئهم واستأنفوا اعمالهم المعهودة في كنيسة الموارنة (١) .

ولما ازفت سنة ١٦٥٢ جاء بطرس ديلاّ فاله (Pietro della Valle) يزور دمشق الشام ، فكتب اذ ذاك قال : « ليس غير الموارنة فقط من هم كاثوليك رومانيون (٢) » . وكنيستهم في دمشق كانت عهدئذ مرجعاً يلتقي فيه جميع النصارى المتحدين مع رومية وفيها كان اليسوعيون والفرنسيسكان والكبوشيون يقيمون الفروض والواجبات ، ويلقون العظات (٣) .

ويصرح المؤرخـون اليسوعيون عام ١٦٥٦ ، بان المرسلين وجالية الافرنج لم يكن لهم كنيسة في دمشق . فاتخذوا لهم كنيسة الموارنة يقيمون فيها واجباتهم الدينية . وفيها كان قنصل فرنسة يحضر الاحتفالات والطقوس (٤) . وعلى هذه الخطة كان يجري الامر عينه في طرابلس

(١) « Documents inédits » مجلد ٢، كراس ٢، صفحة ١٦ و ٢٢.

(٢) الكتاب عينه ، مجلد اول ، وجه ٣٩٥ .

(٣) ايضاً نفس الكتاب والمجلد ، صفحة ٤٠٣ .

(٤) المرجع نفسه ، مجلد ٢ ، كراس ٢ ، وجه ٢٦٦ ، و ٢٦٩ .

ايضاً . ففي مقولات الاب بواريسون (Poiresson) اليسوعي « ان الاب اميو ما كاد يستقر في منزله الجديد بطرابلس ، حتى بادر الى زيارة البطريرك الماروني في مقره الدائم بدير قنوبين . . . ولأول مرة حظي منه برقيم بطريركي يفوضه فيه بالقاء المواعظ في طرابلس وجوارها » . وفور رجوعه من قنوبين قام باعطاء « رياضات اربع في كنيسة طرابلس المارونية ، كان اقبال السامعين عليها عظيماً (١) » .

وكتب الاب بواريسون ايضاً قال : « . . . وفي صيدا لم يكن معتبراً من الكاثوليك غير الموارنة فقط . وقد اقمت لاحداثهم مدرسة هناك كنت القنهم فيها الدروس كل يوم ، واعلمهم اصول الديانة ايام السبوت على الاقل . وكنت اعرّف وارشد في كل فرصة كل من تقدم الي من اي محل كان . وكنت البي الطلبات العديدة ترد لي من خوارنة الرعايا لاقيم شرح التعليم المسيحي في قراهم ودساكرهم . ولو قام مقامي من يفوقني في اجادة اللغة وقوة الجلد ، لربما كان توفق الى اكثر مما توفقت انا اليه من النتائج الطيبة (٢) » . ولكي يتمكن اليسوعيون من ممارسة رسالتهم باكثر سهولة ، كانوا يتشحون عين الثياب التي كان يلبسها الخوارنة الموارنة (٣) .

وفي رسائل المرسلين والقنصل الفرنسي لمبرور (Lempereur) لسنة ١٧١١ ، ما يلي : « كانت المقابر ، في طرابلس وصيدا ، من املاك البطريرك

---

(١) نفس المرجع ايضاً والمجلد والكراس ، صفحة ٦٨ وما يليها . ثم دستلهوبر المذكور ، وجه ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ايضاً والمجلد والكراس صفحة ٦٢ .

(٣) « Mission du Levant » مجلد ١٠ ، كراس g ، صفحة ١٥٢ .

الماروني وقد منح الافرنج ان يدفنوا فيها موتاهم (١) » .

وعندما جاء الكبوشيون ليؤسسوا رسالتهم في بيروت عام ١٦٢٦ ، كانت لهم الضيافة الاولى في دار الخوري الماروني هناك ، وفي كنيسته كانوا يتمون واجباتهم الروحية ، حتى مرّ على ذلك جيل كامل ، اي الى عام ١٧٣٠ ، حيثما بنوا لهم معبداً خاصاً فتمكنوا حينئذ من الاستغناء عن الموارنة (٢) .

ثم جاء اليسوعيون يباشرون رسالتهم في بيروت ايضاً . ولم يكن لهم اذ ذاك غير كنيسة الموارنة ، لاقامة المواعظ والواجبات ، وكانت حذاء كنيسة الروم . ولما توفي رئيس رسالتهم الاب اميو عام ١٦٥٣ ، دفنوه ، كما يؤكد الاب بيسون ، في كنيسة مار جرجس المارونية عند الباب ، وقد كان له فيها مواقف عظيمة من الوعظ والارشاد (٣) .

على ان مهمة المرسلين كان يكللها النجاح والازدهار بفضل مجهوداتهم المتواصلة . ولله درها من مجهودات جبارة ، لا تعرف هوادة ولا تقيم

---

(١) المرجع المذكور ايضاً مجلد ٦ ، وجه ٣٠٦، ٣ وما يليه . ثم مجلد ٩ ، كراس d ، وجه ٢٠ . ثم « Documents inédits » مجلد اول وجه ٨٠ وما بعده .

(٢) مخطوطات الكبوشيين في بيروت . ورستلهوبر المعهود ، وجه ٧٩ ، حاشية ٣ .

(٣) الاب بيسون في كتابه المذكور ، وجه ١٢٢ ، والمشرق ، مجلد ٣٣ (١٩٢٥) وجه ٤٠٠ .

حدوداً ، جملت الارتدادات على قدم وساق ، وفي ازدياد واستطراد . وكان الاب شيزو اليسوعي قد تكرس في حلب لتعليم الارمن وارشادهم فربح وحده الف نفس منهم (١) . وشرعت الكثلكة تكون جماعات

---

(١) ومن مآتي الاب شيزو المذكور انه انشأ عام ١٦٣٥ ، في كنيسة مار الياس المارونية بحلب ، اول اخوية للعذراء مريم في الشرق اجمع . فاقبل عليها الشعب ايما اقبال ، لعظم محبة الموارنة لاكرام ام الله . وكان المشتركون فيها من نخبة الرجال الاتقياء ، يجتمعون في مواقيت معينة فيتلون مدائح البتول . ويسمعون ارشادات المرشد ، ثم يتفاوضون ملياً في حالة الاخوية ونجاحها واسباب تنميتها . حتى اصبحت بعد زمن قليل كركن متين من اركان الصلاح والدين .

وكذلك لما حلّت سنة ١٦٩١ ، اسس الاب بطرس فروماج اليسوعي اخوية اخرى على اسم قلب يسوع ، وهي الاولى ايضاً من نوعها ، في الشرق قاطبة ، وذلك في كنيسة حلب المارونية ، الوحيدة بكثلكتها في ذلك العهد . وصادفت هذه الاخوية ، نظير اختها السابقة ، الاقبال العظيم . فانتظم فيها جمهرة ساحقة من الصالحين ، من عدادهم جبرائيل فرحات نابغة حلب ومطرانها الماروني فيما بعد باسم جرمانوس . ولشغف قلب هذا النابغة الورع بالقلب الالهي ، قال يتغزل بجماله وبشرف اخويته المقدسة ، وشعره كان اول ما قيل في مديح القلب الاقدس :

« يا قلب طر من وكنة الاحشاء	نحو الحبيب الفاخر الازياء
« ورد المنازل حيث مورد حبه	تجد الحياة بتلكم الاحياء

ثم قال :

« قلب الاله يسوع اسنى بهجتي	او بغيتي او منيتي وهنائي
« يا قلب ربي انت غاية مأربي	يا رب قلبي انت كنز غنائي
« يا لجة الجود الالهيّ الذي	اغنى الورى بسوابغ الآلاء

جماعات من صفوف الشرقيين تمهدها الجهود الرسولية ، فتهيأ للحصول

الى ان اشاد بمديح الاخوية مقتبساً كلامه من سفر نشيد الاناشيد قال :

« من شاء فوزاً فليجيء اخوبتي سعداً لآت حل تحت لوائي
« وليكتسِ الثوب الذي البسته لعروستي اخويتي بمجاني الخ ... »
(طالع المشرق مجلد ١٩ (١٩٢١) ، وجه ٣٢٤) .

اذن كانت كنيسة الموارنة بحلب المهد والمصدر الاولين لاخويتي العذراء وقلب ابنها يسوع في المشرق قاطبة . ومنها انبعثت فروعهما الى بقية اقطاره .

وتذكاراً لذينك المشروعين السماويين شيد سيادة المطران ميخائيل اخرس مذبحين ثمين في وسط كاتدرائيته ، خاصاً احدهما بالعذراء مريم ، فنقش على جانبه الايسر هذه العبارة : « اقيم هذا المذبح تذكاراً لانشاء اول اخوية لمريم العذراء في الشرق بكنيسة مار الياس حلب المارونية ، عام ١٦٣٥ . والمذبح الثاني خصه بقلب يسوع الاقدس ، ناقشاً على جانبه الايمن العبارة التالية : « اقيم هذا المذبح تذكاراً لانشاء اول اخوية لقلب يسوع في الشرق بكنيسة مار الياس حلب المارونية عام ١٦٩١ .

ولما حل شهر ايار عام ١٩٣٥ تمت به ثلاثمائة سنة على انشاء اخوية العذراء المذكورة . واذ ذاك احتفل سيادة المطران اخرس المذكور باليوبيل المئوي الثالث لتلك الاخوية اشتركت فيه طوائف حلب الكاثوليكية ، وخص لكل منها يوم بكامله ، وذلك في ٢٧ ، و ٢٨ ، و ٢٩ ، و ٣٠ ايار المذكور . فكان له ابهى رونق واوقع اثر في الجماهير الغفيرة من نصارى حلب . (اطلب وصفاً مسهباً لما تقدم ، في مجلة « سيدة لبنان » سنتها ٣ (١٩٣٥) وجه ٣٢٤ ، و ٣٢٥ ، و ٣٢٦ . ومجلة « الشهباء » سنتها ١٠ (١٩٣٥) وجه ٩٣ .

« المترجم »

على كيان له هيئته القانونية مستوفاة النظام بالمراتب والدرجات الكنسية.

وكان الاب توفيل نولا (Téophile Nola) حارس الارض المقدسة على حق صراح عندما كتب سنة ١٦٧١ الى البابا اقليميس العاشر يقول: «في هذه الاقطار الشرقية لا يوجد غير الموارنة فقط من هم اخوتنا بالايمان والطاعة للكرسي الرسولي، واعواننا في رسالتنا (١)»

* * *

اجل ان الموارنة لم يقفوا عندما تقدم من العون والمساعدة لارتداد المشاقين من اخوانهم النصارى باكثر سهولة، بل انهم طبعوا على مثال المرسلين وباشروا بانفسهم اعمال الرسالة. فان امير الارز الماروني، رزق الله (٢)، مقدَّم بشراي وابنها العظيم، قد طالما سعى لحمل الارثوذكس، المنتشرين في اقاليم الكورة وجبيل والبترون، على

---

(١) «ترجمة البطريرك اسطفان الدويهي» للمطران بطرس شبلي، وجه ٦٠.

(٢) كان الموارنة في القديم يخضعون لحاكمهم رأساً، وكانوا يدعونه «المقدَّم». والمقدم كان ينوب عنه ملتزم اعلى يؤدي له حساب حكمه. وهذا الملتزم يكون مسلماً يعينه الباب العالي. ووظيفة المقدم كانت تقوم اساساً على جباية الخراج. وكانت في بادئ امرها وراثية. ثم تغيرت وتوقف منحها على طريقة المزايدة فلا يغنمها الا من تفوّق على كل زيادة. (طالع تاريخ الازمنة المخطوط للعلامة الدويهي، عن تاريخ سنة ١٦٣٣ و ١٦٧٥. ثم تاريخ سورية للعلامة لامنس اليسوعي، مجلد ٢، صفحة ٦٧ وما بعد، و ٩٣.

الرضوخ الى تعليم المجمع الفلورنسي ، وارسال وفد منهم الى رومية لتحقيق انضمامهم اليها (١) .

وكذلك النائب البطريركي الماروني في حلب ، العلامة الخوري بطرس التولوي الشهير ، فانه تمكن بفضل علمه الزاخر وغيرته الرسولية، من رجوع الكثيرين هناك ، وربح عدداً كبيراً من المتخرجين عليه (٢).

وعام ١٧١٩ ذهب الراهب الماروني اللبناني جبرائيل فرحات (٣) الى دمشق وعكف على الوعظ في كنيسة طائفته، ايام الاحاد والاعياد. وكان يلقي المحاضرات الدينية مساء كل يوم ، فتهافت على سماعها الجماهير الغفيرة باقبال باهر، من جميع الطوائف . وزاد على ذلك انه انشأ مدرسة هناك جمع فيها اولاد المسيحيين ، دون تمييز بين طائفة ومذهب. ووضع اذ ذاك خطة رشيدة كان هو مبتكرها الاول ، قوامها القاء العظات عن آلام المخلص ايام الجمعة مساء من الصوم الاربعيني . وكان يتسابق الى

---

(١) المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠١ صفحة ١٢٩ .

(٢) المشرق ايضاً مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٩١٥ .

(٣) هو المطران جرمانوس فرحات الشهير احد نوابغ الرهبانية والطائفة المارونية . ولد عام ١٦٧٠ ، ترهب سنة ١٦٩٦ ، ارتسم كاهناً عام ١٦٩٧ . تولى رئاسة الرهبانية العامة ١٧١٦ـــ١٧٢٣ . رسمه البطريرك يعقوب عواد مطران حلب عام ١٧٢٥ . توفي عام ١٧٣٢ .

استماعها مسيحيو المدينة من كاثوليك وغيرهم (١) .

وفوق ذلك كان السابق الاول ايضاً الى تأسيس الاخويات لعبادة الوردية وثوب السيدة ، وذلك بموجب تفويضات خاصة كان قد حصل عليهامن رومية. وما اكثر الذين كانوا يزدحمون حولهمن رجال ونساءواولاد سائلينه قبولهم في سلكها . ولكن عدو الخير خزاه الله ، اثار على ذلك الرسول الغيور بعض المتعصبين فتحاملوا عليه ، عن محض الافتراء لدى بطريرك الروم .

اما فرحات فلم يعبأ بذلك وظل سائراً في رسالته غير هياب ، حتى اكتسب محبة النصارى واحترامهم ، واتصل ايضاً الى دخول البيوت عن حرية وبلا استئذان ، مجرياً على العيال اعمال الخلاص كشرح التعليم المسيحي ، وسماع الاعترافات . غير ان اعداءه رجعوا الى مناوءته بعنف اشد، فاستدعاه بطريرك الارثوذكس المعهود ورغب اليه ان يكف نهائياً عن اشراك ابنائه الروم في تلك الاخويات التقوية . وزاد البطريرك قال :

---

(١) طالع « تاريخ الرهبانية اللبنانية » للقس لويس بليبل ، مجلد اول،صفحة ١٠٢ وما اليها . ثم « مخطوطات بكركي » مجلد ٢ ، وجه ٧٨ وما بعده . وهنا لا يسعني الا ابداء خالص الشكر لحضرة الصديقين الجليلين للخوراسقف يوسف زياده والخوري بولس طعمه من كتبة البطريركية المارونية على ما آزراني به من مساعدات سهلت لي البحث في تلك المخطوطات كافأهما الله وحفظهما .

« ... فان الفتنـة ناشبة في صفوف رعيتي ، بشدة تتفاقم يومـاً عن يوم ، حتى اوجسنا خيفة من سوء العاقبة ، وعين السلطات التركية مفتوحة علينا باهتمام » .

ارتضى فرحات بالنزول عند طلب البطريرك دون ان يمتنع عن اجراء رسالته على الطوائف الاخر (١) .

وعندما صار فرحات مطـران حلب باسم جرمانوس ، جرّد همّه لنصارى مدينتـه . واذ الحّ عليه المشايخ الخازنيـون بالرجوع الى اتخاذ مقره في لبنان نظير سلفائه ، ردّ عليهـم عام ١٧٢٦ قال :

« كنت اعتقـد بادئ ذي بدء انني ارتسـمت مطران حلب على الموارنة فحسب ، بيد ان وقائع الحال جعلتني مطراناً على اربع طوائف مسيحية ... فانا منشغل طيلة النهار بخدمة مصالحهم واصلاح شؤونهم . اما الموارنة فلا اصرف في خدمتهم اكثر من سدس وقتي ، مكرساً الباقي للملل الاخرى (٢) » .

وقال ايضاً في تحرير آخر بتاريخ تلك السنة المذكورة ما يلي :

« صار من المستحيل عليّ أن اترك حلب . فان المسيحيين فيها من جميع الملل اصبحت امورهم في عهدتي (٣) » . وسنة ١٧٢٩ كتب الوكيل العام للرهبانية اللبنانية الى رئيس رهبانيته العـام (٤) الذي كان وقتـئـذ في رومية ، قال :

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٧٨ وما اليه .

(٢) « تاريخ الرهبانية اللبنانية » للاب بليبل ، مجلد اول ، صفحة ١٣٤ .

(٣) مخطوطات بكركي، مجلد٢، صفحة ١٢١ . وبليبل، مجلد اول، وجه ١٣٤ .

(٤) الاب مخايل اسكندر من اهدن ، ولد ١٦٧٩ ، ترهب ١٧٠٣ ، رئاسته العامـة ١٧٢٣ـــ١٧٣٥ ، ثم عام ١٧٤١ حتى توفي اباً عامـاً ١٧٤٢ ودفن في دير اللويزه .

« ان الديانة الكاثوليكية في حلب لعلى نمو حثيث مزدهر اوصلها اليه اهتمام المطران جرمانوس فرحات وعنايته ، حتى انحى الاعتقاد راسخاً بان جعل اقامته في حلب انما هو تدبير رباني اراده تعالى عز وجل ، ليحيي الايمان والورع في تلك المدينة. وقد تحققت تلك العناية الصمدانية بارتدادات الارثوذكس العديدة التي اوجدها فرحات بجهاده وغيرته وعلمه (١) » .

وقبل ذلك الاوان ببضعة شهور كان قنصل فرنسة ، المسيو پلران (Pèleran) قد كتب عن فرحات ، في ١٩ اذار سنة ١٧٢٨ الى الوزير موريبا (Maurepas) قال : « ان جمهرة من غير الكاثوليك تؤم كنيسة الافرنج لتربح الغفرانات البابوية . وآخرون منهم يوالون التردد باكثار الى كنيسة الموارنة لسماع المواعظ يلقيها المطران ، وهو معتبر من الموهوبين في الوعظ والخطابة وانه على مبلغ جليل من المهابة والوقار ، بين جميع الكاثوليك . حتى ان مطران الروم جاء الاحد الاخير ليقيم احتفالاً حبرياً فلم يجد في كنيسته غير نزر من رعيته قليل (٢) » .

* * *

---

(١) بليل ، مجلد اول ، وجه ١٦٠ .

(٢) « Missions du Levant » مجلد ٩ كراس d وجه ١٢٩ . —

وترامت اذ ذاك شهرة المطران فرحات بالتقوى والغيرة والعلم الى اطراف سحيقة ، حتى بلغت مسامع الجاثليق مار ايليا بطريرك النساطره الاشوريين فارسل اليه رسالة بالسريانية الكلدانية اطلعنا عليها بين اوراق فرحات المحفوظة في مطرانية حلب المارونية، وهي لا تاريخ لها. ولكن خاتم الجاثليق المذكور يحمل تاريخ عام ١١٠١ هجرية (١٧٢٧م). وفيها يكلفه العناية بابنائه الاشوريين في حلب ، فيوزع عليهم الاسرار المقدسة من

اجل ان امانة الموارنة لرومية ، وتعلقهم بالافرنج ، وغيرتهم على

اعتراف ، ومناولة القربان ، وتكليل العرسان ، وتكهين المحتضرين ودفن الموتى .
وذلك دليل على ما كان لنابغة حلب من مكانة في قلوب جميع الطوائف حتى غير الكاثوليكية . والرسالة ممهورة بخاتم البطريرك المذكور وهو عبارة عن دائرة في وسطها رسم المسيح حاملاً بيساره الانجيل، ورافعاً يمينه للبركة، وحوله رؤوس الاثني عشر رسولاً، محلوقة الاكليل الرهباني الكبير . ويتوسط الدائرة هذه الكلمات العربية: « مار ايليا الجاثليق البدرك الشرقي سنة ١١٠١ » . وهي بلا تاريخ . ومن التاريخ الهجري على الخاتم يعرف تاريخ الرسالة . وهذه ترجمتها بالحرف :

« من القلاية البطريركية اقبل الصلوات والبركات » .

« نحيط حبك العزيز لنا علماً يا اخانا بالرب وحبيبنا بيسوع ، رجانا ايها الراعي الصالح الماهر مار جرمانوس اسقف مدينة حلب المباركة ومطران اخوتنا الموارنة المباركين فلتحفظك اليمين خالقة العالمين بشفاعة البتولة القديسة مريم والانبياء والرسل والشهداء والمعترفين امين .

« بعد السلام الروحاني وافتقاد شخصك نعلم حبك ان انا في مدينتكم حلب بعض الافراد فنطلب منك اكراماً لنا وللحب المسيحي الذي بيننا وبينك ان تشملهم بانظارك وتهتم بشؤونهم الروحية وسلوكهم المسيحي وبكل ما هم بحاجة اليهم كتقريبهم من جسد سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح المحيي رجاء المسيحيين كلهم ، ودفن موتاهم وتكليل عرسانهم وسائر ما يلزمهم . ونحن نرحب بالحب بكل ما تبعث به الينا من الرسائل ونتمم بارتياح اغراضك كما اننا نأمل ان تقابل رسائلنا اليك بالحب المسيحي نظراً للاخوة التي بيننا ولذلك نطلب من سيدنا ونسأله بجرحه الفائض ان يبعد عنك كل الضيقات والاحزان ويحفظك من كل مصائب هذا العالم فتحصى في العالم الآتي في عدد الآباء الابرار القديسين وتكون مختوماً ومثبتاً بعلامة الصليب

اخوانهم الجدد في الكثلكة ؛ تلك المبادئ التي اغرقوا في الحرص عليها، كأعز النفائس ، قد تكبدوا لاجلها وقائع عديدة فادحة من الاعتقالات والتنكيلات والاضطهاد والمغارم .

ولما جاء من رومية عام ١٤٣٩ ، الاخ يوحنا رئيس الفرنسيسكان في بيروت ، جالباً معه درع التثبيت للبطريرك يوحنا الجاجي (حوالي ١٤٣٨ ـ ١٤٤٥) هرع العدد الكبير من الموارنة لاستقباله في طرابلس. فكان عملهم ذلك بادرةً كلفتهم غالياً . اذ القت الشبهات والوساوس في نائب طرابلس فامر جازماً باستحضار اعيانهم واشرافهم، حتى البطريرك نفسه .

السيدي الحي وان لا يلحقك ضرر ما خفياً كان او ظاهراً آمين » .

اما فرحات فلما تلقى هذه الرسالة وتدبرها ، كتب الى الكردينال بطرا رئيس المجمع المقدس برومية يطلب الاذن بخدمة النساطرة الروحية وسائر الطوائف غير الكاثوليكية . فاجابه الكردينال المذكور الى طلبه ، لفائدة اولئك المؤمنين . وسار فرحات في رسالته تلك كما هو معروف . وكان الكردينال بطرا يراسل فرحات مع كل من كان يؤم الشهباء من الغربيين ، او الشرقيين ابنائها الكاثوليك العائدين اليها بعد انجاز دروسهم في رومية ورسامتهم الكهنوتية ، ويوصيه بهم . ومن تلك المراسلة رسالة محفوظة بين اوراق فرحات رأيناها نحن في مطرانية حلب المارونية وفيها وصاية من الكردينال المذكور بالقس اندراوس دقاق السرياني ، وتاريخها ٢٧ تموز عام ١٧٢٩ ، نجتزئ عن اثبات نصها بالاشارة اليها . (انظر مخطوطات مطرانية حلب المارونية ، اضبارة فرحات ، صفحة ١ ، و ٣ . ثم كتاب « روائع اليوبيل المئوي الثاني » لتخليد ذكرى المطران فرحات، قسم اول، وجه٧٥و٧٦.

(المترجم)

وانطلقت العساكر تمعن في القرى نهباً واستباحةً واحراقاً ، غير مبقين على شيء ، حتى بلغوا دير ميفوق ، المقر البطريركي عصرئذ ، فاجروا عليه السهم الاكبر من التقطيع والوبال ، مما اضطر ذلك البطريرك المنكوب ان يهجر ميفوقاً الهجر الاخير ، ويجعل مقره الدائم في دير قنوبين ، في الوادي المقدس ، وذلك عام ١٤٤٠ (١) .

وعقيب ذلك ببعض السنين ، اي سنة ١٤٧٥ ، كتب عن قنوبين ، الاخ الكسندر دي اريوست (Arioste) مندوب الكرسي الرسولي ، الى البابا يصور له اصدق تصوير تلك التعاسة التي كان عليها الموارنة اذ ذاك . واليك ما قرأنا من ذلك قال : انني سرتم في كل جهات لبنان لا ترون غير الكآبة والدموع والمخاوف والاهوال ضاربة هناك سرادقها . يأتيها عمال الحاكمين تحت ظاهر الانصراف لجباية « الميري » وبحجتها يجردون اولئك اللبنانيين الفقراء من كل ما يملكون . ثم يوسعونهم الجلد الفظيع بالمقارع والعصي ، ويجرعونهم امرّ العذابات ليغتصبوهم ايضاً على اداء ما ليس عندهم ، وقد تجاهلوا انهم افقروهم الى حد الاعجاز والاعدام . وشيء وحيد لا سواه كان يمكنه ان يرفع عنهم ذلك الجور الفادح ، الا وهو الكفر بدينهم المسيحي ! ولعمري لو لم تعضدهم صلوات ومساعدات بطريركهم القديس (٢) المتفاني بحبهم وخيرهم اذن لاضطر كثيرون منهم ان يستسلموا لتلك الاغراءات والاكراهات على جحد دينهم ! ذلك البطريرك ارعبه الخوف على نفوس ابنائه من ذلك الهلاك المحتم ، فاندفع يجود بمداخيل اوقافه لبشبع جشع اولئك الطغاة الغاشمين . مما سبب لتلك المداخيل ان تصير على ضآلة

(١) « تاريخ الازمنة » للدويهي ، عن سنة ١٤٤٠ .

(٢) بطرس بن حسان من حدث الجبة ، بطريركية ١٤٦٨ — ١٤٩٢ .

وشح نادرين (١).

وعندما بدأت اذاعة الحساب الغريغوري في لبنان عام ١٦٠٦، بادر الموارنة في طرابلس والجبة وبلادي البترون وجبيل، الى الاحتفال مع اللاتين بعيد الرسولين بطرس وبولس، سابقين في ذلك بقية الطوائف بعشرة ايام. وما عتم سائر الموارنة في دمشق وحلب وجميع المدن العثمانية ان اعتنقوا ذلك التقويم، ما عدا موارنة قبرس. اما في حلب فكان العامل الاول والاكبر على ذلك انما هو يوحنا بن فهد الحصروني. غير ان الاساقفة هناك هبوا هبة واحدة يناوئونه ويتآمرون عليه، فرشوا الوالي باربعة آلاف غرش ليحرقه حياً. ولما مثل الحبر الماروني امام المحكمة عرف كيف يدافع عن التقويم البابوي، فافحم مناوئيه بحجته الدامغة وخرج معقوداً له الفوز والنصر (٢) وحين زار قنوبين عام ١٦١٢، الاب بوشيه (Boucher) الفرنسي، من الاخوة الاصغرين، وجد البطريرك الماروني ضحية العسف والجور، منذ ثلاث سنوات «كبّده اياها الاعداء بدفع غرامة، نيّفت على الفي ريال، الى الاتراك جزاء لعصيانات الصقوها زوراً وبهتاناً (٣)».

وقد توفق غير مرة فرنسوا پيكه (Picquet) قنصل فرنسة في حلب الى انقاذ الموارنة من محن عديدة اوقعها بهم الاعداء (٤) وقناصل عديدون

---

(١) « Histoire universelle des missions Franciscaines » للعلامة مرسلين دي سيفيزا (Marcellin de Civizza) جلد ٣، عدد a،

(٢) «تاريخ الازمنة» للعلامة الدويهي، لسنة ١٦٠٦.

(٣) الاب بوشيه الفرنسيسكاني في كتابه « Le bouquet sacré » وجه ٥٩٧ وما اليه.

(٤) ومنها ما يلي: في النصف الاول من القرن ١٧، اي حول ١٦٤٦، قويت شوكة الجور والظلم على الموارنة في حلب بسبب المرتدين الى رومية من سائر الطوائف هناك. وكبدهم بشير باشا والي حلب آنئذٍ المغارم الباهظة فرضها على

في حلب وغيرها ، تأثروا غيرته ولكنهم كانوا اقل منه نجاحاً . والاب

كنيستهم مار الياس ، باغراء الروم الارثوذكس ، لتردد المرسلين اللاتين اليها مع المرتدين . ولم يكن غيرها قط كنيسة كاثوليكية يرجع اليها المرسلون والمرتدون في ذلك العهد . وشدّ ما كان سبق للموارنة ان تكبدوا من المغارم والبلص . حتى ان ما دفعوا من طائل الاموال في ذلك السبيل كان يكفي لبني نصف مدينة حلب . والى اليوم يتناقل الخلف عن السلف هذه العبارة : « ان كل حجر من كنيسة حلب المارونية القديمة قد كلّف ثقله ذهباً » .

تلك الحال افقرت موارنة حلب واعجزتهم عن اشباع جشع بشير باشا الاشعي ، فضبط آنية كنيستهم كلها ، مع ما فيها من زينة ، وبات اولئك المساكين حازنين آسفين لحرمانهم اقامة طقوسهم الروحية كما يليق . وكان القنصل بيكه المذكور يشاطرهم احزانهم وينكسر قلبه لحالتهم ، ولا يستطيع مساعدتهم في محنتهم وازمتهم العصيبة في تلك الاثناء . وظلت الحال مشؤومة الى ان انعزل بشير باشا الظلوم ، وخلفه من بقلبه بعض العدل والرحمة ، فاستتبّ الامان . واذ ذاك هبّ بيكه لرأب ذلك الصدع ، وقد كان يؤلمه جداً ، وكتب في ٤ اذار عام ١٦٥٦ الى الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان « البروبغندة » يصف له شقاء « الموارنة الاعزاء » ، واستحلفه ان يساعدهم في بلواهم . فاجاب المجمع نداءه ، لثقته بغيرته وتفانيه . وقدم ثلاثمائة ريال مساعدة لهذا العمل الخيري . ولما كان هذا المبلغ قاصراً عن ايفاء قيمة البلص استفكاكاً لآنية الكنيسة ، تبرع بيكه بمائتي ريال واسترد محجوزات الكنيسة من يد المغتصب ، وسعى لدى الباب العالي ووزراء السلطان لحصل فرماناً بصيانة الموارنة وكنيستهم من كل حيف فيما بعد . (انظر خزانة مجمع البروبغندة الخطية ، F رسائل الحبشة وسورية ، جلد ٩٠ ، نمرة ٢٢٨ . والمشرق جلد ٢٣ (١٩٢٥) وجه ١٠٤ ، و١٠٥ . ثم المنارة ، سنتها ٦ (١٩٣٥) وجه ٨٣٩ .

« المترجم »

پواريسون اليسوعي المذكور قد فدّى الموارنة سنة ١٦٥٥ ، بالفي ريال « وكانوا مضطهدين لانهم نصارى كاثوليك يتبعون نظام الافرنج في طقسهم(١) » .

وعام ١٧٢٣ كتب احد سفراء البابا في فرنسة الى مليكها يصف له باصدق تمثيل كيف ان الموارنة هم ضحية البلص(٢) و كذلك قنصل فرنسة في صيدا ، المسيو كرانجيه (Granger) قد وصف ايضاً بلصاً آخر ، قاسى الموارنة ويلاته سنة ١٧٣٦ (٣) .

الا ان الموارنة لم يعبأوا بتلك المظالم ، على شدة هولها وفظاعتها ، بل ظلوا سائرين في رسوليتهم واعمال الرحمة . ولما عقدوا مجمعهم اللبناني الشهير عام ١٧٣٦ ، دعوا الى حفلاته الحافلة جميع احبار الطوائف الشرقية ابناء رومة عامةً والرسالات اللاتينيـة ، ليقدموا للنصارى المنفصلين مثالاً ناطقاً على الاتحاد الوثيق مع الكنيسة الكاثوليكية .

---

(١) « Missions du Levant » مجلد ٢ ، وجه ٨٤٤ وما بعده . ثم مجلد ٦ صفحة ٣٥١٦ وما اليها .

(٢) « Missions du Levant » مجلد ٩ ، كراس c ، صفحة ١٣٤ .

(٣) المرجع المذكور نفسه مجلد ٥ ، وجه ٢٧٣٦ وما اليه .

الفصل الاول

في الارمن

لمحة من تاريخهم . — جمعية رهبانهم . — المترهبون منهم عند الموارنة . — ابرهيم بطريركهم الاول . — الاوقاف والتبرعات . — ما قاسى الموارنة من المظالم .

١ً — لمحة من تاريخ الارمن

بزغت شمس الانجيل في بلاد ارمينية على ايدي مرسلين سوريين . فان القديس غريغوريوس المنور هو الذي هدى العدد الكبير من ابناء وطنه . وكوّن الكنيسة الارمنية الاولى في الجيل الثالث . وكان هو فيها الجاثليق الاول . وطقسهم الارمني استعير من الطقوس الخاصة بسورية الشمالية .

وعام ٤٩١ ، نبذ الارمن المجمع الخلكيدوني والتصقوا ببدعة «الطبيعة الواحدة» . ومع ذلك قلما خلا عصر، منذ الاجيال المتوسطة، من الارمن الكاثوليك ، موزعين في بلدان مختلفة . حتى انه وُجد من بطاركتهم ، الى الجيل ١٨ ، من كانوا على كرسي التشميازين وكرسي سيس (Etchmiadzin et Sis) متحدين مع رومية (١) .

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ١٠ (١٩٠٧) صفحة ١١٠ .

غير ان مساعيهم هذه نحو الوحـدة لم تأت الا بنتائج موقوتة . اما اليوم فالارمن الغريغوريون او الارثوذكس لهم جثلقتان(١) وبطريركيتان: الاولى هي جثلقة اتشميازين المؤسسة عام ١٤٤٤ ، ورئيسها معتبر نظرياً رئيساً اوحد على الارمن الغريغوريين، ويدعى « البطريرك الاعلى والجاثليق على جميع الارمن » . اما عملياً فهو على خلاف ذلك . والثانية هي جثلقة سيس المتقدمة، وهي الجثلقة الاولية التي جلس على كرسيها القديس غريغوريوس المذكور، وجاثليقها اليوم قد جعل مقامه الدائم في لبنان . اما البطريركيتان فهما : بطريركية اورشليم المؤسسة سنة ١٣١١ ، على اثر هيجان عصياني . ثم بطريركية القسطنطينية اسسها السلطان محمد الثاني عام ١٤٦١ ، وقـد منح رئيسها السلطة المدنية على جميع الارمن .

اما النهضة في الارتداد الجدي الحازم فقد كان مبعثها مدينة حلب . وعظيمة كانت مساعي المرسلين لذلك ، وبخاصة اليسوعيـين ، فان يدهم كانت في تأسيس جميع الكنائس الشرقية المنضمة الى رومة ، وقد ردّوا الى الكثلكة العدد الكبير من المشاقين ، بينهم مطران ارمينية الكبرى، الذي كان اذ ذاك ذاهباً الى كابادوكية .

ومطران حلب الارمني كان لطيفاً جداً مع المرسلين يمتدح مجهوداتهم

---

(١) وكان لهم جثلقة ثالثة هي « جثلقة اغثامار » وقد اسسها اسقف معاص عام ١١١٣ . اما اليوم فقد اندثرت .

باعظم الثناء . اما جاثليق سيس ، توروس (Toross) ١٦٤٣—١٦٥٨ ، الموجود عصرئذ في حلب ، فكان يمحض الارمن المرتدين والمرسلين شديد البغضاء ويغري على مهاجمتهم ابناءه ومطرانهم ، ولكان نجح في حملته هذه لو لم يمر بحلب آنذاك زميله جاثليق اتشميازين الذي شاهد بنفسه عظمة الخير الناتج عن المرسلين ، فاعلن للملأ مبادئه الكاثوليكية .

وحينما مات توروس المذكور ، خلفه خجادور ، وكان كاثوليكياً بالقلب . فكتب عام ١٦٦٣ الى ملك فرنسة لويس ١٤ والى البابا اسكندر السابع رسائل يعلنهما فيها خضوعه للبابا ، معترفاً برئاسته على الكنيسة الجامعة (١) . وقد خدم النهضة الارتدادية الكاثوليكية اجل الخدم . وبفضله ارتدّ جمهور كبير من قومه ، في عدادهم اسقف حلب و ١٣ كاهناً (٢) .

غير ان بعض الغريغوريين المتزعمين راموا ان يوقفوا تلك الحركة الارتدادية . فحاكوا الدسائس ونصبوا المكايد للفتك بالقائمين بها . وكان اولئك الاعداء اشد من خصومهم . والارمن الكاثوليك كانوا حينئذ متعلقين بالبطريرك الغريغوري . وفي اواخر الجيل ١٧ قد حدث

---

(١) « Doc. inéd. » مجلد اول ، ص ٤٦٤ .

(٢) المحل نفسه والمجلد ، ص ٤٥٥ .

شديد امر من التنابذ والتطاحن بين الفريقين . ووصف ذلك سفير فرنسة دي فريول (Fériol) في رسالته الى وزير لويس ١٤ المؤرخة في ٦ تموز عام ١٧٠٦ قال :

« لم يعرف الزمان ناراً حامية كالتي اصليت على الارمن الكاثوليك . فان القوات كانت تعتقلهم ، عند خروجهم من كنائسنا ، حتى في بيوتهم ايضاً ، وتزجهم في اعماق السجون . ومن هناك كانوا يسوقونهم الى الكدح في الاشغال الشاقة : كنقب الارض ، ودق الملاط (الحجريات العدسية) في البيوت والدور . ولبثوا على تلك الحال الاكراهية حتى الجيل التالي (١) » . واخيراً وبعد لأي تمكن الارمن الكاثوليك للمرة الاولى من انتخاب بطريرك عليهم عام ١٧٤٠ .

٢ً — جمعية الرهبان الارمن

جاء من حلب عام ١٧٠٨ شابان من الارمن الكاثوليك، هما يوانيس (يوحنا) ويعقوب ، قاصدين دير مار اليشع الماروني ، القائم في سفح الوادي المقدس تحت اقدام الارز ومدينة بشراي (٢) .. وقرعا بابه ،

(١) ايضاً نفس المحل ، ص ٥٤ وما بعدها ، و ٨٦ وما بعدها ، و ١٢٦ وما اليها . ثم المشرق ، مجلد ١٥ (١٩١٢) وجه ٨٦٨ وما يليه ثم « Corr. Diplom. Turquie » في وزارة فرنسة الخارجية ، مجلد ٤٤ ، ورقة ١٣٢ ، و ٤٥ ، و ٣٧ و ٤٣ ، و ٧١ .

(٢) وفي بعض الروايات انهما قصدا دير قزحيا . وذلك بعيد عن التصديق . فان قزحيا لم يدخل في ملكية الرهبان اللبنانيين الا حول ١٧٠٩ (طالع المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠١) ص ٩٧٤ وما يليها . ثم «تاريخ الرهبانية..» للاب بليبل ، مجلد اول وجه ٣٠ و ٣١ .

طالبين الى رئيسه الاب عبد الله قرألي (مطران بيروت فيما بعد) ان يقبلهما في مصاف رهبانه فقبلهما. وترهبا مندمجين بين رهبان الموارنة، زهاء عشر سنوات، يحتذيان حذوهم في كل اوجه الحياة وحفظ القانون والفرائض.

انتشر الخبر في حلب عن ذلك الحدث؛ فاهاب بابراهيم شقيق يوانيس وكان تاجراً مثرياً، ليعتنق هو ايضاً الحالة الرهبانية. فعهد باشغاله الى احد اصدقائه ويمم طرابلس مصحوباً بشاب آخر اسمه ميناس. واذ بلغ لبنان صعد تواً الى دير مار اليشع المذكور، وشرع يباحث رئيسه في الخير المرتب على انشاء رهبانية ارمنية. فحبذ الرئيس الفكرة، واذن لراهبيه يوانيس ويعقوب فذهبا مع ابراهيم للعمل على اخراج المشروع الى حيز الاجراء.

باشروا العمل. فقصدوا اولاً اواسط لبنان ونزلوا ردحاً من الايام ضيوفاً على البطريرك الماروني مار يعقوب عواد، وعلى المشايخ آل الخازن. واذ لم تنفتح لهم ابواب النجاح على كل ما ارادوا، رجعوا الى طرابلس. فصادفوا فيها راهباً دومينيكياً من ملتهم كان في طريقه من العجم الى رومية. فاودعوه عريضة رفعوها الى مجمع نشر الايمان المقدس، متوسلين الى نيافة الكردينال رئيسه ليساعدهم على مشروعهم العزيز، ويوصي بهم

البطريرك الماروني والمشايخ الخوازنة. وبعد ذلك تفرقوا: فابحر الدومينيكي الى رومية وذهب يوانيس ويعقوب الى حلب، وبقي ابراهيم وميناس في طرابلس ينتظران الجواب من رومة (١).

اما يوانيس فادركه الموت عقيب وصوله الى حلب بقليل. واما يعقوب فرسمه اسقفه هناك كاهناً. واخذ يبيع مملوكاته بحلب ويصرف اموره تصريفاً نهائياً. وتسهيلاً لذلك الامر لجأ الى النائب البطريركي الماروني في حلب، الخوري بطرس التولاوي العلامة الشهير، واستحصل منه على رسالة توصية به سنة ١٧٢٠، هذا نصها بالحرف:

« من كان للعذراء عبداً لن يدركه الهلاك ابداً. — نشهد قدام ساداتنا الرؤساء المتيقظين وابائنا الكهنة المتورعين واخواننا ذوي الاكليروس المتنورين وسائر شعب المسيحيين ان حامل هذه البطاقة القس يعقوب الارمني الحلبي هو كاهن مستقيم الرأي ارتودكسي الاعتقاد قد رقاه الى هذه الدرجة الشريفة مار ابراهام الورتبيت العنتابي. فالمرجو من فضلكم العميم ان تشملوه بكل احسان تستطيعونه ولا تمنعوه عن التصرف بكهنوته حيث يمكن وتعاملوه كأحد كهنة كنيسة الله الجامعة وكل من في ذمته شيء للمذكور بوجه المعاملة ليوفيه حقه لانه كاهن الرب حقاً تحت طاعة كنيسة الله الواحدة الجامعة ومقصد التفرغ من الاشغال العالمية لينفرد الى عبادة يسوع ومريم بما يليق باهل الدرجات البيعية وكتبنا له هذه الوثيقة لاجل البيان ووفور المودة الاخوية بربنا

(١) مخطوطات بكركي، مجلد ٢، وجه ١١٩.

ومخلصنا امين . تحريراً في ١٠ تموز سنة ١٧٢٠ (١)

الحقير في الكهنة الخوري بطرس الكاروز
رئيس كهنة الموارنة في حلب
ونائب قدس السيد البطريرك الانطاكي ماريعقوب المعظم

انجز يعقوب تصريف اشغاله في حلب ورجع الى رفاقه في طرابلس ومعه فتى اسمه انطونيوس ، قدّم نفسه خلفاً للمرحوم يوانيس . واذذاك اي سنة ١٧٢٠ ، كتب رئيس مجمع نشر الايمان الكردينال سكريبنتي (Sacripanti) الى البطريرك يعقوب عواد بخصوص مشروع الشباب الارمن رسالة هذه ترجمتها بالحرف :

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام . — وردت الى هذا المجمع المقدس عريضة وقّعها اربعة من ارمن حلب ، هم ابراهيم ويوحنا ويعقوب وميناس ، يعرضون فيها مقصدهم بتشييد دير صغير في لبنان على نفقتهم ، وحذاءه كنيسة لكهنة طائفتهم . اما نحن فقد رأينا ان عملاً كهذا يكون معرضاً لصعوبات جمة . فالافضل صرف النظر الى امر آخر قد عرض لنا ، وهو انشاء مدرسة في لبنان تكون ، ليس فقط للدارسين الارمن ، بل لطوائف الشرق المسيحية قاطبة . يتلقن فيها الطلبة ، فوق الدروس الدينية والرياضية ، اللغتين اللاتينية والايطالية . فيرسلون فيما بعد الى رومية ليتمموا دروسهم في جامعة البروبغندة (الاوربانية) وفي المدرسة المارونية التي يأتيها التلاميذ ، الى الآن ، جاهلين كل الجهل اي الملم بهاتين اللغتين . فيكونون ، في تثقيفهم الكهنوتي في رومية ، واسطة فعالة ليبثوا في بلادهم التعليم الصحيح للحقائق الكاثوليكية . ولكن قبل تحقيق اي شيء في

---

(١) المرجع عينه صفحة ١٩٠

هذا الصدد قد حكم نيافة الكرادلة، اعضاء هذا المجمع المقدس، بوجوب الاطلاع على رأيكم، ما من ذلك بد، في النقاط التالية :

١ً في تأسيس هذه المدرسة .

٢ً في طريقة تدبيرها وادارتها .

٣ً في المصاريف والاكلاف اللازمة لها .

« فتكرموا وعينوا لنا، بادئ ذي بدء، اوفق محل ترونه لهذه المدرسة يكون اقل تعرض لنكبات الاعداء والظلام . اذ لا تجهلون ان مدارس غير هذه قد سبق تشييدها في محال مختلفة من لبنان، وكان نصيبها الزوال السريع : اما لسوء الادارة من ذويها، واما لاختيار موقعها معرضاً لمظالم الاعداء مناوئي الكثلكة (١) .

---

(١) كان البطريرك يوحنا مخلوف من اهدن، قد سبق فانشأ سنة ١٦٢٤ مدرسة اكليريكية في دير سيدة حوقا (في الوادي المقدس ومن املاك دير قزحيا اليوم) لاولاد طائفته. واستمرت حتى توفاه الله عام ١٦٣٣ . ونظام تلك المدرسة قد سن في رومة واقره البابا اوربانوس الثامن ببراءة خاصة، تاريخها ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥ . قال ذلك الحبر الاعظم : « ان هذه المدرسة توفر تلامذتها على وسائل الاجتهاد لاحراز الفضيلة والتقوى والعلم حتى تصير لهم الاهلية، لا ليهذبوا الموارنة فحسب بل ليقودوا سائر الملل الشرقية الى الايمان الكاثوليكي . هؤلاء الطلبة هم جميعهم ملتزمون بدرس اللغات العربية والسريانية واللاتينية . والموهوبون منهم يتعلمون ايضاً اللغات : الفارسية واليونانية وسائر اللغات الضرورية لارجاع تلك الطوائف وهدايتها » . (طالع « الدر المنظوم » للبطريرك بولس مسعد، وجه ١٥٩، و ١٦٠ . ثم « تاريخ الكنيسة المارونية » للخوري ميخائيل غبريل، مجلد ٢، جزء اول، وجه ٤٥٢، و ٤٦٧) .

وفي اول تموز عام ١٦٢٦، كتب الاب يوسف الراهب الكبوشي، الملقب

« ثم تفضلوا وعينوا لنا ثانياً من ترون في مقدورهم ان يتقلدوا ادارة هذه المدرسة . هل من الكهنة القانونيين ام العلمانيين ؟ واذا قرّ رأيكم على الاولين فاية رهبنة هي في نظركم اكثر اهلية لانجاح هذا المشروع ، فتوفر فائدته للناشئة ويكون عند رضى الاساقفة الذين سيحظون بوجوده في ابرشيتهم ؟ واذا فضلتم الكهنة العالميين ، فتكرموا بارشادنا الى الاكثر اهلية فيهم، من خريجي البروبغندة والمدرسة المارونية الرومانية ، المقيمين حالياً في سورية ولبنان . وسيكون لهم من هذه الوظيفة سبب للارتزاق . وكثيراً ما وردت الينا التوصيات بالاب يوحنا الدويهي والاب ابراهيم جلوان المارونيين ، وبيوسف ديمانوس القبطي خريج البروبغندة ايضاً ، وهو موقتاً في القاهرة بامر المجمع المقدس ، ريثما يتعين له مركز ووظيفة .

« على اننا نخشى على هؤلاء الاساتذة ، وهم من ملل شرقية متنوعة ، ان يصطدموا بعدم التفاهم والوفاق ، فيتعرضوا لنكبات الحكام غير المسيحيين في بلادكم المنكوبة بالقساة والغاشمين . لذلك يرتأي هذا المجمع المقدس ان يكون رئيس هذا المعهد ، مع معاون له من رهبانية اوروبية ، فيكون ذلك مساعداً لهيئة المدرسة على التمتع بحماية فرنسة ومساعدات قناصلها . ثم يتعين ايضاً استاذان ينتخبان من متخرجي

« صاحب النيافة السمراء او الشهباء » الى رئيس مجمع نشر الايمان ينبئه بانشاء مدرسة اكليريكية في بيروت ، قال : « تمّ ذلك برضى الامير فخر الدين وجميع النصارى وبخاصة الموارنة » . وقد عزم على ان يشيد هناك ايضاً معهداً للعوام استحضر لادارته اربعة آباء من اروبة ، منهم اثنان يحذقان اللاتينية جيداً ، مع مطبعة ايضاً لنشر كتب الدين والادب باللغات الشرقية ، في جميع ارجاء المشرق . لكنه لسوء الطالع لم تعرف تلك الافكار الجليلة من التنفيذ غير البداءة فقط ؛ فانها ما كادت تتصور في عالم المحسوسات حتى قطع عليها سبيل النور والظهور سقوط الامير فخر الدين عام ١٦٣٤ . وقد عانى الكبوشيون بعده اضطهاد عنيفاً اكرههم على هجر رسالتهم في لبنان ردحاً من الايام . (طالع رستلهوبر المعهود، صفحة ٨١).

مدرسة رومية المبرزين . على ان تكون هيئة المدرسة ،من رئيس واساتذة ، تحت اشراف وتدبير هذا المجمع المقدس ،مع خضوعهم لارشادات غبطتكم ونصائحكم ، انتم وخلفاؤكم من بعدكم ، على نمط واحد وصورة مضطردة كما يجري هنا اساتذة البروبغندة .

« اما ما يختص بالنقطة الثالثة ، فنريد ان نعرف الاكلاف اللازمة لتشييد البناء ولمعاش الرئيس والاساتذة ، وعشرة دارسين . وقد عُرض لنا ان مبلغ ٣٠٠ ريال من عملتنا يكون كافياً سنوياً في لبنان، حيث المعيشة رخيصة سهلة التوفير . وان مبلغاً آخر بنفس الكمية يكفي لاقامة البناء وتأثيثه . وعليه نرجو اخوتكم ان تستعلموا الارمن الاربعة ، موقعي العريضة المذكورة ، عما اذا كان في نفسهم ان يكرسوا لهذا المشروع المال الذي اعدوا لبناء الدير والكنيسة كما تقدم . ومكافأة لهم على ذلك سيعطون كرسيين او ثلاثة يتعاقب عليها اولاد ملتهم مجاناً . فاذا راقهم ذلك ، فعليهم ان يحددوا المبلغ الذي يقدمون ، ويدونوا تعهداً يضمنون فيه تأدية القيمة بطريقة منتظمة ومطردة . ذلك ما يرغب اليكم هذا المجمع المقدس في التعريف عنه وايضاح رأيكم فيه، بتفاصيل مشبعة مستوفاة (١) » .

اجل هل نفذت تلك الفكرة وتحققت ؟ — لا لعمري . فاما ان ذلك البطريرك قد استدرك ان اجتماع اولاد من ملل مختلفة تحت سقف واحد قد يؤدي غالباً الى الشقاق فالفتنة، ويخلق للسلطات المدنية المعادية ظرفاً يفيدهم من هذا المشروع مورداً لا ينضب من البلص والضرائب . واما ان الشباب الارمن المعهودين ، اصحاب العريضة قد آثروا التشبث بفكرتهم الاولى . وفي كل فالسبب لا يتعدى احد التعليلين المتقدمين .

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٤ (ث) .

وقد يُعقل تكوينه من الاثنين معاً والله اعلم .

على ان الذي جرى حقيقة هو ان رومة نزلت اخيراً عند طلب الرهبان الارمن . فان البطريرك يعقوب عواد قد استحضر اولئك الرهبان وابلغهم ان مجمع نشر الايمان قد كتب اليه يوصيه بهم ؛ ووعدهم بالمساعدة والنظر ، وارسلهم الى المشايخ آل الخازن في بلدة غوسطا . وهؤلاء بدورهم انعموا عليهم ببستان كبير مع كرم عنب وبيتين في محلة « الكريم » .

وفوق ذلك قد وجه البطريرك يعقوب عواد المذكور منشوراً الى ابنائه الموارنة يستفزهم فيه الى مناصرة اولئك الرهبان . وهذا نص المنشور كما هو :

« ... وبعد ما خفاكم ايها الابناء الاحباء ان اولادنا العزاز القسيس واخوته الكهنة والشمامسة الارمن طائفة ، الحلبية بلدهم ، التجوا الى هذه الجبال ليصونوا اماناتهم الكاثوليكية كما انهم مستقيمي الرأي الارتودكسي والاعتقاد القويم بالكنيسة الرومانية ومتشرفين في الدرجات الكنائسية من اساقفتهم الارتودكسية التابعة كنيسة الله الواحدة الجامعة الرسولية . والمذكورين قصدهم يتفرغوا عن الاشغال العالمية لينفردوا الى عبادة الله وكنيسته . والحال ان حضرة اولادنا العزاز مشايخكم الخوازنة المكرمين انعموا عليهم واوهبوهم الموضع المعروف بالكريم وهو من وراثة المرحوم ابيهم ليقيموا لهم فيه ديراً يتقبل الله منهم ويزيدهم اجراً وثواب . المراد من محبتكم الصادقة وامانتكم الواثقة انكم جميعاً تقبلوهم القبول الكلي لانهم اخوتكم بالمسيح وعضو من اعضاء جسم الكنيسة المقدسة وزيدوا لهم الكرامات والاحسان والمعاونة والمساعدة . بما تفيض نعمة الله بين اياديكم وبما يليق بشأنكم وشأنهم ليقدروا يتمموا الفضائل بخدمة الرب وحسن سيرتهم يصطادوا

بشبكة بطرس الرسول الغير من طائفتهم الى صيرة حبر الاحبار وبلوغهم الى هذه الجبال المقدسة . وانشاء الله بحسن دعائم تموا انتم واياهم بالروح والجسد ويدفع عنكم وعنهم كافة المصاعب والمصائب وتستحقوا انتم واياهم بتحرير اساميكم في سفر الحيوة كما ندعو لكم ولهم من صميم القلب والفؤاد والبركة عليكم وعليهم ثانياً وثالثاً والدعاء (١) » .

اما الموارنة فلبوا نداء بطريركهم هذا واعانوا الرهبان المذكورين على تحقيق مشروعهم التقوي (٢) . فانتصب ديرهم في وادي الكريم . وعام ١٧٣٥ ، ابرزوا النذور الرهبانية فيه ، معتنقين عين الفرائض والرسوم التي لرهبان مار انطونيوس الموارنة اللبنانيين . وازدهرت تلك الرهبانية في دير الكريم فأدت لملتها الارمنية جزيل الخدم واجلها ، اذ اتحفتها بجملة بطاركة وعدد من الاساقفة (٣) . لكنها ما بلغت سنة ١٨٢٤ حتى دبَّ بين رهبانها دبيب الشقاق . فانسحب بعضهم الى دير بزمار حمى بطريركهم فاحتموا فيه . واذ ذاك كتب مجمع نشر الايمان المقدس الى البطريرك الماروني ، يوسف حبيش (١٨٢٣ — ١٨٤٥) ليقوم بتحقيق دقيق عن تلك المنازعات ويبذل اقصى الامكان لارجاع السلام

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٩٨ .

(٢) المرجع عينه صفحة ١١٩ .

(٣) المرجع المذكور ايضاً .

الى نصابه (١) .

نجح البطريرك الجبيشي بهمته تلك وكتب عام ١٨٢٥ الى رئيس المجمع المقدس قال: «كلفتموني نيافتكم الاهتمام بقضية الرهبان الارمن في دير الكريم، الذين انقسموا على نفوسهم، فلبيت طلبكم وتمكنت من تقرير المحبة والوفاق فيما بينهم. فزار رؤساء الكريم بطريركهم واعتذروا اليه. والرهبان الذين لجأوا الى بزمار عادوا الى ديرهم في الكريم (٢)». اما اليوم فقد انقرضت هذه الرهبانية برمتها. وآخر عقب منها راهب توفي في الاستانة منذ بضع سنين.

٣ — الرهبان الارمن الموارنة

كانت ديورة الموارنة مقصداً دائماً يهرع اليه شبان الارمن المدعوون ليس فقط من قبل ان تتأسس رهبانيتهم في دير الكريم، بل من بعد التأسيس ايضاً، وبنوع اخص. فكان رؤساء الرهبان الموارنة يمعنون في التدقيق والروية، عند قبولهم اولئك الطلبة الغرباء، اذ يتثبتون فيهم حقيقة الرغبة والميل اللذين يتطلبهما نظام الحياة في رهبانيتهم. وعدد وفير من اولئك الارمن لجأوا الى ديورتنا وابرزوا فيها نذور رهبانـنا فاعتنقوا طقسنا الماروني.

---

(١) ايضاً المحل عينه، اوراق البطريرك يوسف حبيش، عدد ١٠، رسالة ١٨ ايلول سنة ١٨٢٤.

(٢) المحل نفسه ايضاً، عدد ١١.

وقد اقبلت الدعوات الارمنية منذ سنة ١٧٣٤ فانه عام ١٧٣٥ جاء من حلب بطرس الساعاتي وتنائيل، ومن دمشق برلام. وسنة ١٧٣٦ جاء من حلب ايضاً يواكيم بلاديوس بن بليط، ثم تبعه يوسف دولات عام ١٧٣٧. وطلبات غير هذه توالت على ديورتنا من فتيان الارمن، عقيب ذلك التاريخ، بكثرة فائقة ايضاً (١). وكانت الرهبانية تنتقي الموهوبين من اولئك الرهبان الاحداث وترسلهم الى ديرها في رومية، نظير اخوتهم الموارنة ابنائها، ليتمموا دروسهم في جامعة البروبغندة. فانه في عام ١٧٣٨ سافر الاخ يواكيم بن بليط الى رومية للغرض المذكور. ثم لحق به، بعد شهور، الاخ يوحنا كرابيد (٢).

وكثيرون من اولئك الرهبان المتمورنين خدموا رهبانيتهم المارونية بوظائف ومراكز اناطتها بهم عن ثقة كاملة. اذ ان اول رئيس سمّي على دير اللويزة عام ١٧٠٧، انما كان ارمنياً، وهو الاب يعقوب اروتين. والاب بطرس الساعاتي شغل وظيفة «مدبر». وكذلك الاب تنائيل فقد تعين مدبراً ايضاً. والاب يواكيم بليط صار ايضاً رئيس دير ثم مدبراً وانصرف بعد ذلك الى المهام العقلية كالوعظ والتأليف. وهكذا

---

(١) «تاريخ الرهبانية اللبنانية» للاب بليبل، مجلد اول، صفحة ٢١٧، ٢٣٢، ٢٨٣، وغيرها.

(٢) بليبل ايضاً، نفس المجلد، وجه ٢٨٧، و ٣١٤، و ٣١٥.

كان اولئك الرهبان الارمنيو الارومة في الرهبانية المارونية اللبنانية ، ممتزجين بين اعضائها يتمتعون فيها بما لسائر رهبانها على السواء ، ودون اي فرق يميزهم عنهم .

٤ً — ابراهيم بطريركهم الاول

انتدبت العناية الالهية ابراهيم ارزيفيان ليقيل الكنيسة الارمنية الكاثوليكية من عثرتها . كان مولده في عينتاب عام ١٦٧٩ . ورُسم مطران حلب سنة ١٧١٠ ، فخاض غمار الرسالة باذلاً فيها اجلّ الجهود . وهدى الى السراط السويّ جمهوراً غفيراً من بني جلدته بمساعدة المرسلين الافرنسيين ، هازئاً بتلك العراقيل الكأداء التي كان ينصبها له بطريرك الارمن الغريغوريين . على ان الاضطهاد العسوف قطع عليه السبيل فنُفي الى جزيرة ارواد ، وحُجز عليه هناك زهاء عامين . فاخذت المفزة حينئذ احد الموارنة النبلاء الورعين ، وهو الخواجا طربيه (من اسرة طربيه النبيله في بلدة سبعل بشمالي لبنان) وكان اذ ذاك ترجمان قنصلية فرنسة في طرابلس . فتدخل في امر ابراهيم مع باشا طرابلس ثم لجأ الى سفير فرنسة في الاستانه ، فحصل النجاة لذلك الحبر الارمني المسكين وعتقه من اسره (١) .

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ١١٩ .

اراد ابراهيم الرجوع الى ابرشيته حلب فمُنع عليه . فاضطر ان يلجأ الى لبنان ، ونزل فيه حقبة من الزمان ضيفاً على البطريرك الماروني ، ثم على حاكم كسروان الشيخ ابي نادر الخازن . والاثنان اكرما وفادته بملء العطف والحب . وبعدئذ انصرف الى الرهبان الارمن في دير الكريم . فاقام عندهم الى عام ١٧٣٩ ، ومن هناك كان يدير شؤون ابنائه في حلب ، محرضاً اياهم على الثبات والادمان في مصيرهم . وهناك كان بعض الارمن يؤمّونه من اصقاع بعيدة ، يسترشدونه ويستشيرون . وكثيرون منهم قطنوا في جيرته ، نابذين ضلالهم نبذ النواة . وفي عدادهم كان استفانوس مطران دمشق ، وسرجيوس مطران اورشليم . وعام ١٧٣٩ كتب رئيس عام الرهبانية اللبنانية (١) الى العلامة السمعاني الكبير قال : « اشتدت شوكة الاضطهاد والعسف على نصارى حلب في هذه السنين الاخيرة . فلجأ منهم الى لبنان عيال عديدة من ارمن وسريان (٢) » .

والبطريرك الماروني ، يوسف ضرغام الخازن (١٧٣٣ــ١٧٤٢) كان يغمر الاسقف ابراهيم ورهبان دير الكريم بعطف لا مزيد عليه ، وفتح لهم ابواب كنائسه على مصاريعها ، آذناً لهم بممارسة واجباتهم ودرجاتهم المقدسة بملء الحرية ، وذلك في خط بطريركي تاريخه ١٨ ت٢ عام ١٧٣٣

---

(١) الاب توما اللبودي من حلب ، رئاسته العامة (١٧٣٥ــ١٧٤٢) .

(٢) « تاريخ الرهبانية ... » للاب بليبل ، مجلد اول ، وجه ٣٣٧ .

هذا نصه حرفيا :

« ... فليعلم كل ناظراً وسامعاً من شعبنا ورعيتنا المباركين بعين الجميع في الطائفة المارونية كائناً من كان اننا حررنا مكاتيب الى رعايانا بان جميع كهنة الطوائف الشرقيين لا يخدموا سر الاعتراف لرعيتنا من دون المرسلين ولئلا يتوهم احد منكم من رؤساء كهنة وكهنة بان حضرة اخونا المطران ابرهيم المكرم وكهنته القاطنين في دير المخلص المعروف بالكريم انهم واقعين تحت هذا المنع فلزم حررنا لهم هذه الوثيقة بيدهم اين ما وصلوا في كنايسنا لهم التصرف بالقداس والكرز والاعتراف ويقضوا لوازم الدينية مثل ساير كهنتنا من غير مانع لانهم ملتزمين بنا ونحن ملتزمين بهم وهم اولاد الكنيسة الرومانيـة ومعروفيـن بالديانة والقداسة والغيرة على حفظ الايمان وحررنا بيدهم هذه الوثيقة لاجل البيان وقطع الشكوك بالكلية واين ما وصلوا يكونوا مكرمين ومعاونين من شعبنا ورعيتنا كهنة وعوام . حرر وجرى في ١٨ ت٢ سنة ١٧٣٣ للتجسد الالهي في اول سنة من حبريتنا (١) » .

وفوق ما تقدم ان بطريرك الارمن واساقفته القاطنين لبنان ، كانوا يلبسون زي المطارين الموارنة، ويستعملون هم وكهنتهم في القداس الالهي عين الملابس الكهنوتية المارونية . ولبثوا على ذلك الاستعمال حتى اهملوه حول عام ١٨٦٧ ، وذلك عند انتخاب بطريركهم حسون ، الذي هجر لبنان وجعل مقامه الدائم في استنبول (٢) .

وعندما انعقد المجمع اللبناني عام ١٧٣٦، وقد تم فيه الوضع الاصلاحي

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ١٩٠ .

(٢) « تاريخ القاطعة الكسروانية » للخوري منصور الحدثوني من دلبتـا ، وجه ٣٧٤ .

لقوانين الكنيسة المارونية ، كان الاسقف ابراهيم من عداد الاحبار فيه ووقّع معهم اعماله وبنوده . واستمر الاضطهاد ضارباً سرادقه على حلب في غاية العنف والجور حتى سنة ١٧٣٩ . وحينئذ تمكن السيد ابراهيم من العودة الى ابرشيته . وبعد ذلك انتخب خلفاً للجاثليق لوقا على كرسي سيس ، فاعتنق اسم بطرس طابعاً بذلك على غرار البطاركة الموارنة ، وراسماً ان يعتمد هذا الاسم خلفاؤه من بعده الى ما شاء الله ، دلالةً على خضوعهم للكرسي الرسولي واعتصامهم به .

وقبل ان يلتمس تثبيته من البابا رأى من الواجب ان يكون اقراره بالايمان مصحوباً بشهادات تزكي سلوكه الحسن وايمانه الكاثوليكي . فهرع الى البطريرك الماروني يوسف الخازن (١) والى مطارنة ورؤساء

---

(١) ولم ينفرد ابراهيم وحده بين بطاركة الارمن في استشفاع البطاركة الموارنة ، واستيساطهم لدى الكرسي الرسولي ، ومجمع نشر الايمان المقدس للحصول على درع التثبيت وكمال الرئاسة . بل ان خلفاءه نسجوا على منواله ايضاً ، يؤكد ذلك رسالة البطريرك يوسف حبيش بتاريخ ٦ تموز عام ١٨٤١ ، الى البابا غريغوريوس ١٦ والى مجمع نشر الايمان يسألها تثبيت الانتخاب لبطريرك الارمن الجديد .

وكان البطريرك يوحنا الحلو (١٨٠٩ — ١٨٢٣) قد سبق ورفع الى البابا رسالة سنة ١٨١٤ هذا نصها بالحرف : « . . . اعرض لقدسكم انه في شهر تموز سنة ١٨١٢ عرضت لديوانكم السامي عن نياحة المرحوم البطريرك غريغوريوس بطريرك كيليكيا وسوريا على طائفة الارمن الكاثوليك وبعد وفاته بقليل ايام صارت الجمعية من جميع اخواننا مطارين الارمن الكائنين بجبل لبنان بدير الكرسي بزمار

الطوائف الكاثوليكية . وفي ٢٩ تموز عام ١٧٤١ كتب ايضاً من حلب الى رئيس عام الرهبانية اللبنانية (توما اللبودي) ومدبريها رسالة هذا نصها بالحرف قال :

« المعروض الى ابوتكم انه ما خفي عنكم انتخابنا من الشعب الكاثوليكي الى الدرجة البطريركية عن غير استحقاق . وبطلب من ابوتكم شهادة من ختم الرهبنة الى سيدنا البابا والمجمع المقدس لاجل تثبيت البطركية لاننا كتبنا الى قدسه والى اخواننا المطارين وجميع الطوايف كتبوا لنا بختومهم وشهاداتهم وشهادة الرهبنة تزيدني شرف اكثر وواصل لكم صورة الانتخاب تقفوا عليه وتكتبوا مضمون ورقتكم انكان بتلاقوا مناسب لا تطولوا علينا يكون بيننا لانني بدي ارسل مطران وقسيس الى رومية ام انا بروح انكان خلصت حالي واراد الله لاني انا محسوب على الرهبنة ومضروب في حجركم في هذا كتبت الى ابوتكم غير مأموراً عليكم ... (١) » .

وبعد الاقتراع القانوني وقع الانتخاب على حضرة الاخ المطران بطرس واقيم بطريركاً باسم غريغوريوس على طايفة الارمن وتم هذا الاجتماع والاقتراع القانوني بكل رضى ووفق من جميعهم ولاجل اني انا عبدكم مجاور هولاي الاخوة المحترمين ومحقق عندي كلما تم في مجمعهم من الوفق والمحبة ، ومختبر حضرة الاخ البطريرك غريغوريوس المنقام جديداً انه صالح وغيور جداً على الايمان وخلاص الانفس . من ثم نتوسل لمراحم قدسكم بان تنعموا عليه بارسال التثبيت الرسولي والدرع الحبروي حسب عوايد سلفايكم المغبوطين نحو سلفاه المرحومين مع ساير الانعامات المعتاد منحها لان هذا البطريرك يستحق كل مجابره لاجل وفور غيرته للايمان الكاثوليكي ... » (طالع مخطوطات بكركي ، عدد ١٠٧، واوراق البطريرك يوحنا الحلو ، عدد ٢٨) .

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ٢٠٤ .

واخيراً وفقه الله فسافر الى رومية . وهناك شمله البابا بنديكتوس ١٤ بعطفه الابوي السامي ، وثبته على الكرسي البطريركي ، وقلّده الدرع الحبري عام ١٧٤٢ . وعند رجوعه الى وطنه سلمه البابا براءة رسولية الى البطريرك الماروني سمعان عواد (١٧٤٣ــ١٧٥٦) ومطارينه وعموم طائفته، تاريخها ٢٥ نيسان سنة ١٧٤٣ وهذه ترجمتها حرفياً :

« ... نحن اكيدون من انكم تشملون بمزيد الاحترام والعطف اخانا المكرم بطرس بطريرك كيليكية على الارمن الكاثوليك ، لسلامة ايمانه الذي يعترف به ، وفضائله المسيحية التي يمارسها ، وتشاهدون يومياً مثاله الصالح المفيد ، بما انه مقيم بين ظهرانيكم . ومع ذلك نرغب اليكم من صميم قلبنا ونناشدكم ان تواصلوا العناية به بكل حلم ومودة واخلاص . فتسرون خاطرنا ايما سرور ، لاننا نحفظ له الاعتبار الفائق بما انه مرتبط بالطاعة المطلقة للكرسي الرسولي ، ويقود ملته في جادة الايمان الكاثوليكي على خطة مثلى بريئة من اي لوم . ولذلك حينما قدم هذه الاعتاب الرسولية اقتبلناه بمزيد الحلم والحنان . واذ التمس درع التثبيت قلدناه اياه عن تمام الارتياح . اذن لا يخالجنا اي ريب في ان توصيتنا هذه ستلقى عندكم كل غيرة وحمية فتبذلون لاجله كل مستطاع ... (١) » .

غير ان اعداء ذلك الحبر لم يخلدوا الى الهدنة قط . بل انهم اغتنموا غيبته في رومة فأثاروا عليه الحفائظ . حتى انهم دفعهم التطرف الى التزوير والقحة فانتخبوا بطريركاً آخر غير شرعي . اما هو

---

(١) مخطوطات بكركي، مجلد٢، وجه ٣٦٩ . ثم « الدر المنظوم » للبطريرك مسعد صفحة ١٠٦ .

فاذ حدثته نفسه عن النار المشتعلة عليه في حلب، ارشدته الحكمة ان يأخذ طريق لبنان . فأمّه اذ ذاك وجعل مقامه النهائي الاخير في دير الكريم. وهناك استأثرت به رحمة الله عام ١٧٤٩ . فاقام له الموارنة مأتماً ابلغوه غاية الفخامة والمهابة وجعلوه نادرة الحوادث في ذلك العصر كما يؤكد المؤرخون .

٥ً — الاوقاف والتبرعات

لعمري ان ما جاد به الموارنة على الارمن من الاوقاف والتبرعات كان كبير القدر . فان رهبان تلك الطائفة الشقيقة ، لما عزموا على ايجاد املاك لهم تدر عقاراتها عليهم ريعاً يضمن المعيشة لهم ولخلفائهم ، مواصلةً للسلسلة الرهبانية ، هبّ لانجادهم الشيخ صقر الخازن واخوته ، فوهبوهم ارض الكريم وقفاً لهم ، بموجب صك شرعي تاريخه شهر اذار عام ١٧٢١ ، هذا نصه كما هو :

«... انه اعطينا اجازة واوهبنا الى الحلبيين الخوري يعقوب والشدياق ابراهيم والشدياق انطون والشدياق ميناس الذين هم من طايفة الارمن الكاثوليكيين الحلبيه، انهم يعمروا الى طايفتهم الذين هم تحت طاعة كنيسة ماري بطرس المقدسة الرومانية واوقفنا التوت والعريش والبيوت الذي لنا من والدنا في الكريم تحت قرية غسطا ويكون وقفاً ثابتاً ومخلداً لا يباع ولا يشرا ويتعمر هذا الدير المبارك في الموضع المذكور ونكون معهم وسعفتهم من ساير الجهات ويكون لهم العزازه والكرامه وناموسهم من ناموسنا ولهم ما لنا وعليهم ما علينا واشارة هذا الموضع تغني عن

تحديده وكتبنا لهم هذه الوثيقة لاجل البيان والحفظ من النسيان ونسأل الله المعونة والتوفيق . حرر في شهر اذار من شهور سنة ١٧٢١ . وسمحنا لهم عن مال هذا الموضع ونحن منحط عنهم ما نكلفهم على رزقهم شي .

دهام الخازن	ضرغام الخازن	هيكل الخازن
خطار الخازن	نوفل الخازن	الشيخ صقر الخازن (١) » .

فكان الكريم هو المهد الاول لرهبانية مار انطونيوس الارمنية . لكنه بعد ان ثبت في حوزة رهبانها حقبة لا بأس بها ، اشتراه مع توابعه وضواحيه المثلث الرحمات المطران يوحنا حبيب ، مؤسس جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة ، اذ كان بعد خورياً .

واليك حجة موقعة بامضاء الشيخ جنبلاط الخازن ، في ١٤ ايلول عام ١٧٣٥ ، بها يمنح الارمن حق الملكية على دير مار جرجس في الضبية المعروف بدير مار جرجس عوكر (من ديورة رهبان مار اشعيا الموارنة حالياً) وهذا هو نص الحجة الحرفي : «... نحن الواضعين اسامينا بهذه الورقة سلمنا ديرنا مار جرجس الذي في الضبية وجميع مقتناه من توت وكروم وعمار وارمن وغير ذلك من سائر اوقافه وما يتعلق به الى حضرة سيدنا المطران ابراهيم الارمني يتصرف به التصرف التام بالروح والجسد وما لنا معه تعلق ولا مقارشة بما يتعلق باملاك الدير المذكور وصار الموضع المذكور ملكاً الى حضرة سيدنا المشار اليه والى خلفائه من بعده من مطارين ورهبان ولا احد بقا له فيه من جميع طوايف النصارى من حكام وغيرهم . بحيث ان يكون خلفائه سالكين مسلكه

---

(١) المحل المذكور عينه ، وجه ٩٨ .

ومستقيمين على ايمان بيعة الله الرومانية رفع الله شأنها ويدفع الاموال الاميرية المرتبة كحسب عوايد البلاد وحررنا له هذه الحجة بيده لحين الاحتياج اليها . حرر ذلك في ١٤ ايلول سنة ١٧٣٥ نهار عيد الصليب المكرم » . كاتبه

المطران ميخائيل المطران فيلبوس المطران يوحنا

ناصيف الخازن صقر الخازن واخوانه نوفل الخازن جنبلاط الخازن(١)

وكان العلامة السمعاني الكبير قد جاء حينذاك قاصداً رسولياً ليعقد المجمع اللبناني تحت رئاسته وادارته . فوقّع هو ايضاً تلك الحجة في اليوم التالي ، ١٥ ايلول من السنة المذكورة ، واقرّ الوقفية تحت الشروط التالية :

١ً ان المطران والرهبان الارمن المقدم ذكرهم يكونوا دايماً متمسكين بالايمان الكاثوليكي الروماني .

٢ً انهم يحفظوا الحساب الجديد على طقس كنيسة رومية .

٣ً ان لا يكون له حكم عليهم بطرك او مطران او رئيس ارمني خارج عن طاعة الحبر الاعظم .

٤ً لا تصير بينهم وبين رؤساء كهنة الموارنة وحضرة المشايخ الحوازنة المدونة اسماؤهم اعلاه مشاجرة او خصومة بما يخص السلطان الكنائسي والمال المرتب كما اعلاه .

٥ً ان سكان هذا الدير يقتدوا دائماً باشارات وحسن سيرة حضرة الورتبيت ابرهام مطران حلب . ويكونوا تحت تدبيره وطاعته طالما هو في قيد الحياة ولو ارتفع الى درجات اعلى . واخيراً ننصح حضرة رؤساء الكهنة ومشايخ الملة المارونية ان يكون نظرهم حسن على سكان الدير المذكور ويقدموا لهم الكرامة الواجبة

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٩٨ .

لاجل غيرتهم الحميدة نحو بني ملتهم الخاضعين للكنيسة الرومانيـة . حرر في دير ريفون في ١٥ ايلول سنة ١٧٣٥ .

المطران عبدالله الحلبي   المطران سمعان   المطران اسطفان (١) » .

بيد اننا نرى ان اولئك الرهبان لم يضعوا ايديهم على ذلك الدير . او اذا كانوا استولوا عليه فلحين قصير الاجل . وذلك ان الارمن كان يهولهم جداً ان يقيموا بالقرب من شاطئ البحر ، وفي جوار بيروت ، حيثما كانت السلطات التركية تكره كل اعزاز لهم اوتأييد. وعليه عهد البطريرك يعقوب عواد بدير عوكر الى احد كهنته ، الخوري منصور ، ليسوس مقامه واملاكه . ثم جاء البطريرك يوسف ضرغام الخازن واقرّ مجدّداً تولية سالفه للخوري منصور على الدير المذكور، بهذا النص قال:

« نثبتكم في ولايتكم وتكونوا متصرفين في الدير المذكور التصرف الكامل والعوام والشركاء الذين مشاركين عندكم لهم ان يأخذوا ما يخصهم بتبعتهم ولا يتعارضوا لكم في تدبير وتصريف املاكه وان احد تعارضكم في شيء يكون ساقطاً تحت الملائمات الكنائسية الموضوعة من سالفنا البطريرك يعقوب المرحوم ... (٢) » .

وعندما حلّ يوم ٢٤ ت٢ عام ١٧٤٠ ، كتب البطريرك الخازني المذكور الى الاب ابراهيم العراموني رئيس عام الرهبان الانطونيين قال:

« ... وبعده سابقاً تكلم معنا ولدنا القس سمعان عريض على انكم تأخذوا دير

---

(١) المرجع عينه صفحة ٣٧٦ .

(٢) « تاريخ الرهبانية الانطونية » للاب عمانوئيل البعداتي ، صفحة ٢٤١ .

مار جرجس ضبيه وكنتم متعذرين من بعض امور والآن لم يبق لكم عذر وما كفاكم انتقال المرحوم الخوري منصور لرحمة مولاه ... ونحن رأينا ان هذا الموضع موافق لكم جداً ... (١) » . وعلى ذلك دخل دير عوكر في حوزة رهبان مار اشعيا الموارنة عام ١٧٤٠ (٢)

ثم جاء الشيخ سنتو الخازن ووقف على رهبان الكريم المعهودين املاكه في عين شقيق (قرب قرية ميروبا في جرود كسروان) . وعندئذ هزت الاريحية الشيخين حصن وضرغام الخازن فتبرعا لهم بمبلغ من المال يمكنهم من بناء دير هناك . وهذا الوقف كان قد سبق وانشأه الشيخ هيكل الخازن منذ سنة ١٦٩٥ (٣) . ووُضِع له صك اول تسلمه الرهبان الارمن . ثم صك ثانٍ وقّعه الشيخ سنتو الخازن واثبته البطريرك سمعان عواد في شباط ١٧٥٠ . وهذا نصه بالحرف :

« ... اننا سلمنا دير عين شقيق الى حضرة ابهاتنا رهبان دير الكريم الارمن الكاثوليكيين بجميع ما يعرف به وتبعه رزق بيت خاشبو (٤) ومعهم حجة منا فيه قبل الآن من توت وسليخ وعمار وغيره وجميع ما يعرف في المطارح المذكورين صار تبعهم بخاطرنا ورضانا لهم فيه التصرف التام وصار الشرط بان يعملوا الدير

---

(١) المرجع عينه صفحة ٢٤٣ .

(٢) الكتاب نفسه ايضاً وجه ٢٤٤ .

(٣) عن اوراق الشيخ هيكل الخازن .

(٤) بيت خشبو قرب غزير من الجنوب .

في خاشبو وفي الصيف بيضل منقام القداس في سيدة عين شقيق . واشرطنا عليهم بان يضلوا يذكروا لنا ولوالدينا وستنا ام قانصوه ... وهالمطارح المذكورين وهل رزق وقف لاينباع ولا ينشرا انما اذا جددوا شيءلهم بيبعوه ونحن ما لنا نعارضهم في شيء ولا شريك ولا غيره انما لهم علينا الحمايه والصيانه ولا ندع احد يتطاول عليهم في شيء ومن جهة الميري بحطوا عليه مثل ما هو ميرته مرتبهواذا صارديموس الرزق المذكور يتديمس علينا وميرته حسب ديورة هالبلاد ولا احد له معهمدعوى لا من اولادنا ولا من اولاد عمنا وما دام هالرهبنه تحت الكنيسة الرومانية الدير لهم ما احد له معهم معارضة وان صار فيما بعد اجا رهبـان وغيروا عن هل امانة رزقنا يرجع لنا وعلى ذلك صار الرضى منا ومنهم ولما تم الحـال كتبنا لهم هـذه الحجة بيدهم لاجل البيان تحريراً في شهر شباط سنة ١٧٥٠ .

قابله على نفسه

سنتو الخازن (١) » .

ودونك ايضاً اثراً آخر تاريخه شهر ايار عام ١٧٥٢ ، مذيلاً بتواقيع رئيس ومدبري رهبـان الكريم ، مع امضاء يعقـوب بطرس الثاني بطريرك كيليكية الارمني . ذلك الأثر يؤيد نزول الرهبان المذكورين عند الشروط المتقدمة . وهذا نصه حرفياً : «...تسلمنا دير عين شقيق وبيت خاشبو وما يتبعه من رزق وماء وهواء كما هو مشروح في الحجـة التي بيدنا من حضرة عزيزنا الشيخ سنتو المكرم وقد اشرطنا على ذواتنا ان اذا اخيراً ظهر فينا رهبان وغيروا عن طاعة الكنيسة الرومانية وثبت عليهم بحق شرعي من المرسلين الذين في بلاد كسروان وتحقق عليهم هذا الامر جميع ما يكون في الدير ويتبعـه من اثاث يرجع الى صاحبه بخاطرنا ورضانا نحن المدونين اسماءنا بذيـله وجرى

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ٣٦٨ .

هذا الامر في حضور حضرة قدس سيدنا مار يعقوب البطريرك الكلي الغبطة والمطران اسحق الحلبي وحضور الخوري افرام من مزرعة كفرديبان حرر في ايار سنة ١٧٥٢ قابلينه على انفسهم

محروه القس باسيل خادم دير بزمار القس غريغوريوس الرئيس
القس توما المدبر الاول القس مرقس الوكيل
شهد بذلك : الشيخ مشرف الخازن المطران اسحق ارمني
بنعمة الله والكرسي الرسولي
يعقوب بطرس الثاني
بطريرك كيليكيا وسوريا (١) » .

غير ان دير عين شقيق قد ارجع الى صاحبه الشيخ سنتو الخازن المذكور عام ١٧٥٣ . ولماذا ؟ هل اعي البرد اولئك الرهبان عن سكنى ذلك الدير ، عندما تشتد عناصره واعاصيره اوان الشتاء ؟ ام ان املاكه عجزت عن تموينهم واعاشتهم ؟ او ان موانع اخرى حدثت لهم هناك ؟ ذلك ما نقف عنده جاهلين متسائلين . ولكن لدينا وثيقة تحمل تاريخ اول ت١ عام ١٧٥٣ مع امضاء الشيخ سنتو المذكور، واليك نص مضمونها

« ... استرجعنا دير عين شقيق واراضيه من رهبان الكريم بملء خاطرهم ورضاهم وسامحناهم بكل ما تسبب لنا عن ذلك من ضرر ، وتركنا لهم كل ربع جنوه منه، وابرأناهم من قسط من الاموال الاميرية (٢) » .

اما مزرعة بيت خاشبو فكانت في استثناء من ذلك الاسترجاع

(١) المرجع المذكور عينه .

(٢) عن اوراق الشيخ هيكل الخازن ، اضبارة ٣ ، عدد ٢ .

وقد تسلمها الرهبان الارمن نهائياً عام ١٧٦٠ . وصك هبتها موقع بامضاء الشيخ سنتو واثبات البطريرك طوبيا الخازن (١) واقرار الامراء الشهابيين حاكمي لبنان عصرئذ. ودونك نص ذلك الصك بحرفيته، متوجاً بتصديق البطريرك وتواقيع المطارنة كما يأتي :

« طوبيا بطرس البطريرك الانطاكي

« قد تم هذا التسليم والتصرف الى اولادنا الاعزاء الرهبان الارمنيين الكاثوليكيين رهبان دير الكريم وبياناً لاتمام رضانا وخاطرنا بالتسليم المذكور امضينا هذه الوثيقة بختمنا المدوّن اعلاه ولا يعارضهم معارض بتصرفهم وليكونوا مطمئنين من كل جانب ومتولين المواضع المذكورة التي ذكرت بهذه الوثيقة ولتكن راهنة بيدهم للبيان .

تواقيع المطارنة :

✝ الحقير يوسف مطران بيروت ✝ المطران انطون ✝ المطران يوسف
✝ المطران يوحنا ✝ جبرائيل مطران بعلبك

نص الصك : « الداعي الى تحريره هو اننا اعطينا واوهبنا الى حضرة ابهاتنا رهبان دير الكريم الارمنين الكاثوليكيين مزرعة بيت خاشبو يعملوها دير بجميع ما يعرف بها من ماء وهواء، واعطيناهم ايضاً عودة درعون وما يعرف بها من ماء وهواء، لتكون بيدهم تبع المزرعة المذكورة وصرفناهم في المواضع المذكورة التي ذكرت ملكاً وتصرفاً تاماً حيثما يشوا وقفاً مخلداً لا يباع ولا نعارضهم بما يخص نظام المواضع المذكورة من غلال مواسم وتبطيل وتوقيف شركا، وتجديد غروس ولا ندع احداً يتطاول عليهم لا من اولادنا ولا من اولاد عمنا ولا من غيرهم وهم

---

(١) سليل رهبانيتنا اللبنانية ، ولد عام ١٧١٠ ، ترهب ١٧٣٠ ، رسمه البطريرك يعقوب عواد مطران قبرس عام ١٧٤٣، بطريركيته (١٧٥٦ــ١٧٦٦) .

(المترجم)

مناالصيانة والحماية ونأخذ منهم ديري كما مرتب عليـه لا غير ولمن (ولما) يصير ديموس (مسح) من الحاكم يتديمسوا المواضع المذكورة علينا وكتبنا لهم الوثيقة بيدهم وكفلنا لهم الدعاوي الشرعية من ساير الوجوه وليكن لنا منهم ولوالدينا ايضاً تذكار دائم في القداسات والصلوات التي تصير في الدير المشار اليـه وما نغير معهم بشيء من هذه الشروط حرر الى البيان في ١٢ نيسان سنة ١٧٦٠

كاتبه على نفسه

الشهود : يعمل بموجبها من غير خلاف — سنتو الخازن

قاسم شهاب منصور شهاب احمد شهاب (١) » .

وعام ١٨٢٠ شرع الرهبان الارمن يبنون في « بيت خاشبو » ديراً على اسم مار انطونيوس قرب غزير ، في موقع فتان يشرف على خليج جونيه الفائق الروعة والجمال . الا ان الواقفين قد ايدوا الرهبان ، في شروط هذا الوقف ، بشرط آخر هو : « ان بيع او رهن هـذا الدير مع املاكه هو ممنوع ، الا برضى الواقفين واقرارهم » . ثم زيد على ذلك : « ان هذه الرهبانية اذا خرجت عن الكثلكة او عرى عقدها الانحلال وتلاشت فكل ممتلكات هذا الدير الموقوفة التي احدثها الرهبان او جددوها بالاصلاح والتحسين تعود الى الواقفين او الى ذريتهم (٢) » .

ومحسن آخر من آل الخازن ، هو الشيخ مشرف ، قـد وقف على الارمن مزرعة بزمار عام ١٧٤٩ . واليك ما جاء في صك ذلك كما هو :

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٤٧٩ .

(٢) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٤٧٩ .

«... ان حضرة سيدنا البطريرك ماري سمعان (عواد) الكلي الشرف قد اعطى الاذن بوثيقة منه خطاً وختماً لحضرة ساداتنا المطارين المطران يعقوب والمطران بطرس والمطران بولس والمطران يوسف من طايفة الارمن الكاثوليكيين بانهم يعمروا دير في مزرعة بزمار على اسم سيدتنا مريم العذراء لاجلهم ولاجل من يتخلف بعدهم من طايفتهم الكاثوليكيين من بطاركة ومطارنة خاضعين للكرسي الرسولي الروماني ولكافة الاكليريكيين الخاضعين لرسومهم والطائعين لهم والمتحدين بايمانهم الصحيح (١)

«ثم اننا قد اوقفنا بخاطرنا ورضانا انا مشرف وانا انطون الواضعين اسامينا وختوماتنا بذيله هذه المزرعة بزمار المعروفة بنا والمتصلة الينا من حضرة الامير المحترم بجميع توابعها من توت وبيوت وكروم وعريش وسليخ وحرش وبياره من عامر ودائر جميع ما نملك بالموضع المذكور من ماء وهواء وقفاً مخلداً ابدياً ثابتاً

---

(١) وقد قال المجمع اللبناني في القسم الاول ، الباب الاول، عدد ٣، وجه ٧ ما حرفيته : «... وقد رأينا بعض الاجانب قد اخذوا منذ حين قريب يهاجرون من امصار مختلفة الى جهات لبنان حيث ايماننا الكاثوليكي لم يزل بنعمة الله ذا سيادة مستقلة بمعزل عن مخالطة غير المؤمنين والمبتدعة والمشاقين حالة كونهم يؤكدون انهم يعتنقون المذهب الكاثوليكي نابذين غواياتهم او انهم مضطهدون لاجله من اهل ملتهم ومكرهون على مغادرة اوطانهم ونحن نعلم عن تجربة ان الضرر اللاحق بالكاثوليكيين الوطنيين من جراء ذلك يغلب عادة على النفع الذي يصيبه هؤلاء الدخلاء اللهم اذا لم يعين طريقة مطرده لقبولهم ومعاطاتهم رأينا لذلك ان نحتم ونحكم بان لا يبنى من الآن وصاعداً اديار ومعابد او مساكن لاقامة اية جمعية عالمية او قانونية من الطوائف الاجنبية ما لم تكن مع بطريركها واساقفتها وعامة اكليروسها وشعبها مرتبطة كل الارتباط بالكنيسة الرومانية المقدسة وان لا يأذن لها احد مطلقاً على تفاوت الحال والدرجة والسلطان والمقام في استيطان مثل هذه الامكنة الآهلة بالموارنة ليس غير ...».

شرعياً الى الدير المنسوب باسم سيدتنا مريم العذراء برسم ساداتنا المطارين المذكورين حباً لوجه الله وعن روح والدينا وارواحنا ويكون دائم تذكاراً لنا ولوالدينا في صلواتهم وعباداتهم

« وصار الرضى والاتفاق بيننا وبين السادات المذكورين ان يقدموا بنصف ثمن المواضع المذكورة التي تسلموها قداديس تتقدم عنا وعن والدينا والنصف الآخر يكون لاجل الاشتراك بالصلوات والعبادات والافعال الصالحة التي تصير في هذا الدير المبارك الدائم تحت تدبير السادات المطارين والبطريرك الذي يجلس بينهم وحررنا لهم هذه الوثيقة الوقفية بخاطرنا ورضانا وصحة عقلنا وجسدنا من غير اكراه ولا عناد خلواً من كل عارض وفساد بنية ثابتة لاجل البيان واحترازاً من نوائب الزمان . ويدفعوا لنا مال الميري كل سنة عن الاملاك المذكورة في الموضع المذكور على موجب دفتر سعادته (الامير الحاكم) لبينما يصير الديموس تحريراً في شهر ت١ سنة ١٧٤٩

	قابله على نفسه	قابله على نفسه
	انطون قبلان الخازن	مشرف الخازن
الشهود : الفقير اليه تعالى	انا الحقير المطران استفان	انا الحقير في الرؤساء
المطران جرمانوس	راضياً بهذه الوقفية	طوبيا الخازن
شاهد بذلك	وهذا خطي وختمي	راضياً بهذه الوقفية
		وبقيام هذا الدير ويكون ما
		ذكر لمجد الله الاكبر
		وقد وضعت خطي وختمي للشهادة(١) »

والبطريرك سمعان عواد ، الذي التُمس منه الترخيص باجراء هذا الوقف، قد بعث الى اساقفة الكريم الارمن عام ١٧٤٩ بالرسالة التالية قال:

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ٣٧٧ .

« بركة الثالوث الاقدس تحل مستقرة على اخواننا مطارين الكريم المكرمين كرمهم رب العالمين امين . . . وبعده حضر الى عندنا ولدنا الاعز الشيخ مشرف المكرم وانبأنا على حسن نيته في وقفه لكم مزرعة بزمار وانكم تعمروا فيه ديراً صدقة عنه وعن انفس والديه فاجنحنا لطلبته واعطيناكم اكراماً الى خاطره الاذن بان تتسلموا الموضع المذكور وتعمروا فيه ديراً يليق بشأنكم . ولدنا المذكور يفهمكم خاطرنا الرب الاله يؤيدكم ويكون معكم لتنموا دنيا ودين ودائماً لا تنسونا من صالح دعاكم . والبركة عليكم ثانياً وثالثاً وعلى جميع الرهبان الذين في ديركم العامر والدعاء حرر في ايلول سنة ١٧٤٩ (١) » .

واضحى دير بزمار مرجع الملة الارمنية الاعلى ومقر بطاركتها الرسمي يمتنعون فيه على اعدائهم بمعاقل لبنان المنيعة وحماية الموارنة الحصينة . ومنه كانوا يرعون خرافهم ويسوسون شعبهم وفيه عقد مجمع الكنيسة الارمنية الاول وسمي « مجمع بزمار » (٢) . والذي اسس هذا الدير في بنائه الاوّلي هو يعقوب بطرس الثاني الذي خلف ابراهيم بطريركهم الاول ومات عام ١٧٥٣ ، ودفن في دير الكريم .

وعندما انتخب غريغوريوس اسقف ادنه للسدة البطريركية عام ١٧٨٨ انشأ في دير بزمار مدرسة اكليريكية اخرجت لكنيسة طائفته من اجلاء الكهنة ، وصاغت لها جمعية من المرسلين الغيورين يدأبون ويجدون في

---

(١) المحل نفسه .

(٢) المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠١) صفحة ٩٧٤ وما بعده .

حقل ملتهم الفسيح (١) . وحينما جاء المنسنيور مسلن (Mislin) العلامة النمسوي الوجيه (٢) ، يزور بلادنا في الجيل ١٩، زار دير بزمار واحتفظ منه بذكرى جليلة كتب عنها ما يلي : « لاح لنا ذلك الدير في بقعة ضيقة فوق جبل منحدر ، حافلاً بنوافذه وحناياه وقببه الصغيرة وسطوحه الواسعة ، وجدرانه المتلألئة تنيرها اشعة الشمس المتضائلة عند المغيب ، ينسلخ عن صفحة تلك الجبال الرمادية الربداء كأنه قلعة حصارية قامت على رأس جبل مرتفع متطاول فوق البحر (٣) » .

استمر بطاركة الارمن يقطنون دير بزمار حتى سنة ١٨٦٧ . واذ ذاك اجاز البابا بيوس التاسع للبطريرك حسون ، على اثر انتخابه بطريركاً ولخلفائه ايضاً ان يجعلوا مقامهم الدائم في استنبول (٤) . وفي عام ١٨٧١ حدث نزاع بين البطريرك حسون وبعض اساقفته ، سبّب انشقاق قسم من الطائفة عن الحظيرة الرومانية . وذلك ان العدد الاكبر من كهنة القسطنطينية تشيعوا للاساقفة المخاصمين، وشقوا على البطريرك عصا الخضوع منفصلين عن الكنيسة الكاثوليكية . وحينئذ انتخبوا لهم بطريركاً آخر.

---

(١) « الدر المنظوم » صفحة ١٠٦ . اما المؤرخ المطران نقاشه السرياني فيذهب الى ان غريغوريوس هذا انتخب بطريركاً ١٧٩١ (طالع « ارتداد السريان » وجه ٣٢١) .

(٢) اطلب « البيت الكرمي في اهدن » للمترجم صفحة ٢٠ .

(٣) طالع كتاب « Lieux Saints » للعلامة ميسلن، مجلد اول وجه ٣٥٠ .

(٤) اما اليوم فقد صار مركز البطاركة الارمن الكاثوليك دائماً في بيروت.

ولكي يحموا منتخبهم الجديد من الطوارئ لجأوا الى حكومة الاستانة ، معتمدين مداخلتها وسلاحها لحماية موقفهم . وبتلك القوة استولوا على الكنائس والاديار التي في لبنان وغيره .

ذلك الحدث الانفصالي استفز همة البابا بيوس التاسع فضاعف الجهد واكثر السعي والاهتمام لاكتساب اولئك النافرين . وعندما افرغ كنانة غيرته على غير جدوى ، اضطر ان يرشقهم بالحرم . وكان باسيليوس غسباريان اسقف حلب من عداد الثائرين ، فقصد الى لبنان واحتل دير بزمار ، تعضده قوة الحكومة العثمانية . فطرد منه الرئيس ورهبانه ، واحلّ مكانهم من مشايعيه . اما موارنة كسروان فتمرمروا شديداً على ذلك الاعتداء والاغتصاب ، وقاطعوا اولئك المنشقين ، مستنكفين عن اية مخالطة معهم او محادثة . واذ لحظ الاسقف المذكور واتباعه انهم في موقف حرج ، خافوا سوء المغبة والانتقام واعتصموا بحماية جديدة من الحكومة . وللحال مدهم حاكم لبنان بفصيلة من الجنود عسكرت حول الدير المعهود .

غير ان مطران بعلبك الماروني ، يوحنا الحاج (البطريرك فيما بعد ١٨٩٠ـ١٨٩٩) همّه ذلك الامر فعمد الى مفاوضة المطران باسيليوس . وبفضل ما امتاز به هذا الحبر الماروني من سداد ومرونة ودهاء وغيرة ، تمكن من ارجاع زميله الارمني عن غيه وحمله على الاجتماع بالقاصد

الرسولي ، لوديفيكوس بيافي . وهناك ارعوى الاسقف الضال عن غروره وطلب الرجوع الى حضن الكثلكة. فعتقه القاصد من قيود الحرم واقتبله بغاية الحبور . وبذلك استعاد دير بزمار ماضيه وكل ما كان قد فقد من حالة ونظام (١) .

اذن ان الموارنة قد اغاثوا الارمن ، فشجعوهم على جهودهم في سبيل الوحدة وساعدوهم على ترسيخ اقدامهم في حقل الكثلكة (٢) .

---

(١) « تاريخ المقاطعة الكسروانية » وجه ٣٨٣ .

(٢) وكذلك كان الارمن الكاثوليك يجدون في الموارنة اخلص الاصدقاء واوفاهم . وقد كانوا يقرون ويجبرون بذلك الجميل عند كل فرصة . فان الاب ارسانيوس عبد الاحد من حلب (رئيس رهباننا اللبنانيين ١٧٤٢—١٧٤٤ ، ومطران دمشق الماروني فيما بعد) عندما سافر الى رومية عام ١٧٤٢ لينقذ رهبانيته من الديون الكثيرة ، زوّده ابراهيم بطريرك الارمن ، وهو مقيم اذ ذاك في دير الكريم ، برسالة توصية جميلة الى رئيس مجمع نشر الايمان المقدس عرض فيها مفصلاً عن فقر الرهبانية ووجوب مساعدتها . وقرّظ رهباننا على مبراتهم الجليلة واسهب في الايضاح عن نجاحهم الباهر في رسوليتهم وعما يلقون من سهام الحسد « يسددها اليهم اعداء كل خير » . ثم مدح ايضاً نهضتهم الى حماية المضطهدين، ابناء الكنيسة ، وانقاذ المسيحيين من ايدي غير المؤمنين .

وعندما ذهب ذلك الامير الماروني الخطير ، بشير شهاب الكبير حاكم لبنان العظيم ، ضحية تلك الدسائس السياسية العثمانية الهائلة ، فاعتُقل ونفي الى مالطه فالاستانة حيث مات عام ١٨٥٠ ، غنم الارمن الكاثوليك رفاته ودفنوه في كنيستهم هناك .

فهل من طريقة لخدمة الكنيسة انجع مما تقدم ؟

٦ً — المظالم التى تكبدها الموارنة

لعمري ان ما ظهر من مشاق الموارنة وجهدهم وغيرتهم قد طرحهم مطارح الويل والثبور . فان البطريرك يعقوب عواد قد تحامل عليه بعض ارمن الارثوذكس بالتهم عدواناً ، فجرّوا عليه البلص الجائر ، لانه نجى يعقوب مطران مرعش من الهلاك المحتم ، وقد اضطهده شعبه واجبروه على رشق البابا لاوون القديس والمجمع الخلكيدوني المقدس بالحرم (١). وهذا الاسقف قد هدى زميله اسقف ماردين الى حظيرة رومية، ومعه جمهور غفير من ارمن سورية وما بين النهرين . وجاء لبنان ونزل السنين

وحينما انُتخب بطريركاً مارونياً يوسف حبيش مطران طرابلس سنة ١٨٢٣ عهد الى الاب باسيليوس دوروسون ، من رهبان الارمن في دير الكريم المعهود ، الموجود وقتئذ في رومية ، بان يلتمس له درع التثبيت مع التفويض بمنح الغفران الكامل . فقام باسيليوس بالمهمة على وجه النجاح واستحصل لغبطته غير ذلك من الانعامات والامتيازات . (طالع « تاريخ الرهبانية » للاب بليبل ، مجلد اول ، وجه ٣٨٩ . ثم المشرق، مجلد ٢٢ (١٩٢٤) صفحة ٥٧١ . ومجلة « L'Orient Chrétien » سنتها ١٩ ، صفحة ٣٤٢) .

(١) « Missions du Levant » مجلد ٩، كراس ٢، صفحة ١١١ وما يليها. ثم « صديقة ومحامية » للخوري بطرس غالب ، صفحة ٣٠٤ .

العديدة على البطريرك عواد المذكور في دير قنوبين (١) .

ثم قد هب بطريرك الارمن الغريغوري ، وبطريرك السريان اليعقوبي ينشدان الذرائع الفعالة لطرد الموارنة من حلب وبذلك يقضان المضاجع على المرسلين ويعرقلان سير الارتدادات . وقد كتب السفير البابوي في باريس اعلاماً بذلك رفعه الى ملك فرنسة في ٥ ك١ عام ١٧٢٣ قال:

« قام البطريركان المنشقان ، الارمني والسرياني ، يثيران الحفائظ والاضطهاد على الموارنة . فرفعا الوشايات الى الباب العالي ، زاعمين ان بطريرك الموارنة يأبى ان يتثبت انتخابه من السلطان، مجتزئاً عن ذلك بتثبيت الكرسي الرسولي . واستصدروا من ذلك الباب العثماني امراً اعلنه باشا حلب على الموارنة هناك يوجب عليهم لزاماً احد امرين: اما الخضوع لذينك البطريركين المنشقين واما الرجوع حتماً الى جبل لبنان (٢)»

واذ ذاك طلب السفير البابوي الى سفير فرنسة في الاستانة ان يتدخل في الامر . ففعل السفير الافرنسي . وحينئذ فوجئ الامر السلطاني في حلب بامر آخر ضده وقّفه عن التنفيذ شارطاً لقاءه مبلغاً من المال باهظاً . اما الموارنة فآثروا دفع المبلغ المفروض على العدول عن اعمالهم ومآتيهم الرسولية .

---

(١) « الدر المنظوم » وجه ١٠٦ .

(٢) « Missions du Levant » مجلد ٩ ، كراس c ، صفحة ١٣٤ .
« وصديقة ومحامية » للخوري غالب صفحة ٣٠٧ وما اليها .

وسنة ١٧٢٢ اصدر قاضي طرابلس حكماً او فتوى الغى فيها شكايات الارمن والسريان ، وقضى بان البطريركية المارونية هي عريقة في القدم وسلطتها شرعية مطلقة (١) . اذن فالموارنة لم يخضعوا قط لسلطة ارثوذكسية منشقة ، وبطريركهم لم يقبل قط تثبيت السلطان العثماني . وابناؤه استمروا في حلب ، بالرغم عن كل اضطهاد وعداء . وفوق ذلك قد ازدادوا هناك نمواً وازدهاراً محسوساً ، اذ ان قنصل فرنسة هناك كتب عام ١٦٨٦ قال: « ان موارنة حلب منذ ٥٠ سنة تقريباً كانوا عدداً ضئيلاً للغاية (٢) » . وبعد تلك الشكاوي والاضطهادات تجاوز عديدهم اربعة الاف نفس .

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، النص تركي ، وجه ٨٨ .

(٢) « Missions du Levant » مجلد ١٠ ، كراس h ، وجه ٥٧ وما بعده .

الفصل الثانى

فى الكلدان والاقباط

١ً **الكلدان** : تاريخهم . ـــ بطريركهم سُولاقا . ـــ ايليا الرابع والانبا آدم . ـــ اندراوس اسكندر . ـــ استفان عواد . ـــ جبرائيل دنبو ورهبانيته . ـــ الابوان ريكادونا وريللو . ـــ المطران جرمانوس فرحات .

٢ً **الاقباط** : شيء من تاريخهم . ـــ الفرنسيسكان في مصر . ـــ يوسف السمعاني . ـــ تعديلات اجراها الكرسي الرسولي في الكنيسة القبطية .

اذا كان الكلدان والاقباط ، على بعدهم السحيق عن لبنان ، لم يستفيدوا من غيرة الموارنة ومحبتهم ، قدر ما نال الآخرون من غير طوائف ، فمع ذلك قد ادركوا في ظروف شتى ما كان عليه الموارنة من الميل والاستعداد لمناصرتهم وانجادهم عن قلب ملؤه الاخلاص والغيرة.

اولاً : فى الكلدان

ان الطقس الكلداني في اللغة الكلدانية، اوجده النصارى الشرقيون في البطريركية الانطاكية ، واخذوا اوضاعه الاساسية من سورية. وابناء هذا الطقس يؤلفون اليوم فئتين هما : الكلدان الصرف، وسريان الملابار.

اما موضوعنا الآن فداره على الكلدان صرفاً .

هؤلاء الكلدان هم كنيستان . احداهما منفصلة عن رومية، وابناؤها من اتباع نسطوريوس . والاخرى متحدة مع رومة ، وقوامها الكنيسة الكلدانيـة الكاثوليكية . اما الكنيسة النسطورية فكان تأسيسها قبل الكنيسة اليعقوبية. فان السريان الشرقيين اعتنقوا بدعة نسطور، وحرمهم مجمع افسس عام ٤٣١ (١) والاكثريه الساحقـة منهم تقيم في بـلاد كردستان (٢) . وبطريركهم مقره في قوتشانس . والبطريركية عندهم وراثية تتعلق باسرة واحدة ، جرياً على تقاليد اليهود التي كانت ترسم بان الكاهن الاكبر او الحبر يجب ان يكون من اللاويين (٣) .

* * *

---

(١) اعتنق السريان الغربيون بدعة « توحيد الطبيعة » في المسيح ، وانشقوا عن الكنيسة الرومانية عام ٤٥١ ، في المجمع الخلكيدوني .

(٢) بلاد مؤلفة من مادي وفارس والعراق الغربي والجزء الشرقي من تركية. (المترجم)

(٣) وعندما توفي البطريرك شمعون دنحو الملقب « ܒܪ ܡܡܐ » (ابن ماما) في العجم سنة ١٥٩٣ ، اعتمد خلفاؤه اسم « شمعون » وجروا عليه حتى يومنا . ومنذ عام ١٦٠٠ شرعت ادارة النسطوريين وسياستهم على يد بطريركين، احدهما في العجم باسم « شمعون » والآخر في بلاد « ما بين النهرين » باسم « ايليا » . وكلا البطريركين كان الحلقة الاولى لسلسلة طويلة من خلفائه البطاركة : سلسلة « شمعون » وسلسلة « ايليا » .

على ان الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية بدأت في التكوين والظهور منذ الجيل السادس عشر . ومرجع الفضل في ذلك المشروع الجلل انما

اما الشماعنة فبعد عهد عهيد نقلوا كرسيهم الى مدينة قوتشانس في بلاد كردستان. واما اتباع ايليا فكان مقرهم الدائم في « ما بين النهرين » . واختصوا بهم لقب « بطريرك بابل » . ومن غريب النوادر ان احدهم ، ايليا السابع ، جلس على الكرسي البطريركي ٥٣ سنة ، في اثنائها توالى على عرش رومية ست باباوات هم : بنديكتوس ١٣، اكليمنضوس ١٢، بنديكتوس ١٤، اكليمنضوس الثالث عشر ، والرابع عشر ، وبيوس السادس . وكان البطريرك المذكور حريصاً دائماً على رفع الرسائل لى كل من اولئك الاحبار الرومانيين يعلنهم فيها طاعته لهم وتعلقه بالسدة الكاثوليكية عن تمام الاخلاص . وادركته الوفاة عام ١٧٧٨ .

ثم جاءت بعد ذلك سلسلة ثالثة من البطاركة باسم « يوسف » . وكان ارتباط افرادها بالبابوات على اتصال دائم ما عراه انقطاع قط . غير ان يوسف مطران آمد انفصل عام ١٦٥٧ عن البطريرك ايليا مع جمهرة ساحقة من رعيته ، واعترف بالعقيدة الكاثوليكية هو وعشيرته . ومن جراء تكثلكه احتمل اضطهادات قاهرة ولازم السجون طوال اعوام سبعة . وسنة ١٦٨١ اعلنه البابا اينوشنس الحادي عشر بطريركاً على الكلدان الكاثوليك . عندئذ نقل البطريرك الجديد كرسيه الى آمد فوطدها هناك ، وتأثره خلفاؤه في ذلك الى اجل مديد . ولما حلت سنة ١٨٣٠ جلس على بطريركية الكلدان يوحنا هرمز ، مطران الموصل فاثبته الكرسي الرسولي ومنحه لقب « بطريرك بابل » . ومنذئذ اخذ المقر البطريركي الكلداني يتراوح بين الموصل وبغداد . (طالع P. Samuel Giamil في كتابه « Genuinae relationes inter Sedem Apostolicam et Chaldaeorum Ecclesiam » وجه ٣٣ — ٤٣ . ثم المشرق ، مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٨٢٤ .)

هو الراهب سولاقا رئيس دير الربان هورميز (القديس هرمزدا) في جوار الموصل. فانه عندما انتخب بطريركاً بصوت جمهرة من الشعب، بادر حالاً بالسفر الى رومية عام ١٥٥٢، وهناك اعلن اعترافه بالايمان القويم امام البابا يوليوس الثالث. فرسمه الحبر الاعظم اسقفاً في ٢٠ نيسان سنة ١٥٥٣. وبعد ٨ ايام رفعه الى السدة البطريركية مجلواً باسم «يوحنا». ومنحه درع التثبيت في كنيسة القديس بطرس العظمى في حفلة حفلت بجماهير المؤمنين الغفيرة. على ان هذا الراعي الجديد ما رجع الى وطنه حتى نكبه الاعداء باضطهاد شديد الهجير اذاقوه فيه مرأر السجون اربعة شهور ثم شنقوه عام ١٥٥٥. اما خلفاؤه فحافظوا على الارتباط برومية، ما خلا بعض سقطات شذّ بها بعضهم عن سراط الكثلكة (١).

* * *

عام ١٦١٠ كلّف البطريرك ايليا الرابع (٢) احد رهبانه الانبا آدم، بان يحمل صك اقراره بالايمان الى الكرسي الرسولي. لكن آدم لم يدرك رومية قبل عام ١٦١٢. اذ انه عرّج على لبنان حيث رحّب به الموارنة

---

(١) Giamil المعهود، في محال مختلفة من كتابه المذكور. ثم المشرق، مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٨١٧ وما يليها، و ٨٧٨ وما بعدها.

(٢) «Doc. inéd.» مجلد ٢، وجه ٤٢٣. وهو ايليا السادس على ما رأى المشرق، مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٨٢٦.

وغمروه بكرم اخوي نادر . فان البطريرك يوحنا (الاهدني الآنف الذكر قد زوّده برسائل توصية توسّل فيها الى الحبر الاعظم بولس الخامس ليشمل آدم بكنف حمايته ويأخذه بعين كبيرة من الحنان الابوي . فاجاب الحبر الروماني ببراءة رسولية تاريخها ٨ نيسان سنة ١٦١٤ ، وجهها الى البطريرك مخلوف ونائبه جرجس عميره مطران اهدن (البطريرك فيما بعد كما سيأتي) وهذا مؤداها :

« ... ان الراهب آدم قاصد بطريرك بابل الكلداني الذي توصيتم به لدينا بمحبة حارة ، قد اهتدى الى الكثلكة . فانه بعد مجادلات طويلة مع علماء اللاهوتيين في الكنيسة الرومانية ، وبعد مطارحات ومداولات عديدة ، دامت اكثر من سنة نوّر المسيح عقله فعرف الحقيقة وكفر بمذهب نسطوريوس وديوسقوروس (١) » .

واذ انجز الانبا آدم مهمته في رومية ، سلمه البابا براءة الى بطريركه يهنئه فيها على رغبته في اعتناق الايمان الكاثوليكي ، ثم يدعوه الى عقد مجمع مليّ يزيد فيه توطيد الارتباط بالكرسي الرسولي ، وفي ختامها يقول :

« ... اننا امرنا بكتابة كل ما رأينا من المعلومات موافقاً لولدنا العزيز آدم ، رئيس ديركم ، وشرحناها له بمنتهى الامانة والدقة . ثم امرنا بترجمتها الى لغتكم الكلدانية وارسالها الى اخوتكم » . وقد امر البابا بذلك العمل ليسهل على الكلدان

---

(١) « Bullarium Maronitarum » مجموعة البراءات البابوية ، للاب طوبيا العنيسي ، وجه ١٢٥ .

رجوعهم الى العشيرة الكاثوليكية (١) .

اما المعلومات التي حكى عنها الحبر الاعظم فهي : تعداد هرتقات نسطور وتجاديفه وافتراءاته التي اعلنها المجمع الافسسي المقدس ؛ رسالة القديس كيرللس الى نسطور ؛ اعمال المجمعين المسكونيين الخامس والسادس ؛ براءة البابا بولس المذكور الى ايليا الرابع بطريرك الكلدان ، مع معلومات اخر منوطة به (٢) .

وقد عهد ذلك البابا ، الى مارونيين هما المطرانان اسحق الشدراوي ويوحنا الحصروني ، بترجمة تلك الكتابات من اللاتينية الى الكلدانية ؛ ثم بترجمة رسائل البطريرك الياس ، واعترافه بالايمان من الكلدانية الى اللاتينية . وهكذا ادّى العلامتان الشدراوي والحصروني تلك المهمة بالنشاط الحار والامانة الدقيقة ، كما شهد بذلك البابا بولس الخامس عينه في رسالته المعهودة الى البطريرك مخلوف ونائبه المطران عميره . واليك بعض ما جاء فيها :

« ان المجهودات المشتركة التي بذلها ولدانا الحبيبان ، يوحنا الحصروني واسحق الشدراوي من متخرجي مدرستنا المارونية ، كانت جدّ مفيدة لاتمام هذا العمل ، واستحقت رضانا الكامل . فانهما كانا امينين ونشيطين للغاية في ترجمة ما رأيناه ضرورياً من المدونات اللاتينية الى الكلدانية ، ومن الكلدانية الى اللاتينية . نعلمكم بذلك

(١) المشرق ، مجلد ٣ (١٩٠٠) ، وجه ٨٢٦ .

(٢) يوسف لويس السمعاني في كتابه « De Patriarchis Chaldaeorum et nestoriorum commentarius » ، صفحة ٢٣٦ .

توفيراً لقلبكم على التعزية والفرح ، وايعازاً لكم بان تعيروا هذا الامر الرسولي جل اهتمامكم ، خصوصاً متى تأكدتم انه كان لكم عليه يد بيضاء فعالة (١) » .

ولما ترك آدم رومة، ارسل البابا بولس المذكور، الى البطريرك مخلوف المتقدم ، يوصيه باستقباله عن محبة خالصة « واعتباره كولد عزيز جداً على قلب قداسته » (٢) . وقد ارسل قداسته كاهنين، برفقة آدم، من اليسوعيين هما : الاب يوحنا مرياتي (Marietti) من رومية ، والاب بطرس المطوشي (Metochita) الماروني القبرسي (٣) . وسلّمهما رسالة الى البطريرك الماروني اعلن فيها انه ، بناء على التماس آدم وتوسلاته الحارة ، ارسل هذين القاصدين ليكونا شاهدي عيان على ما يبدي بطريرك الكلدان واساقفته من حسن الاستعداد، ويساعدانهم على تتميم ارتدادهم الى حضن الكثلكة . ودونك بعض ما يقول قداسته :

---

(١) « Bullarium Maronitarum » للاب عنيسي وجه ١٢٥ . ثم المشرق ، مجلد ٢٣ (١٩٢٥) وجه ٤٢٥ .

(٢) الاب عنيسي في المحل المذكور .

(٣) ولد بطرس المطوشي في قبرس سنة ١٥٥٩ ، تخرج في رومية ثم اعتنق الرهبانية اليسوعية سنة ١٥٩٧ ، وعُهد اليه بتدريس العربية في الجامعة الرومانية، وبعد عودته من بين النهرين تعين رئيس الرسالة اليسوعية في جزيرة صاقز . وعام ١٦٢٢ اعيد الى المدرسة الرومانية مديراً روحياً للطلبة . والّف كتاباً في « نحو العربية وصرفها » ، ثم كتاباً في اللاهوت الادبي . واشترك مع الكردينال القديس بلرمينوس اليسوعي بفحص الشحيم الماروني، الذي طبع في رومية سنة ١٦٢٢ . وتوفي سنة ١٦٢٥ . (طالع المشرق مجلد ٢٢ (١٩٢٤) وجه ٣٤٣) .

« وقد امرناهما بان يعرضا عليكم كل ما جرى حول ذلك في رومة ، وكل ما سيجري عند بطريرك الكلدان . ثم حثثناهما على الارتشاد بآرائكم ونصائحكم ويتقيدا بها في العمل . وبما ان ثقتنا جد كبيرة ومتينة في غيرتكم واقدامكم وخبرتكم وحكمتكم وسدادكم نرجوكم غاية الرجاء ان تمدوهما بوسائلكم وترشدوهما الى كل ما يجب عمله (١) » .

بيد ان رسالة ذينك القاصدين البابويين لم تصب النجاح المنشود . لان بطريرك الكلدان كان يبدي تمحلات وتلكؤات . وقد طلب الى البابا ان يبدل له اليسوعيين بالفرنسيسكان (٢) . اما ذلك البابا الحليم فنزل عند ذلك الطلب (٣) . وعام ١٦١٦ عقدت اسقفية الكلدان مجمعاً في آمد، حضره الاب توما دي نوفار (Novarre) حارس الفرنسيسكان في حلب، ومعه احد رهبانه الاب مرسلين دي سيفيزا (Civizza) (٤) . وارسلت مقررات ذلك المجمع الى رومية في تلك السنة عينها . وحينذاك وكل الكرسي الرسولي الى اسحق الشدراوي المذكور بترجمة تلك المقررات من الكلدانية الى اللاتينية ، وكلفه ايضاً السهر على طبعها (٥).

---

(١) الاب عنيسي ، وجه ١٢٧ . ثم « Documents inédits » مجلد ٢، وجه ٤٢٥ ، و ٤٣٦ ، و ٤٣٩ وما بعده ، و ٤٥٦ .

(٢) « الطائفة المارونيه والرهبانية اليسوعية » للاب شيخو ، وجه ١٠٨ .

(٣) Giamil المعهود ، عدد ٤٠ ، وجه ١٨٩ وما بعده .

(٤) المشرق ، مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٨٢٦ وما يليه .

(٥) « Documents inédits » مجلد ٢ ، وجه ٤٢٢ وما بعده .

نخرجت الى عالم الطباعة بعناية بطرس ستروزا (Setrezza) امين سر البابا بولس الخامس . هذا الامين البابوي خصّ الشدراوي المترجم بتعريف قيّم في مقدمته على ذلك المجمع المطبوع قال: « ... وان مترجم هذا المجمع هو الماروني اسحق الشدراوي ، رجل عالم ورع و « ملفان » في اللاهوت ، من خريجي المدرسة المارونية برومية (١) » .

وقد ترجم الشدراوي ايضاً من الكلدانية الى اللاتينية ثلاث قصائد مديح موجهة الى البابا بولس الخامس ، وقد نظمت في اختتام مجمع آمد . احداها من نظم البطريرك نفسه ، والاخريان نظمهما جبرائيل اسقف مدينة حسن كيفا (٢) . غير ان البابا بولس المذكور وجد اعتراف اسقفية الكلدان بالايمان مغايراً للمعتقد الكاثوليكي . ففنّد ذلك ببراءة رسولية ، تاريخها ٢٩ حزيران سنة ١٦١٦ ، لفت فيها الانظار الى النقاط المغايرة للعقيدة الحقة (٣) . واوعز فيها ايضاً الى بطريرك الكلدان برعاية المترجمين

---

(١) « المجمع الكلداني » طبعة ستروزا ، صفحة ٤٥ وما اليها . ثم Giamil صفحة ١٨٥ . والسمعاني يوسف لويس في كتابه المذكور ، صفحة ٢٣٢ وما يليها . والمشرق ، مجلد ٢٣ (١٩٢٥) وجه ٤٢٦ .

(٢) ستروزا في المحل عينه . والمشرق ، مجلد ٢٣ في المحل عينه ايضاً .

(٣) Giamil ، عدد ٤٦ ، وجه ١٦٠ وما بعده . ثم « Doc. inéd. » مجلد ٢ ، وجه ٤٢٧ .

الشدراوي والحصروني «اللذين شقيا كثيراً لاتمام ذلك المشروع الخطير» (١) .

* * *

عام ١٧١٩ بعث البابا اكليمنضوس الحادي عشر الكاهن الماروني ، اندراوس اسكندر (٢) ، الى الموصل ليجمع ما يجد من المخطوطات الكلدانية وغيرها . مرت ثلاثة ايام على وصوله تلك الديار ، ولم يقدر احدٌ من الكاثوليك هناك ان يساعده في بعثته . اذ ذاك هُدي الى صاحب مدرسة هناك اسمه القس خدر . فاستحضره اليه وقال له ما نصه بالحرف: « يا اخي القس خدر انا جائي من طرف البابا اشتري كتباً وما يقدر احد غيرك يقضي لي هذه المصلحة لكونك صاحب اسكول (٣) ولك جاه عند الناس » . فاجابه القس خدر بما حرفيته: « حباً وكرامة على الرأس والعين لاجل كرامة البابا اقضي لك ايش ما تريد (٤) » .

---

(١) المشرق في المحل الاخير ايضاً .

(٢) ولد في قبرس وتخرج في مدرسة رومية المارونية . وكلّفه البابوات جمع المخطوطات الشرقية من مصر وسورية وما بين النهرين . وتكبّد في اسفاره ورحلاته الرسولية مشاق جدّ قاهرة ، واقتحم اخطاراً كادت تودي بحياته . واتصل الى احراز جانب كبير القدر والاهمية من المخطوطات . وعمل مع الاعلام السماعنة على طبع بعضها . وتوفي حول سنة ١٧٤٠ . المشرق، مجلد ١٣ (١٩١٠) وجه ٥٨٣ ومابعده. ويوسف لويس السمعاني في كتابه المعهود ، صفحة ٤٢٠ .

(٣) لفظة كلدانية يونانية الاصل معناها : كتّاب التلاميذ ، والمدرسة .

(٤) المشرق ، مجلد ١٣ (١٩١٠) ، ص ٥٨٤ و ٥٩٢ .

قال ذلك واخذه الى بيته مع رفيقه الماروني ، الشماس ميخائيل حواء من حلب . وانزلهما عليه ضيفين موفوري الكرامة زهاء شهرين ، دون ان يدعهما يصرفان بارة الفرد من جيبهما . وبعد ان ظفر انداروس بضالته من المخطوطات العربية والكلدانية والسريانية، وعزم على ترك الموصل قال لخدر:

« يا اخي ان البابا اكليمنضوس قد وصاني ان اجيب ولدين من اولاد النساطرة ليتعلما في مدرسة انتشار الايمان للمجمع المقدس . وانا قد ابصرت عندك هذا كوركيس (احد الاولاد) منهم عقله طيب للغاية اريد ان تعطينيه لأوديه معي ليتعلم العلوم ويجيء » . على انه لم يفز بطلبه ذاك (١) . والذي جرى فيما بعد هو ان خدراً سافر الى رومية، فرافقه كوركيس وانخرط بين الدارسين في جامعة البروبغنده عام ١٧٢٥ (٢) .

* * *

---

(١) المشرق ايضاً في المحل المذكور .

(٢) ولد خدر سنة ١٦٧٩ من تبعة نسطورية . فتح لاولاد ملته مدرسة تولى هو ادارتها اكثر من ٣٠ سنة اقتبل في خلالها الكهنوت من يد بطريركه . ويقال ان مرسلاً كبوشياً هداه الى الكثلكة سنة ١٧٠٠ . غير ان يوسف لويس السمعاني الذي قضى مع خدر عدة سنين في رومية ، وكان له من اشد الاصدقاء اخلاصاً ، يؤكد ان اهتداء صديقه يرجع الى فضل انداروس اسكندر . ومهما يكن من امر ذلك فان النسطوريين ثارت نقمتهم على خدر لانه هجر صفوفهم وساعد انداروس قاصد البابا على بعثته . واذ تهددوه بالموت فرّ الى رومية فوصلها سنة ١٧٢٥ ، وفيها قضى بقية حياته . ولم يبلغ عام ١٧٥٥ حتى رقد بالرب رقاد القديسين . وخلّف

ودونك ايضاً مارونياً آخر هو العلامة استفان عواد السمعاني (المطران فيما بعد) اوفده الكرسي الرسولي الى الشرق سنة ١٧٣٥ في مهام تتعلق بارتداد الاقباط والنساطرة. فذهب اولاً الى حلب، ودخل في المفاوضات مع البطريرك النسطوري عن طريق المراسلة. وعند ما تأكد ذلك البطريرك ان زميله بطريرك الاقباط قد قدم خضوعه الى الكرسي الرسولي، بادر بارسال عريضة الى الخوري عواد المذكور، طالباً اليه التعليمات الضرورية، لاحقاق اتحاده مع رومية. واذ ذاك افضى اليه العلامة عواد بصك اقرار بالايمان ليقرأه ويوقعه (١). فامتثل البطريرك للامر ونزل عنده.

هذه التفاصيل استقيناها من العلامة السمعاني قاصد البابا في المجمع اللبناني. فانه كتب في ١٥ ت١ عام ١٧٣٦، الى الكردينال دي فلوري وزير ملك فرنسة لويس ١٥، يوصيه باستفان عواد مطران افامية (Apamée) المبعوث الى فرنسة ليلتمس حماية مليكها الى البطريرك الماروني. ومما

عدة تآليف منها: معجم آرامي — عربي — تركي في مجلدات ثلاثة. واوصى بكل متروكاته لمجمع نشر الايمان. وهو الذي توسط لدى الكرسي الرسولي فحصل للرسالة الدومينيكية الاذن باقامتها في بلاده سنة ١٧٥٠ (طالع لويس السمعاني وجه ٢٤٠. والمشرق، مجلد ١٣ (١٩١٠) وجه ٥٨١ وما بعده.

(١) «تاريخ الرهبانية اللبنانية» مجلد اول، صفحة ٢٢٧، وما اليها.

جاء في كتابة علامتنا هو : «... ان هذا المطران استحق الحبرية مكافأة له على ما تجشم من مشاق عنيفة طوال سنوات ثلاث متتاليـة ، في مصر وسورية وما بين النهرين ، حيث افلح في هداية بطريركي الاقباط والنساطرة ، الى الاعـتراف بان اعلى سلطة في كنيسة المسيح انما هي للبابا فقط . وقـد رفعا ايضاً الى قداسته والى مجمع نشر الايمان رسائل ضافية طافحة بآيات الخضوع والامتثال (١) » .

* * *

وفي مستهل الجيل ١٩ ، حدث ان جبرائيل دنبو (٢) ، من تجـار ماردين الاغنيـاء ، شفي باعجوبة من داء عضال كاد يورده حتفه . فطلّق تجارته وهجر اهله والدنيـا الى الحياة الرهبانية . واستشار في امر حاله مرسلاً كرملياً كان قد فحص دعوته ، فنصح له بالذهاب الى لبنان فيتهيأ فيه للاتجاه الجديد من حياته تحت ادارة رهبان مار انطونيوس الموارنة .

قضى دنبو بضع سنين في لبنان (٣) عاد بعدها الى بلاده ، وفي نفسه ان يعيد اليها الحياة الرهبانية بما كانت عليه من مجد وازدهار (٤) . وكان

---

(١) « Documents inédits » مجلد اول ، وجه ١٨٢ .

(٢) « بلاد الكلدان » للاب مرتين اليسوعي ، صفحة ٧٦ وما بعدها .

(٣) قضى دنبو سنتي التجربة الرهبانيـة في دير مار اشعيا قرب برمانا ، للرهبـان الموارنة الانطونيين (طالع المشرق ، مجلد ٣٠ (١٩٣٣) وجـه ٨٠٣ وما اليه .

(٤) الاب مرتين في نفس المحل .

في جيرة الموصل دير عريق له شهرته في التاريخ ، ولكن الخراب كان قد غمر معظمه ، هو دير « الربان هورميز » (١) . المؤسس منذ اواخر الجيل السادس . فانعشه دنبو بالترميم والتصليح وجعله مسكنه سنة ١٨٠٨ . ولم يمرّ عليه بعض الزمان حتى كثر تلاميذه المترهبون، فحملوه عام ١٨١١ على اقتبال الدرجات المقدسة .

وحينئذٍ اختار قوانين الرهبان الموارنة وشرع ينشيء عليها رهبانه السنين الطوال . حتى اوجد منهم جمهوراً مفعم الصدور بالتقوى والغيرة، دائباً في الوقت عينه على اذاعة الانجيل ونشر نوره على الشعب النسطوري في كردستان (٢) . ثم سافر الى رومية سعياً وراء الحصول على تثبيت رهبانيته لدى الكرسي الرسولي . واخذ برفقته كاهنين هما : القس بولس جندي والقس فيلبس تلكيبي . فعرج في طريقه على لبنان ، حيث وجد عند الموارنة اجمل الترحيب ، وترك بينهم القس فيلبوس لعسره المالي ، وواصل السفر الى رومية محتفظاً بمرافقة القس جندي . وهناك استمر ثلاثة اعوام مغموراً فيها باسباب العطف والاحترام (٣) .

---

(١) القديس هرمزدا.

(٢) « Jur. Pontifi » مجلد ٥ ، وجه ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٨١ ، وما يليه .

(٣) « Orient Chrétien » مجلد ١٦ ، وجه ١١٧ .

وعند رجوعه الى ما بين النهرين عام ١٨٣٠ ، جاء الابوان ارميا وانطونيوس الكلدانيان . اما القس جندي فظل في رومية بصفة وكيل رهبانيته لدى الكرسي الرسولي (١) . وتزود دنبو اذ ذاك من رئيس مجمع نشر الايمان الكردينال كابيلري (Capelleri) رسالة توصية به الى بطريرك الموارنة يوسف حبيش الآنف الذكر ، تاريخها ١٢ حزيران سنة ١٨٣٠ وهذه ترجمتها: « . . . نقدم لاخوتكم الاب جبرائيل دنبو رئيس رهبان الكلدان في دير القديس هرمزدا ، وقد اتى رومية لتثبيت قوانين رهبانيته . ومكث فيها ثلاث سنين . وهو الآن راجع الى وطنه بعد ان استوثق من ان قوانينه قد قبلت وانها ستنال التثبيت الرسولي ، حينما يصير انجاز من اصلاح ديره وترميم خرابه . وكم يسر هذا المجمع المقدس عندما يعلم ان غبطتكم قد رحبتم بالاب دنبو في مروره بلبنان ، وغمرتموه بما انتم مفطورون عليه من اللطف والرفق والمحبة المسيحية . فان ما ظهر على هذا الاب من المثال الحي للحكمة وصلاح الاحدوثة والثبات النشيط ، طيلة اقامته في رومية ، حمل المجمع المقدس على وضعه تحت حمايته الخاصة للغاية .

« زد على ذلك ان هذا المجمع يتمنى من صميم الفؤاد ان يستعيد دير القديس هرمزدا مجده القديم . وسيكون ارتياحنا عظيماً ايضاً ، لدرجة لا غاية بعدها ، اذ نتحقق اقدام غبطتكم على امداد الاب دنبو بما لديكم من مساعدات لابلاغ مشروعه الى الغاية المبتغاة . اسألكم هذا الاحسان باسمي واسم كل فرد من اعضاء مجمعنا المقدس . وثقوا ايها السيد الجليل اننا سنحفظ اصدق العرفان واعمقه لكل

---

(١) المرجع المذكور صفحة ٣٤٩ .

ما ستؤدون من مناصرات للاب دنبو ، وتغمرونه به من العطف والعناية (١) » .

استقبل البطريرك الماروني الموما اليه الاب دنبو بمحبة فائقة، اعتباراً لفضائله اولاً ثم لتوصيات الكرسي الرسولي العزيزة . وفوق ذلك تكرّم عليه برقيم بطريركي وجّهه الى ابنائه الموارنة ، من اكليروس وشعب ، يوفره فيه على الكرامة ورعاية الجانب اينما حلّ في ربوع لبنان . ذلك الرقيم تاريخه ١٣ آب سنة ١٨٣٠ ، ونصه الحرفي هو ما يلي :

« ان كل ناظر وسامع فليكن على تحقيق . انه لقد حضر لعندنا الاب جبرائيل دنبو رئيس رهبان دير القديس هورمزدا الكلي الاكرام وسلمنا تحرير التوصّي فيه لنا من مجمع انتشار الايمان المقدس المسطر في اليوم الثاني عشر من حزيران بهذا العام ويذكر سموه عن ولدنا الكاهن المذكور انه استحق ان يؤخذ تحت حماية نيافته الخصوصية ويظهر لنا وافر انعطافه لان يحتضن منا باللطافة والبشاشة وبروح الحب والود المسيحي وان توسلاته في رومية انقلبت في شأن اثبات قانون رهبنته وفرائضها،ومن ثم قد قبلناه باوفر اكرام واتم لايق وسلمناه سطورنا هذه لايضاح ما ذكرناه ولكي،هو ورفيقيه الكلدانيين انطون وارميا،يقبلا في كنائسنا ويخدما بها القداس الالهي حسب طقسهم الكلداني المقبول من بيعة الله . حرر في ١٣ آب عام ١٨٣٠ » (٢) .

الحقير يوسف بطرس
البطريرك الانطاكي

وبعد ان جمع الاب دنبو المساعدات والصدقات من لبنان ترك ين

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٣ ، وجه ٢٦٨ .

(٢) المرجع عينه صفحة ٢٦٩ .

الموارنة القس انطونيوس المذكور وعاد الى ما بين النهرين يصحبه القس ارميا المنوه به . وهناك انصرف للرسالة فوراً وبكل غيرة واقدام (١) . وعام ١٨٣٢ كانت وفاته شهيداً تحت ضربات السيوف وطعنات الخناجر اوقعها به جنود محمد باشا امير الاكراد في رواندز ، وقد ثار على الباب العثماني وجرّ على تلك البلاد ويلات النهب والتقتيل والتفظيع (٢) .

لعمري ان دم هذا الشهيد الرسول كان زرعاً مخصباً لاولاده الروحيين ولبلاده الكلدانية . فان رهبانه جابوا البلاد النسطورية وبسطوا عليها لواء الانجيل فاكسبوا الكنيسة تلك الشعوب سكان ابرشيات العقر والعمادية وزاخو وسعرت والجزيرة (٣) . واتحفوا ملتهم باكثرية جلى من الاساقفة والبطاركة (٤) . ومنحهم الكرسي الرسولي تثبيت قوانينهم النهائي عام ١٨٤٥ (٥) . واضحى دير القديس هرمزدا اماً لهم ينضم اليه ديران آخران هما : مار كوركيس ، الذي جددوه سنة ١٨٦٢ ؛ ومارت مريم

---

(١) « Orient Chrétien » مجلد ١٦ ، وجه ٣٤٩ .

(٢) « Journal Asiatique » سلسلة ١٠ ، مجلد ٧ (١٩٠٦) ، وجه ٤٨٠ .

(٣) الاب مرتين ، صفحة ٧٨ وما بعدها .

(٤) «L'Orient Chrétien» مجلد ١٦ (١٩١١) وجه ٣٥٤ وغيرمواطن .

(٥) الاب مرتين ايضاً وجه ٧٧

وقد انشأوه عام ١٧٥٨ . وتقع هذه الديورة شمالي الموصل (١) .

* * *

وعام ١٧٣٧ اوفد الكرسي الرسولي الابوين منصور ديللو وبولس ريكادونا اليسوعيين في مهمة رسولية الى ما بين النهرين . وفي مرورهما بلبنان استصحبا كاهنين من الموارنة معوانين لهما في رسالتهما (٢) .

* * *

واسطع دليل تراه كشهادة ناطقة على ما ابدى الموارنة ، نحواخوتهم الكلدان ، من شديد المحبة والغيرة ، هو ما كتب جرمانوس حواء مطران حلب الماروني ، الى الشيخ بشاره الخازن (٣) في ٢ آب عام ١٨١٩ يوصيه باحد الكلدان . ودونك بعض ما جاء في ذلك : « ولا يجب ان تجهل ان الطائفة الكلدانية في حلب هي متعلقة بنا باوثق الارتباط . فان ابناءها محصون بين رعيتي في الامور الروحية عينها ، بمعرفة الكرسي الرسولي ، كما يمكنك ان تتحقق ذلك من بطريركنا الجليل » (يوحنا الحلو) (٤) .

---

(١) المرجع نفسه ثم وجه ٨١ .

(٢) المشرق ، مجلد ٣ (١٩٠٠) ، وجه ٨٨٣ .

(٣) « ترجمة الدويهي » للمطران شبلي ، وجه ١٤٤ ، حاشية ٢ .

(٤) وقد نشرت مجلة «المنارة» للرسالة اللبنانية الجليلة ، في المجلد ٦ (١٩٣٥) صفحة ٨٣٩ ، حادثة قيمة طريفة وقعت للمطران جرمانوس حواء المذكور ، رأينا عند ذكره ان نثبت مؤداها هنا تكملة للموضوع . تلك الحادثة رواها للمنارة الزاهرة

ثانياً : في الاقباط

كان ديوسقورس في الجيل الخامس كبطريرك على الكنيسة المصرية.

سيادة الحبر المفضال الغيور المطران مخائيل اخرس رئيس اساقفة حلب الماروني السامي الاحترام . وقد تلقاها سيادته رعاه الله ، عن لسان سلفه المثلث الرحمات المطران يوسف دياب الذي تلقاها بدوره ايضاً ، رحمه الله ، عن لسان سلفه الطيب الاثر المطران يوسف مطر معاصر المطران حواء والشاهد العياني للحادثة المذكورة، قال سيادته :

« اشتد الاضطهاد على الملكيين في حلب عام ١٨١٨ ، وضايقتهم الحكومة شديداً . وكان المطران جرمانوس حواء يتولى خدمة نفوسهم وسياسة شؤونهم ، من قبلئذ بسبع سنوات . فارسل اليه الوزير ، خورشيد باشا والي حلب ، امراً مشدداً ينهيه عن السماح للملكيين وغيرهم بالدخول الى كنيسة الموارنة (القديمة) . وكانت هذه الكنيسة قائمة في فناء واحد مع كنيستي الارثوذكس، الروم والارمن، يطوقه سور ذو بابين فقط كان مفتاحاهما بيد الارمن . اما المطران حواء فلبث يستقبل في كنيسته الملكيين وغيرهم من باقي الطوائف ، غير حافل بامر الوزير الوالي ، وعلى مرأى من جيرانه الارثوذكس . اما هؤلاء فاوغر العمل صدورهم وقام مطراناهم ووجوههم يكيدون للمطران حواء ورعيته . وبعد البذل الكثير ، من الجهد والمال الوفير، استحصلوا على فرمان سلطاني ينكر ويحرم على الحبر الماروني ان يقبل في كنيسته اياً كان من النصارى غير ابنائه الموارنة فقط . ثم سعوا ايضاً فاتبعوا الفرمان بامر آخر من الوالي المذكور ، اشد نكيراً واغلظ لهجة وتهديداً مما سبق . وكل ذلك لم يكن ليزحزح المطران حواء عن المضي في خطته المألوفة . اخيراً عيل صبر الغائرين الناقمين ، وبعد مدة توفقوا الى حمل الوالي على طلب المطران للمحاكمة .

امّ ذلك الحبر الباسل قصر الوزير بجبين وضّاح وجأش رابط، ودخل ردهة

ثم انحاز الى شيعة اوطيخا . وعام ٤٥١ حرم مجمع خلكيدونية بدعة

الاستقبال . فاذا الباشا الوالي يتربع الصدر وحوله المطرانان المناوئان ، متدثران بالثياب الفاخرة والذهب الوهاج ، يحيط بهما وجوه قومهما والاعيان . وظل الجميع جلوساً لم يقف احدهم للمطران الظنين . فسأله الوالي بوجه عبوس ، قال : « لقد امرناك مراراً ، وامرك الباب العالي ايضاً ، ان لا تقبل في كنيستك غير ابناء طائفتك . فلماذا خرجت على الاوامر فقبلت كل الطوائف ؟ » — اجاب المطران : اصلح الله مولانا الوزير . ان شئت ان تطاع فمر ما يستطاع . وما امرتني به غير مستطاع لدي ، واليك البرهان : في ديانة المسلمين اربعة مذاهب ، الحنبلي والشافعي والحنفي والمالكي . فاذا كان الامام في الجامع حنفياً مثلاً ، والمصلون وراءه من المذاهب الاخرى ، فهل يخرجهم من الجامع ، ام انه يقبل الجميع من اي مذهب كان ؟ »

قال الوالي : « لا والله ، انه يقبل الجميع على السواء » . قال المطران : اذن وانا كذلك . فاني اقبل في كنيستي من كل الطوائف ، ولا يسعني ان ارفض احداً قط . حتى لو دخلت دولتك كنيستنا ، وانت غير مسيحي ، لا اقول لك اخرج » .

قال الراوي : « وكان المطران يلفظ هذه الكلمات بجسارة نادره » . واذ ذاك انتبه الوالي الى عائلة المطران النبيلة فبادره بالسؤال ، على غير انتظار من السامعين ، قال : « وما نسبك مع الياس بك حواء الشهير في الاستانة حالياً ؟ » قال المطران : « هو شقيقي » . عندئذ نهض الوالي فوراً وعانق المطران معتذراً اليه على ما فات . ثم اجلسه الى يمينه واقبل يحدثه قائلاً : « ان لاخيك مقاماً عظيماً ونفوذاً باهراً عند جلالة البادشاه (كذا) . فلمَ انت بهذه الحالة الوضيعة والثياب البسيطة ؟ ألست مطراناً نظير هذين ... ؟ فلماذا لم تدخل علينا بمثل ثيابهما المفوفة الناعمة ومظهرهما المزخرف ؟ » .

اجابه المطران : « ان سيدنا يسوع المسيح لم يعلمنا بالاخص سوى الفقر

« الطبيعة الواحدة » وخلع ديوسقوروس عن كرسيه . وحينذاك اغضب النصارى ان يروا بطريركهم محطوطاً خليعاً ، فنبذوا عقيدة خلكيدونية معاندين. ومنذ عام ٥٤٢ استعادت تلك الارتقة سياقها الكامل في الدرجات الكنسية . وعند الفتح العربي كان اتباعها قد بلغوا ستة ملايين تقريباً . اما اليوم فلا ينيّف عددهم على ثمانمائة الف . وهم يحتفظون ، منذ الجيل ٧ حتى يومنا ، بالطقس القبطي كاملاً ، لم يعتوره سوى القليل من التعديلات (١) . واللغة القبطية ، على تجانس حروفها من اليونانية ، هي قسيمة من لغة الفراعنة (٢) .

والكنيسة القبطية الارثوذكسية يتولاها بطريرك ، مقامه في القاهرة منذ الجيل ١١ . وهو اليوم لا يكون الا من مصاف رهبان دير مار انطونيوس ، في منطقة السويس . وهو الذي يدير ابرشيات القاهره

والتواضع » . فالتفت الوالي الى الحبرين المعهودين وشعبهما ، المنذهلين جداً مما بدا ، وقال : « ان الحق كل الحق بجانب هذا المطران التقي . ولم يعد عندي ادنى شك بان كنائس الملكيين المساكين قد اقفلت ظلماً وعدواناً ، ولذا فانا آمر بفتحها الآن . لان بيوت العبادة والدين ليست لشعب مخصوص بل هي لجميع المؤمنين » . قال الراوي : « وخرج سيادته من حضرة الوالي مادحاً العدل وشاكراً من عدل» .

(المترجم)

(١) « A travers l'Orient » للاب بيزاني (Pisani) وجه ٦٣ .

(٢) الكتاب عينه وجه ٣١٤ .

مباشرة . اما الابرشيات الاخر فيديرها احد عشر متروبوليتاً (رئيس اساقفة) واسقفان . اما الكنيسة الحبشية، البالغ مؤمنوها اربعة ملايين، فتعتزي الى شيعة « الطبيعة الواحدة » طبعاً على غرار الاقباط .

والنصرانية قد دخلت الحبشة منذ الجيل الرابع . ويقال ان تاجراً مسيحياً من سورية ابحر الى شواطىء الحبشة في عهد القديس اثناسيوس. ثم قصد الى العاصمة اكسوم (اذ ذاك) حيث كان يقيم الملك ، واستقر فيها تاجراً ذا كرامة ، يعمل سرياً على بث الديانة المسيحية . وعند موته اورث مهمته واشغاله شابين كانا ظاهراً كابني اخ له ، اما في الواقع فكانا من المرسلين وهما : فرومنتيوس وانيزيوس . اما الاول فذهب الى القديس اثناسيوس وعاد الى الاحباش اسقفاً ، وتكللت رسالته بنجاح مذكور (١) . وفي اواخر الجيل الخامس استؤنف التبشير في الحبشة بمنهاج اوسع واجد فعرفت تلك البلاد الدين المسيحي بطريقة رسمية ، ولكن بمذهبه الاوطيخي .

اما الاكليروس الحبشي فيرئسه « ابونا » او متروبوليت يختاره بطريرك القاهرة القبطي من عداد رهبان مار انطونيوس (٢) . وبهذه

---

(١) Pisani ايضاً ، وجه ٦٥ وما يليه .

(٢) المرجع المذكور صفحة ٦٩ .

النقطة فقط يرتبط الاحباش بالاقباط ارتباطاً روحياً . وبعد ان يذهب «ابونا» الى كرسي ولايته ، يصير في استقلال مطلق عن البطريرك القبطي ، فلا يؤدي له اي حساب . ويسوس كنيسة المملكة منفرداً مستأثراً ، تحيط به حاشية اكليريكية من الاعوان ذوي المراتب العالية . وليس هناك ابرشيات . وهو الذي يمنح الانعتاق من النذور ، ويولي الدرجات الكنسية ويمسح الامبراطور (١) . والطقس الحبشي ليس هو غير الطقس القبطي المعدل تعديلاً محسوساً جداً . ولغته الليتورجية هي «الجيزة» (Ghez) احدى اللغات السامية .

* * *

اصدر الكرسي الرسولي امره الى الآباء الفرنسيسكان، عام١١٥٣، ليزوروا الاقباط . وعام ١٣٢٥، انشأوا ديراً في الاسكندرية ، بامدادات مالية من رئيس مشيخة البندقية (٢) . فاوجدت اعمالهم الرسولية تلك النواة التي تكونت منها فيما بعد الكنيسة القبطية المتحدة . وكان الكرسي الرسولي دائماً يغتنم الظروف الموافقة فيمهد لهداية الاقباط . والموارنة كانوا ايضاً يناصرون الافكار والاماني الرسولية بكتاباتهم وخدماتهم الجليلة .

---

(١) المرجع نفسه ايضاً ، صفحة ٣١٤ .

(٢) نفس المرجع ايضاً ، وجه ٦٥ .

وسنة ١٥٩٨ ، ارسل جبرائيل بطريرك الاقباط وفداً ، قوامه ثلاثة من كهنته ، الى البابا اكليمنضوس الثامن ، لمعالجة بعض قضايا تتعلق بالانضمام . وقد اوصى البطريرك كهنته بان لا يستوسطوا تراجمة من غير الكهنة الموارنة في مدرسة رومية المارونية . ومما قال لهم: « ... فان هؤلاء هم جيراننا واصدقاؤنا ويحذقون لغتنا (١) » .

وقد ترجمت الى العربية اعمال المجمع الخلكيدوني الذي شجب بدعة « الطبيعة الواحدة » وحرمها وطبعت عام ١٦٩٤ « لفائدة الملتين القبطية والحبشية الكريتين وغيرهما من طوائف المشرق » . وكان داوود دي سان-شارل الواهب الكرملي ، وبطرس مبارك نائب البطريرك الماروني ، قد سبقا سنة ١٦٩٢ فاعملا فيها اعادة النظر والاصلاح (٢) .

وعندما عرف البابا اكليمنضوس الحادي عشر ان في مصر ثروة لا تقوّم ، من كنوز الادب المخطوطة ، بعث عام ١٧٠٠ ، احد الموارنة ، الخوري الياس السمعاني (اليسوعي وكاتب البطريرك الدويهي) (٣) ليزور مكاتب الاديرة في وادي النطرون بصعيد مصر ، وبنوع اخص

---

(١) المشرق ، مجلد ١٠ (١٩٠٧) وجه ٥٣٥ وما يليه .

(٢) المشرق في المحل المذكور . ثم « Doc. inéd. » مجلد اول صفحة ١٢٠ ، ٤٥٨ .

(٣) « المجلة السورية » للخوري بولس قرألي ، مجلد ٢ (١٩٢٧) ، وجه ١٤ وما يليه .

مكتبة « ديرام الله » هناك ، وعهده يرتقي الى الجيل السابع للميلاد الالهي ، وفيه طائفة كبيرة من المخطوطات تحمل تاريخ الجيل الخامس والسادس . فقام الاب السمعاني بالمهمة البابوية وحمل الى الفاتيكان اربعين كتاباً مخطوطاً قدمها للمكتبة الفاتيكانية (١) .

ثم عاد ذلك البابا نفسه فعهد عام ١٧٠٧ ، الى الراهب الماروني اللبناني جبرائيل حواء (من حلب ومطران قبرس فيما بعد) برسالة بعثه فيها الى مصر ليفاوض الاقباط ويبت معهم امر الرجوع الى وحدة الكثلكة . فقصد الاب حواء مصراً وبذل من السعي والجهد الامر الكبير ، ليحقق رغبات الاب الاقدس . لكنه لم يحصل من النجاح المنشود على غير نصفه . فان الاقباط كانوا في ذلك العهد مسرحاً للانقسامات الاهلية(٢) . اما البابا المذكور فقد اهدى القس حواء دير القديسين بطرس ومرشللين في رومية ، اثابةً له على تضحياته في ارتداد اسقف قبطي بمصر . وجعل ذلك الدير يقوم برسالتين معاً هما : اتخاذه مدرسة للرهبان الموارنة اللبنانيين ، ثم بيت ضيافة لزوار رومية وقصادها المارونيين . وعند حلول سنة ١٧١٤ خصصه مجمع نشر الايمان بالرهبانية

---

(١) المرجع المذكور في المحل عينه .

(٢) « تاريخ الرهبانية » للاب بليبل ، مجلد اول ، صفحة ٥٨ .

اللبنانية دون سواها (١) .

وعام ١٧١٥ اوفد البابا اكليمنضوس الحادي عشر ايضاً العلامة السمعاني الكبير الى دير ام الله المذكور في وادي النطرون . فجمع محصولاً ، اوفر قدراً ، من المخطوطات اليونانية والسريانية والعربية واستنسخ منها ما أبى الرهبان بيعه ، مؤثرينه حتى على ما بوزنه ذهباً(٢). وهكذا اوجد علامتنا للمكتبة الفاتيكانية مجموعة من آثار العلم لا يعادلها ثمن ، وهي اليوم من اصل الينابيع لتاريخ الكنائس الشرقية . وتدبر السمعاني تلك المعلومات النفيسة مشبعاً اياها الدرس والتمحيص ، فانتج من ذلك مؤلفه العظيم « المكتبة الشرقية » فاتحاً به على بصائر العلماء في انكلترة وفرنسة والمانية ، فشرعوا يختلسون الفرص ولا سيما الانكليز ويؤمون مصراً ناشدين تلك الكنوز . وبذل الانكليز المبالغ الطائلة حتى اشتروا ما تبقى من هاتيك الكتب والاسفار ، وحملوها برمتها الى المتحف البريطاني (British Museum) فجعلوه بها من اشهر دور

(١) هذا الدير استخدم عام ١٧٢٥ مدرسة لابناء الرهبانية اللبنانية الموارنة التي اثبت قوانينها البابا اكليمنضوس ١٢ ؛ وبامر البابا بنديكتوس ١٤ باع الرهبان ذلك الدير عام ١٧٥٣ ، واشتروا ديراً عوضه في محلة « مار بطرس السلاسل » . وهو اليوم دير مارانطونيوس الكبير (تاريخ الكنيسة المارونية، للخوري غبريل، مجلد ٢ ، قسم ٣ ، وجه ٣٦٨) .

(٢) المشرق ، مجلد ٢٣ (١٩٢٥) صفحة ٥٨٦ .

الكتب واغناها مورداً للعلوم الشرقية (١) .

ثم عاد الكرسي الرسولي ، عام ١٧٣٥ ، فاوفد الى الكلدان والاقباط مارونياً آخرهو الخوري استفان عواد الآنف الذكر . فبدأ رسالته في مصر اولاً . وهناك بعد مداولات طويلة مع بطريرك الاقباط ، تمكن في النهاية من حمله على الاقرار بالسلطة الاولى للحبر الروماني ، كما يشهد بذلك السمعاني المعهود . وحبّر بيراعه العرائض الضافية حافلة بالخضوع الاخلص للكرسي الرسولي . ورفعها الى البابا بواسطة رئيس عام الرهبانية اليسوعية (٢) .

وفي السنة التالية ، ١٧٣٦ جاء لبنان العلامة السيد السمعاني الكبير ، حافظ المكتبة الفاتيكانية ، يرئس المجمع اللبناني باسم الكرسي الرسولي . وفي عهدته ايضاً مهمة رسولية اخرى كلّفه اياها البابا بشأن الاقباط . وكان سيادته مزوداً ببراءات بابوية ورسائل من مجمع نشر الايمان الى بطريرك القبط وملته ؛ فسلمها الى الاب حارس الفرنسيسكان في القدس الشريف . وهذا بدوره سافر الى مصر فاستقبله بطريرك الاقباط بارتياح كلي واعلن اقراره بالايمان الكاثوليكي (٣) اما الاقباط فطلبوا بالحاح

---

(١) المشرق . ايضاً في المحل المذكور ، وجه ٧٥١

(٢) « تاريخ الرهبانية اللبنانية » مجلد اول ، وجه ٥٨ .

(٣) المشرق ، مجلد ٢٥ (١٩٢٧) وجه ٥٢٧) .

معاينة السمعاني نفسه متشبثين بانهم يأبون احقاق ارتدادهم الا على يد سيادته (١). وهكذا جرى فان السمعاني عندما ترك لبنان عام ١٧٣٨، توجه الى مصر لينجز مهمته المعهودة (٢).

والى ذلك العهد كان الكرسي الرسولي يدير شؤون الاقباط الكاثوليك بواسطة نائب رسولي يختاره من مصاف المرسلين الفرنسيسكان (٣). وقد ادخل عليهم تعديلات خطيرة، منذ بعثة السمعاني الكبير، قوامها ان يتولوا هم ادارة شؤونهم تحت اشراف الفرنسيكان، بواسطة اساقفة منهم يعينهم البابا (٤).

وعندما استقبل البابا بنديكتوس ١٤ وفداً من اقباط القدس، فاعلنوا امامه ايمانهم الحقيقي، اصدر براءة رسولية في ٤ آب عام ١٧٤١، عيّن فيها الانبا اثناسيوس رئيس اساقفة القدس القبطي رئيساً على الاقباط المتحدين، وعيّن له جوستين مراغي نائباً عاماً مقيماً في مصر.

وفي ذلك الزمان عينه، كان في رومية رفائيل توخي مطران ارسينوس

---

(١) « تاريخ الرهبانية .. » مجلد اول، صفحة ٢٨٤. ثم « تاريخ الرهبان الموارنة في مصر » للقس بطرس الحويري، وجه ٩٥ وما بعده.

(٢) بليبل وخوري في نفس المحل.

(٣) Pisani المعهود، صفحة ٣١٢. والقس خوري في المحل المعهود.

(٤) Pisani ايضاً، وجه ٣١٣.

القبطي خريج البروبغندة « وقد دعي لتدريس لغته القبطية في الجامعة المذكورة . فاخذ يفحص كتب الطقس القبطي ويعيد طبعها يساعده على ذلك العلامة السمعاني جهبذ عصره الخطير وصديق الاقباط الحميم . وقد جاء خلفاً لأثناسيوس يوحنا فرارجي . ولما مات ، خلفه متى ريغيه(١) وهذه الحالة دامت حتى اواخر الجيل ١٩ (٢) . وعام ١٨٩٥ انشأ البابا لاوون ١٣ وضعاً جديداً للكنيسة القبطية ، فقسم مصراً الى ثلاث ابرشيات . وعيَّن كيريلس مكار بطريركاً على اسكندرية عام ١٨٩٩ .

اما اليوم فرئيس هذه الطائفة يحمل لقب « مدبر رسولي » . وعدد الاقباط الكاثوليك يبلغ ٢٥ الفاً ونيفاً ، يعيشون دائماً مع الموارنة بمصر على وفاق ، تغمرهم روح المسيح ومحبته .

---

(١) فرارجي وريغيه كلاهما تعين اسقفاً ، ولكن حوادث الايام حالت دون رسامتهما الحبرية .

(٢) Pisani صفحة ٣٠٩ . وخوري في المحل عينه .

الفصل الثالث

في الروم الملكيين

لمحة من تاريخهم . — البطاركة الاولون في الكنيسة الملكية . — زاخر وصايغ . — الرهبان الشويريون . الراهبات الملكيات . — ما اصاب الملكيين من الاضطهاد . — ما نال الموارنة من المظالم . — الروم المترهبون عند الموارنة . — الاوقاف والتبرعات . — جرمانوس آدم . — مكسيموس وجراسيموس . — يواصاف دهان . — صرّوف .

١ً لمحة من تاريخ الملكيين

ان الطقس المدعو في الغالب الطقس اليوناني والسائد في روسية والبلقان وبلاد الدانوب السفلى ، والخليج الشرقي في البحر المتوسط ،هو « والحق يقال الطقس البيزنطي الذي نشأ في القسطنطينية منذ الجيل الرابع الى العاشر ، مأخوذة مبادئه الاساسية من انطاكية بواسطة كبادوكية (١) وكانت لغته في عهدها اليونانية فقط . اما بعد ذلك فصارت تتبناه لغات الحكومات في كل بلاد دخلها . فتُرجم الى اللغات : الكرجية والسلافونية والرومانية . وعندما ادخل الى سورية ، اصطبغ باللغة العربية ، ان لم يكن على وجه عام ، ففي الاقل على وجه معتبر لا بأس به .

وابناء هذا الطقس في سورية كانوا يعتنقون مذهب فوتيوس

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٩ ، وجه ٣٣٢ .

و كيرو للاديوس . غير انه كان يوجد بعض جماعات من الروم متحدة مع رومية . لكنها متفرقة في انحاء البلاد ، ولا شمل لها . وقد وجد اساقفة بعض الاحايين ، حتى وبعض بطاركة ايضاً ، من كانوا على شعور كاثوليكي (١) . اما ان تكون وجدت للروم كنيسة كاملة الوضع متحدة مع رومية ، فذلك لم يكن قبل اواخر الجيل ١٧ حيث بدأ من البطريرك كيريللوس الخامس ان يوجد كيان كنسي كامل الوضع ومتتابعاً ، من البطاركة الملكيين المتحدين مع رومية ، تقابلهم كنيسة مستوفاة الدرجات والمراتب الاكليريكية ، ومتواصله دون انقطاع من البطاركة الارثوذكس (٢) .

بيد ان السلسلة الملكية ما عتمت ان عراها الانقطاع في شذوذ اثناسيوس الرابع خلف كيريللس الخامس . فان كيريللس هذا قد انتخب بطريركاً وهو ارثوذكسي بعد . لكن حياته انتهت في خضوعه للبابا الخضوع التام . اما خلفه اثناسيوس المذكور فقد كانت بداءته كاثوليكية ، وعند وفاته عام ١٧٢٤ ، كان قد رفض ان يعترف بالعقيدة

---

(١) «L'Orient Chrétien» سنتها الاولى ، وجه ٩٨ وما اليه .

(٢) « L'Orient Chrétien » سنتها ٣ وجه ٥٠٧ ثم « Echos d'Orient » مجلد ٩ وجه ٣٦٠ وما بعده .

الكاثوليكية (١). الا ان ملكيي دمشق ظلوا ابناء رومية وانتخبوا الاب سارافيم طاناس، تلميذ البروبغندة، خلفاً لاثناسيوس. فاعتنق اسم كيريلس السادس «وكان هو الذي انتدبته العناية الربانية ليوطد الكثلكة في قطيعه على وضع نهائي راهن (٢)». واتخذ اولئك المتحدون الجدد اسم «الروم الملكيون» تمييزاً لهم من الروم الارثوذكس (٣). وموطن الملكيين الرسمي هو سورية ولبنان. ويوجد منهم ايضاً فئة في فلسطين ومصر لا يستهان بها.

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٤، وجه ٣٢٧.

(٢) المرجع المذكور، مجلد ٥، صحيفة ١٩ وما اليها. والدر المنظوم ص ٨١.

(٣) اقرأ عن اصل الملكيين: الاب شارون في « Echos d'Orient » مجلد ١١، وجه ٣٥ وما يليه و٨٣ وما اليه. ثم المنسنيور اكليمنضوس، كتاب «القصارى» النص عربي في عدة مواطن. ثم «المنار» مجلة الملة الارثوذكسية في سورية، ١٠ شباط سنة ١٩٠٠. والمشرق مجلد ٢ (١٨٩٩) وجه ٥٨٨؛ مجلد ٣ (١٩٠٠)، وجه ٢٦٧ وما يليه؛ ومجلد ٤ (١٩٠١) صفحة ١٢٧؛ ومجلد ٥، (١٩٠٢) وجه ١٠٤ وما اليه، و ٩٥٧ وما يليه؛ ومجلد ٩ (١٩٠٦) وجه ٩٩٤ وما بعده، و ١٠٤٧؛ ومجلد ١٠ (١٩٠٧) وجه ٣٨٢؛ ومجلد ١٢ (١٩٠٩) وجه ١٥٤، الخ... ثم طالع للاب افنجيلوس عيد درسين: «في اصل الروم الملكيين» ٢٣ وجهاً؛ ثم «طائفة الروم الملكيين ومجلة المشرق» ١٨ صفحة. وللاب قسطنتين الباشا: «درس انتقادي في اصل الروم الملكيين ولغتهم» النص عربي، طبعة القاهرة، ٨٠ صفحة.

وقد قال الاب شارون (Charon) : « ان الملكيين ، في بطريركيتي اورشليم والاسكندرية ، يتعلقون بالبطريركية الانطاكية منذ الجيل ١٨ (١) . وان البابا غريغوريوس ١٦ ، عندما اثبت كل ما كان جرى منذ القديم ، منح البطريرك مكسيموس مظلوم انعاماً شخصياً قلّده به لقب بطريرك انطاكية واسكندرية واورشليم . ذلك الانعام كان يجب ان يجدّد بصورة خاصة لكل منتخب جديداً للكرسي البطريركي . وهذا يتحصل ، على ما يظهر ، من عمل البطريرك اكليمنضوس باحوط ، خلف مكسيموس المذكور . فانه حينما اراد ان يتقلد ذلك اللقب من تلقاء نفسه ، بادرته رومية بالمؤاخذات على ذلك (٢) » . ومقر البطريرك هو في الاغلب بدمشق ، ومنها تنبسط ولايته على المشرق قاطبة .

٢ً البطاركة الاولون
في الكنيسة الملكية

رأيت ان اول بطريرك ابتدأت به سلسلة البطاركة الملكيين ، انما

---

(١) ان البطريرك الملكي وان كان بطريرك انطاكية ، فقد تعين منذ عام ١٧٧٢ ، ان يكون ايضاً مدبراً رسولياً على اسكندرية واورشليم . (انظر شارون « تاريخ البطاركة الملكيين » مجلد ٣ ، كراس ٢ صفحة ٤٣٣ .

(٢) « Echos d'Orient » مجلد ٩ ، وجه ٢٧٥ . — كانت البطريركيات الثلاث مندغمة ولم تعرف انفكاكاً . ولكن بحسب مرسوم مجمع نشر الايمان في ٢٥ تموز سنة ١٧٧٢ ، بعهد رئيسه الكردينال كاستيللي ، ان الكرسي الرسولي يرتضي بان تنفصل هذه البطريركيات عن بعضها ، اذا جاءتها الظروف بما يضطرها الى ذلك » . (اطلب شارون « تاريخ البطريركيات الملكية » مجلد ٣ ، كراس ٢ ، وجه ٤٣٤ .

هو كيرللس الخامس في اواخر الجيل السابع عشر ؛ وعندما انتخب بطريركاً كان لم يزل ارثوذكسياً بعد . واعلم الآن ان البطريرك استفانوس الدويهي ، قد عالج ، في كثير من المباحثات الجدلية ، بعض العقائد الايمانية. منها « الوجود الحق لجسد ودم المسيح الاله في القربان الاقدس » . فاثبت ذلك البطريرك العلامة ان الجسد الالهي يتم حضوره ووجوده الحقيقي حالما ينتهي الكاهن من لفظ الكلام الجوهري . اما كيرللس الخامس فردّ على زميله الدويهي بان ذاك الحضور لا يتم الا بعد استدعاء الروح القدس . وحينئذ تعيّن ان تقام لذلك مجادلة .

وقد صدف ان يوجد الدويهي سنة ١٦٨٣ في دير القمر ، المركز الرسمي اذ ذاك لامارة الامير احمد بن معن حاكم لبنان (١) . فوافاه كيرللس الى هناك ، وبمعيته اربعة من مطارنته ، كان منهم افتيموس صيفي الشهير ، المؤسس الحقيقي للكنيسة الملكية الجديدة . بوشرت المجادلة بحضرة الامير احمد . فاظهر الدويهي من قوة الحجة وجلاء الشروح والبينات ما افحم مناظره كيرللس والزمه الاعتصام بالسكوت (٢) .

---

(١) الخوري غبرئيل « تاريخ الكنيسة المارونية » مجلد ٢ ، قسم اول ، وجه ٥٢١ .

(٢) المرجع عينه ، وجه ٥٢٣ .

وكان افتيموس اول المسلّمين بقضية الدويهي والمؤيدين تعليمه (١) .

اما كيريلس فاذ ناله العياء في ذلك التناظر الجدلي ، لم يتردد قط في اعترافه بالعقيدة الكاثوليكية . واعتنق معتقده الجديد ايضاً بعض من اساقفته ، في عدادهم مطران بيروت (٢) . وبعد ذلك الاجتماع كان المطران افتيموس يقول لكل من اراد سماع القول : « ان كنيسة الافرنج والموارنة هي كلية القداسة ، وهي الكنيسة الحقيقية » (٣) . وارسل كيريلس الخامس الى رومية صك اقراره بالايمان ، طالباً درع التثبيت ايضاً (٤) وتوفي في حضن الكثلكة عام ١٧٢٠ (٥) .

* * *

وخلفه اثناسيوس الرابع فاعلن رغبته بالاتحاد مع رومية . لكن ذلك لم يستمر طويلاً . فانه حين وفاته عام ١٧٢٤ ، ابى الاقرار

---

(١) « Lettres édifiantes » مجلد اول ، وجه ٨٧ وما بعده .

(٢) المرجع المذكور ، مجلد اول وجه ١١٨ . والمشرق مجلد ١٤ وجه ٦٤٩ . ثم « Echos d'Orient » مجلد ٤ ، وجه ٣٢٧ . ثم « Revue de L'Orient Chrétien » مجلد ٣ ، وجه ٨ وما اليه .

(٣) الاب بيسون المعهود ، وجه ١٦٠ وما بعد .

(٤) غبرئيل ، مجلد ٢ ، قسم اول ، وجه ١٣٦ .

(٥) المرجع المذكور صفحة ١٣٥ .

بالايمان الكاثوليكي (١).

***

وبعد وفاته عقد بعض الاساقفة مجمعاً في دمشق . فانتخبوا الاب سارافيم طاناس بطريركاً ، وهو ابن اخت المطران افتيموس صيفي. وكانت رسامته في ٢٠ ايلول عام ١٧٢٤ ، على يد نيوفيتوس اسقف صيدنايا ، وباسيليوس اسقف بانياس ، واوطيموس اسقف الفرزل (٢). وكان هو الذي اعدته العناية الالهية ليوطد الكثلكة رسمياً في البطريركية الملكية الانطاكية.

اتسم البطريرك الجديد باسم كيريلس السادس ، وارسل صك اعترافه بالايمان الى الكرسي الرسولي ، وهذا بدوره اعلن سنة ١٧٢٩ صحة انتخابه لكنه لم يمنحه درع التثبيت الا عام ١٧٤٤ على يد السيد عمانوئيل ، مطران بابل اللاتيني (٣).

اما الارثوذكس في حلب فقد مضّهم ذلك الانتخاب ، وخرجوا عليه فانتخبوا خلفاً لأثناسيوس الرابع المعهود ، هو سيلفستروس من

(١) غبرئيل ايضاً في نفس المحل . ثم « Echos d'Orient » مجلد ٤ ، وجه ٣٣٠ وما بعد .

(٢) غبرئيل ، مجلد ٢ ، قسم ٢ ، وجه ١٣٦ .

(٣) غبرئيل المحل عينه .

قبرس . هذا المنتخب دعمه بطريرك الفنار ، وبطريرك اورشليم ، فجاء من استنبول مسلحاً بفرمان سلطاني يعترف به بطريركاً على انطاكية، ويخوله ايضاً ان يوقف مزاحمه الكاثوليكي او ينفيه مع اتباعه (١) .

قدم سيلفستروس مدينة دمشق ليحطّ كيريلس عن منصبه ويسلمه الى الحكومة . اما كيريلس المسكين فقد فرّ الى لبنان يحتمي بالبطريرك الماروني ويستنصره (٢) فقبله البطريرك يعقوب عواد بملء العطف والارتياح ، وكتب بشأنه رسالة انفذها الى سفير فرنسة في الاستانة(٣). واذ علم سيلفستروس بذلك المسعى اشتكت صدره نار الغيظ والاحتدام وهبّ الى الانتقام . فهيّج والي طرابلس على البطريرك عواد المذكور . ومن ذلك كان ان طاردت القوات الحكومية ذلك البطريرك اللبناني المغيث المضيف كما سيجيء .

وجرى كيريلس الرابع على غرار خاله افتيموس صيفي فالغى الصوم والانقطاع السابقين اعياد: مار بطرس وبولس، وانتقال السيدة العذراء،

---

(١) « Lettres édifi. » مجلد اول ، صفحة ٤٦٩ وما يليها . ثم « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ١٨ وما بعده .

(٢) غبرئيل ، مجد ٢ ، قسم اول ، وجه ٥٦٤ ؛ وقسم ٢ ، وجه ١٣٦ .

(٣) المرجع المذكور في المحل عينه .

والميلاد الالهي (١) وابقى لهذه الاعياد بيرموناتها فقط (٢). وهذه الاحداث اوجدت في الطائفة حزبين : « المحافظون » « المجددون ». فالمجددون كان البطريرك يشد ازرهم ، فاسترسلوا في التفريط ، حتى اضطر البابا الى المداخلة فالغى مقررات البطريرك وامر ان يعود كل شيء الى وضعيته الاولى .

غير ان الاختلافات والمشادات لم تنقطع بل ان الكرسي الرسولي واصل عمله على توطيد السلام . فعهد الى الاب ميخائيل اسكندر من اهدن (٣) في رجوعه من روميه، ان يقوم بمهمة لدى كيريللس المذكور. وعام ١٧٣٢ رفع الاب اسكندر المذكور رسالة الى الكردينال زنداداري ينبئه فيها بانجاز مهمته التي وُكلت اليه ، وهذا نص الرسالة الحرفي :

---

(١) للملكيين ١٢ يوماً قطاعة لعيد مار بطرس وبولس، و ١٤ لانتقال السيدة العذراء ، و ١٢ لميلاد المسيح .

(٢) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، صفحة ٢٣ .

(٣) شخصية مارونية لامعة في الرهبانية اللبنانية ؛ ولد عام ١٦٧٩ ؛ ترهب عام ١٧٠٣؛ تقلب في اغلب المناصب الرهبانية وتولى رئاستها العامة (١٧٢٣—١٧٣٥) اولاً ، ثم تولاها ثانية في ٤ ت٢ عام ١٧٤١ وظل فيها حتى توفي في غرة ك٢ سنة ١٧٤٢ ، وعلى يده اولت رومية رهبانيته تثبيت قوانينها بعد جهاده في رومية ٥ اعوام لهذه الغاية .

« ... ثم اخبر جلالتكم عن حضرة سيدنا البطريرك كيريلس الروم الاكرم انني بحسب مرسومكم طلعت لعنده وكلمته بما اوصيتموني ان اكلمه به وسمعت خطابه فعلى الظاهر انه مليح لكن وسوم باطنه ليست مليحة لانه متموج كتموج الماء ... (اما فعله والكلام الذي نسمعه من الناس ما له نتيجة الثبات بحسب رسومكم بل على ما يبان ان نيته ثابتة على الفرض الذي هو فيه اعني تغيير طقوس الروم من رفع الصيامات والقطاعات وغيرها وقد حصل من ذلك بلبلة واختباطات كثيرة في طايفة الروم) وهذه الطايفة منقسمة الآن اربعة اقسام. قسم اراتقة. وقسم كاثوليكيين حافظين وسوم الروم. وآخرون لاتينيين. والبعض الآخر على رأي السيد البطريرك المذكور اعني مسلّمين الطاعة لرأي الكنيسة اللاتينية لكنهم مخالفين امر المجمع المقدس في وسوم طقوس الروم واسمهم في البلاد صيداويين لان هذا الرأي نشأ من المرحوم المطران افتيموس مطران صيدا خال البطريرك كيريلس (والذي رأيناه ان مرض طايفة الروم لا يقدر على شفائه الا الله وحده لان الانشقاق الحاصل صعب جداً زواله) اه » (١).

ولم يجعل كيريلس الرابع، ما ناله من المساعدة في لبنان، سراً في الخفاء، بل انه جاهر للبابا بنديكتوس ١٤ ان الموارنة كانوا يحبون الملكيين كثيراً « حتى ان بعض الاحبار الموارنة قد بلغوا من العطف والرعاية انهم منحوا كهنتنا ملء الولاية على رعاياهم » (٢). وعندما احس كيريلس بدنو اجله تنزل عام ١٧٥٩ لابن اخيه الصغير، اغناطيوس جوهر (٣)،

---

(١) « تاريخ الرهبانية .. » مجلد اول، صفحة ٢٠١ . وما يليها ؛ و ٢٢٧ وما بعد ؛ و ٣٣٩ .

(٢) « Echos d'or. » مجلد ١٦ ، وجه ٥٤٣ .

(٣) لم يكن عمر جوهر حينئذٍ الا ٢٧ سنة ، وهذا انقص بكثير مما يجب

الراهب المخلصي الذي جُلي اسقفاً باسم اثناسيوس. حينئذ بادر بعض الاساقفة فرفعوا الى رومية عرضاً عن ذلك الحدث. فابطل اكليمنضوس ١٣ تنزل كيريللس، بما انه خلاء من رضى الكرسي الرسولي، ورشق جوهراً بالمنع الكنسي (١). وعهد بالمنصب البطريركي الى السيد مكسيموس حكيم مطران حلب (٢). وفوق ذلك اوفد الى الملكيين قاصداً ومفوضاً رسولياً الاب عبدالاحد دي لانسيس (Lanceis) من الاخوة الواعظين مزوداً بكل التفويضات اللازمة (٣).

جاء هذا القاصد البابوي في ٢٥ حزيران عام ١٧٦١، الى دير المخلص حيثما كان الاساقفة مشايعو جوهر مجتمعين. فاطلعهم على اوراق قصادته وشرح لهم اسباب بعثته. وبعد مفاوضات ذهبت ادراج الرياح، ترك الدير ونزل الى صيدا. اما اولئك الاساقفة فبعثوا اليه برسالة اعلنوا فيها ان انتخاب جوهر كان مشروعاً، فلن يرضوا عنه بديلاً (٤).

لارتقاء الاسقفية كما تفرض القوانين (« Echos d'Orient » مجلد ٥، وجه ٨٦).

(١) رفائيل دي مرتينيس «الحق البابوي في نشر الايمان» قسم اول، مجلد ٤، وجه ٤٩، «كم هو عزيز دائماً».

(٢) مرتينيس المذكور، مجلد ٤، وجه ٥١ «حالما بلغنا».

(٣) مرتينيس ايضاً، مجلد ٤ وجه ٥٧ «كما تحقق عندنا».

(٤) مخطوطات مطرانية الروم الكاثوليك في بيروت، قطعة ٧.

اخذت تلك الامور المدى الطويـل ، فطلب القاصد الى الخوري انطونيوس، كاهن الموارنة في قرية جون (قرب دير المخلص) ليذهب الى الدير « فيقرأ على الرئيس العام والمدبرين البراءة البابوية (وبدؤها : كم هو عزيز دائماً Quam carasemper) التي تأمر بحط اثناسيوس عن منصبه ومنعه عن درجته، حافظةً الحل من ذلك للحبر الاعظم ؛ وتعلن ايضاً البطلان الجازم لكل اجراءاته البطريركية » . وكان على الخوري انطونيوس ان يعيد قراءة تلك البراءة ايضاً على اثناسيوس عينه ومطارنته (١). اجل ان تلك المهمة كانت من الوعورة والدقة بمكان ، ويُفتقر في تأديتها الى كثير من الشجاعـة ، ومع ذلك لم يتلكأ الخوري انطونيوس المعهود عن الامتثال لتتميمها (٢) .

على ان الامر قد انتهى اخيراً ، بعد الكثير من الأخـذ والرد . وذلك ان مكسيموس قد عاجلتـه الوفاة في تلك الاثناء . وانتخب الاساقفة اثناسيوس دهان بطريركاً مصطبغاً باسم تاودوسيوس السادس، واولته رومية تثبيتها (٣) .

٣ً صايغ وزاخر

انجبت حلب نقولا صايغ وعبد الله زاخر ، فكانا للطائفـة الملكية

---

(١) المخطوطات المذكورة ، قطعة ١٨.

(٢) وكان ذلك في ٤ تموز سنة ١٧٦١ .

(٣) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، صفحة ٨٦ وما يليها .

مفخرة ومجداً : الاول بكتاباته واعماله على توطيد الرهبانيـة الشويرية ، والثاني بمباحثه الجـدية الشهيرة . والاثنان حظيا من الموازنة بالنصيب الكافي من المساعدات الجليلة على احقاق ما تيهما . وبأي مقام كان الرأي باصلهما الكاثوليكي او الارثوذكسي وارتدادهما ، فمن المؤكـد الراهن ان الخوري بطرس التولاوي ، نائب البطريرك الماروني في حلب ، كان له من الفضل والتأثير على ثقافتهما العامية والدينيـة ما هو غني عن اي اثبات وجدال (١) .

* * *

في نهاية الجيل ١٧ ، وفي اوائل الثامن عشر ايضاً ، كان علم الادب العربي محصوداً في سورية بالمسلمين فقط . فان النصارى لم تكن كتاباتهم الا في اللغة العامية الدارجة . والاختلاف عظيم في الفرق بينها وبين اللغة الفصحى . وذلك كان عاملاً لا بأس به على الازدراء بالنصارى (٢). ومعلوم ان مارونياً من حلب هو نابغتها جبرائيل فرحات (المطران فيما بعد) كان السابق الاول الى استجار الشيخ سليمان الحلبي بمرتب مالي درس عليه اصول الصرف والنحـو . وعندما ملك ناصية الضاد واستكنه

(١) المشرق ، مجلد ٣ (١٩٠٠) صفحة ٣٦٠ ، و ٦٧٠ ، و ٧١٩ ، و ٩١٥ ثم (« Echos d'Orient » مجلد ١١ ، وجه ٧٣ وما يليه ؛ و ٢٢٤ وما بعده .

(٢) « Echos d'Orient » مجلد ٥، وجه ٨٤ .

جميع اسرارها ، بادر الى الافاضة من معارفه على ابناء دينه .
« وكان هو المسيحي الاول الذي ألف كتاباً في صرف العربية ونحوها »
ثابت المبدأ والبرهان وكتابه المعروف ببحث المطالب اشهر من ان يذكر(١).

وبعد ان جاء فرحات الى لبنان وانتظم في الرهبانية اللبنانية المارونية، رجع الى حلب بطلب من بطريرك الروم الارثوذكس، اثناسيوس دباس، ليصلح له عربية كتاب الليتورجية ، مستخرجاً من تآليف القديس الذهبي الفم ، ويطبعه (٢) . واذ انهى مهمته استدعي الى لبنان، فانتخبته رهبانيته رئيساً عاماً عليها عام ١٧١٦ (٣) .ثم صار بعد حين مطران حلب الماروني كما هو مشهور .

وعلى غرار فرحات طبع زاخر وصايغ ، اذ قد أتجرا بما لهما شيخاً مسلماً حصّلا عليه الغاية الكاملة من فصيح العربية . وكثيراً ما بذل النائب الماروني المعهود في حلب من الجهود لارتداد الارثوذكس، فانضم اليه الفتى زاخر وتضافرا معاً على العمل لذلك ردحاً من الزمان (٤) .

وكان زاخر مفطوراً على القوة الجدلية فأتى من الابحاث الدينية ما كان لاستحسانه دوي بعيد المدى . فتذمر من ذلك كهنة الارثوذكس

---

(١) المرجع المذكور نفسه .
(٢) واسمه كتاب « الدر المنتخب » .
(٣) الاب بليبل ، مجلد اول ، وجه ٩٨ .
(٤) « Echos d'or. » مجلد ١١ ، وجه ٢٢٣ وما يليه .

لدى بطريركهم ، وهذا استحصل من استنبول امراً عالياً باعدام ذلك الخصم العنيد . وما نمى خبر ذلك الى زاخر حتى لاذ بالفرار الى لبنان ، وانخرط في الرهبانية الشويرية بديرها مار يوحنا الشوير ، فلبس الثوب الرهباني عام ١٧٢٢ . وهناك تولدت في رأسه فكرة غريبة بجرأتها في ذلك العهد، الا وهي تأسيس مطبعة تمكنه من نشر الكتب الدينية «على طريقة اسرع وانجع من الخط ؟» فقام بنفسه يؤسس العمل ويضع صيغ الحروف واشكالها ، وذلك كان سهلاً عليه ، وقد كان تمرس سابقاً على صياغة الجواهر والحلى . واذا تبينا تلك الحروف ، على نور هذا العصر ، مشوبة بشيء من النقص والعيب ، فانها كانت لعصره على مكانة جلى من القيمة والجمال . ومن تلك المطبعة خرجت الطبعة الاولى للمجمع اللبناني الماروني الشهير (١) .

وحول عام ١٧٢٣ عُقد في القسطنطينية مجمع ضد الملكيين حضره جميع الرؤساء الارثوذكس . ومنه انفجرت قنابل الاضطهاد حامية . فعلم زاخر بالنبأ ، وهو في دير اللويزة ، وفي الحال جمع اضاليل ذلك المجمع والّف منها كتاباً وسمه بعنوان بليغ جاء الدليل الساطع على مضمونه وهو: «التفنيد للمجمع العنيد» فكان اثراً اصاب من النفوس ، في جميع الانحاء

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ٨٤ .

السورية، وتر الشعور والتأثير البليغين (١).

وقد اولى الموارنة زاخراً المحبة الكبرى والاعتبار، وعملوا على توسيع المدى لشهرته، حتى انها بلغت رومية. وبواسطة مواطنه الماروني فرحات، الحف عليه المجمع المقدس بقبول وظيفة «مستشار الكنائس الشرقية». وكان السيد السمعاني الكبير مكلفاً من قبل المجمع المذكور باعداد النفقة لسفر زاخر الى رومية، وتوفيره على كل ما يحتاج. اما زاخر فقد نزل عند رغبات اصدقائه وآثر البقاء في لبنان (٢).

وقد كان يلذه كثيراً ان يخالط الرهبان الموارنة اللبنانيين. فكان يتردد الى دير اللويزة بتواتر واتصال. واغلب الاحيان كان يقضي هناك ايام السبة كاملة، قبل ان يعود الى زوق مكايل، حيثما كان الاب موسى قطان، او الى دير الشوير (٣). وهو نفسه قد اقر بذلك في رسالة كتبها في ٢٢ ك٢ عام ١٧٤٠ قال: «قد اطلت الاقامة عدة احايين في دير اللويزة، خلال سنة ١٧٢٣، برفقة المطران جرمانوس فرحات (٤) وكان الرهبان

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ١١، وجه ٢٤٣.

(٢) المرجع عينه، وجه ٢٢٤ وما بعد، و ٢٨١ وما يليه.

(٣) نفس المرجع المذكور.

(٤) لم يكن فرحات قد صار مطراناً اذ ذاك.

الموارنة يرغبون في اقامتي بينهم ، ويعرضون على اختياري الحر ، اي دير راقني من اديارهم (١) » .

* * *

كان نقولا صايغ قد شاهد البعض من مواطنيه يؤمون لبنان ، فيعتنقون فيه الحياة الرهبانية . فعزم هو على تأثر خطاهم والحذو حذوهم . ولكن اهله اعترضوه . وفي تلك الاثناء وصل الاب جبرائيل فرحات الى حلب (٢) فاجتمع به صايغ واعلنه دخيلة نفسه ، معرباً عن رغبته الفائقة في اعتناق الرهبانية ، وسأله بالحاح ان يقنع والده بشأنه . استمع له فرحات بكل سرور ، وصرف القدر الكبير من الامكان والجهد ، ليساعده على تكريس حياته لخدمة الله . فكان ذلك مصدراً لصداقة حميمة متينة ربطت اواصرها صايغاً بفرحات حتى الممات .

سافر صايغ الى لبنان . وقبل ان يتوجه الى دير مار يوحنا الشوير ، زار وادي قاديشا الناطق على الدوام بمجد وازدهار تلك المحابس والاديار.

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ١١ ، وجه ٢٨١ وما يليه .

(٢) تقول مجلة « Echos d'Orient » : ان فرحات امّ حلباً عام ١٧١٣ عند رجوعه من رومية، (مجلد ١١، صفحة ٧٤) . اما حقيقة ذلك فهي سنة ١٧١٦ حين دعاه البطريرك دباس الارثوذكسي كما رأيت . (انظر بلبيل مجلد اول صفحة ٩٨ وما بعدها) .

وكان فرحات ايضاً يتردد اغلب الاحايين على مار يوحنا الشوير، الدير الاكبر والجامع للرهبان الشويريين، ليشاهد نيقولاوس صايغ، سواء أكان اوان ابتدائه او بعده (١). وبما ان اسم صايغ يرتبط بالرهبانية الشويرية ربطاً شديد المعزة والاحكام، سنبسط فيما بعد ما كان للموارنة من ايادٍ ومساعدات، في جنبه وجنب رهبانه.

٤ً الرهبان الشويريون

اطلق اسم «شويريون» على هؤلاء الرهبان، نسبةً لقرية «الشوير» حيث دير مار يوحنا مركزهم الرئيسي. وقد نشأت رهبانيتهم حول سنة ١٦٩٧ (٢). وكان لا بد لها عند مولدها من عون وارشاد. فكان ذلك امراً تداركه الموارنة بالتنفيذ. وقد قال احد الآباء الملكيين، الاب باسيليوس: «ان الاب جبرائيل فرحات اختص الشويريين الاوائل باعزاز فريد، وهو الكاهن الحائز على ابعد غاية من الثقافة والغيرة، فكان يتعهدهم دوماً ويضع بين ايديهم كل ما كان له (٣)».

وكان الشويريون، قبل ان يستقيم امر تأسيسهم القانوني نهائياً،

(١) سجلات الرهبانية الشويرية، مجلد اول، فصل اول، وجه ١١. ثم مجلة «Echos d'Orient» مجلد ١١، وجه ٧٤.

(٢) المرجع الاخير نفسه، مجلد ١٢، وجه ٣٠ وما يليه.

(٣) المرجع نفسه ايضاً، مجلد ٦، وجه ٢٤٣.

يتبعون قانون الرهبان الموارنة مدة من الاعوام طويـلة (١) . ورئيسهم الاب نقولا صايغ نفسه يعترف بذلك، في رسالة رفعها عام ١٧٣٤، الى مجمع نشر الايمان المقدس (٢) .

اجل ان كل مشروع هدفه خـير النفوس، لا بد له، خصوصاً في مستهل عهده، من صدمات تقوم له على وجه الاضطهاد والبغضاء . وهو فن حربي يتخذه روح الشرير ليثبط الهمم في ذوي الاقـدام، ويخنق مشاريعهم وهي في المهد . وهي ايضاً خطـة تتأثرها عناية الرب لتحرر العمل والجهاد، في بوتقة المحن، من اعتبارات البشر، وتطهرهـا من اي لطخة للخير المادي . وقـد قال سيدنا المخلص لتلاميذه الرسل : « ... ليس عبد اعظم من سيده . ان كانوا اضطهدوني فسيضطهدونكم ... (٣) » .

على هذا الاساس نشأت الرهبانية السارافيمية، والجمعية اليسوعية، والرهبانيات المارونية ايضاً (٤) . اذن وجب على الرهبان الشويريين ان لا يتفلتوا من نير هذا التشريع . فكان نصيبهم وفـيراً من اضطهادات شتى اصلاهم الارثوذكس نارها . حتى وبعض بطاركتهم واساقفتهم ايضاً .

(١) كذلك نفس المرجع، مجلد ٥، وجه ٨٣ ؛ ومجلد ٦، وجه ٢٤٣ .

(٢) ايضاً نفس المرجع، مجلد ١٠، ١٧٢ .

(٣) يوحنا، ف ١٥، عدد ٢٠ .

(٤) « تاريخ الرهبانية اللبنانية » للاب بليبل مجلد اول، وغيره .

وكان الموارنة يقدمون لهم اجلّ المساعدات في تلك المحن .

* * *

كان من املاك الشويريين ومساكنهم دير مار الياس شويا، الملاصق لدير اخر بنفس الاسم ، خاصة الرهبان الموارنة . فهاجمهم البعض من الارثوذكس ، فطردوهم من الدير ، واحتلوه اغتصاباً . وكان مصادفاً اذ ذاك ان كان موجوداً في الدير الماروني الملاصق رئيس عام الرهبانية المارونية اللبنانية ، الاب توما اللبودي، وهو من رجالات الغيرة والذكاء والمروءة والشهامة ، فتجند لخدمة الشويريين المضطهدين ، بكل ما اوتي من عزم واقدام ونفوذ ، وقام بمداخلات سرية مع السلطات المدنيـة ، خرج منها معصوب الجبين بالنجاح .

وذات مساء حضر الى ذلك الدير بغتة الامير حسين ، نسيب الامير نجم ، حيث كان الارثوذكس ، واستحضر اليه الاب العـام المذكور ، مع بعض رهبانه ، حسبما كانا (الامير والاب العام) متعاهدين سابقاً ، فوضع يده على الدير المغتصب . ووقتئذٍ رُدّ على الرهبـان الشويريين حقهم ، وقد كانوا لاجئين الى الرهبان الموارنة ومختبئين عندهم . وقـد اثبتت ذلك سجلات الرهبان الموارنة تطورات هـذه الرواية في عريضة مرفوعة الى رومية في شهر ايلول عام ١٧٢٨ (١) .

---

(١) الاب بليبل مجلد اول وجه ١٤٩ ، و ١٥٩ .

بيد ان الاخصام اولئك لم يكن شيء ليقعد بهم عن اذكاء نار المناوءة والخصام . فبهروا بالذهب الوهاج عين الامير نجم حاكم المنطقة ، وابلغهم سعيهم ذاك الى الاستيلاء على دير مار يوحنا نفسه . وكان الشويريون قد تنبهوا لما سينكبهم من صدمة وتعنيف ، فهرّبوا متاعهم ورزقهم الى دير الموارنة ، جارهم المذكور ، واحتموا هناك مكرهين ، امام القوة القاهرة ، على هجر مسكنهم (١) .

وسعياً للعدالة والنصفة هرع الاب نقولا صايغ ، الرئيس العام الشويري ، الى الامير حيدر شهاب حاكم لبنان العام ، في دير القمر . وهذا كتب الى الامير نجم ، حاتماً بارجاع دير مار يوحنا الى الرهبان الشويريين . وحمل الرسالة الاميرية ابو فرحات عيد الماروني ، متعهداً بايصالها الى الامير نجم ، وحمله على الارعواء عن فعلته ، ولم يكن ذلك بالامر الهيّن . وبعد كثير من الاخذ والرد « ارتضى نجم بالامر ، معتصماً بحيلة اختلقها له الماروني عيد ، جعلته حتماً في حلّ مما قيّده به الارثوذكس من اتفاقية مالية وثيقة الروابط » .

رجع ابو فرحات الى دير القمر يطلع الامير حيدراً على فكرته الجديدة ، قبل اخراجها الى حيز التنفيذ . فقال له الامير الحاكم : « حسناً صنعت . فارجع الآن الى الامير نجم . وهذه اوامري احملها اليه . واطلعه

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٧ ، وجه ٢٠١ وما بعده .

على كل ما ستجري . وحالاً أعد الاب صايغاً ورهبانه الى دير مار يوحنا تحميهم القوة المسلحة » . وهكذا تمت تلك المقولات بالفعل.

عندئذٍ رجع ابو فرحات وسلم نجماً رسالة الامير الكبير ، وفيها امر جازم باعادة الدير المعهود الى الشويريين . « واذ ذاك تظاهر نجم بثورة غضب ، وصرخ بصوت شديد ، ينبعث منه التهديد ، هلعت له قلوب الحاضرين قال : « ان الامير الكبير يردّ رهبانه الى ديرهم ، واما الامير نجم فليتدبر كما يشاء » . وهكذا نفذت تلك الحيلة ومُثل الدور الروائي . فتمكن الشويريون من استرجاع ديرهم في غد اليوم التالي نفسه (١) .

* * *

نشب خلاف بين الشويريين والبطريرك كيريلس طاناس السادس ، والمطران صروف ، كان جدّ عنيف لما عقبه من شكوك . فان البطريرك المذكور لم يكن يهمل اية فرصة تمكنه من ابداء غضبه على الشويريين ودونك مقول الاب شارون في ذلك : « كان يحرّض الرهبان الضعفاء والفاترين في دعوتهم على ترك الرهبانية ، مغرياً اياهم بعتقهم من النذور انعتاقاً كاملاً . ويضغط على الشويريين ، عند مرورهم على دير المخلص ، باكل اللحم (٢) ، وينتزع من عهداتهم الرعايا في لبنان انتزاعاً متتالياً (٣) .

---

(١) « Echos d'Orient » المحل عينه . وبليبل في نفس المحل .

(٢) وذلك يغاير قوانين الشويريين .

(٣) « Echos d'Orient » مجلد ٩ ، صفحة ٢٨٤ .

فما كان المبرر يا ترى لهذا العداء ؟ اليك الجواب عن ذلك في رسالة وجهها الاب صايغ الى البطريرك نفسه ، في ٤ اذار سنة ١٧٣٥ ، قال :

« على مَ يرتكز خلافنا ، وما هو سببه ، اذا كان غير المنشور الروماني الذي نذود عنه ، وهو لم يُرق قداستكم (١) ؟... واذا كان غير ذلك ، فما ذنبنا نحن ، وما الباعث لموجدتكم علينا (٢) ؟ ... » .

وحقيقة ذلك كانت ان كيريللس المذكور اراد ان يدغم الرهبنة الشويرية بالمخلصية . فابى الشويريون . اراد ايضاً ان يرغم الشويريين على اتباع احداثه في الاصوام والانقطاعات التي ادخلها على الطقس . فما صادف منهم غير الرفض ايضاً . واذ مضّه ذلك التشبث والجفاء ، شرع يحاول انزال التأديب بالاب صايغ . فكتب ، في مستهل سنة ١٧٣٥ ، الى المطران مكسيموس حكيم ، الموجود وقتئذ في دير الشوير ، يطلعه على نص الرباط التأديبي الموجه الى الاب صايغ . اما المطران حكيم فاستشار في ذلك بعضا من المرسلين اللاتين واللاهوتيين . وهؤلاء اعلنوه ان عقاب الربط لا ينال صايغاً طالما هو مقيم ضمن اديار رهبانيته ؛ اما خارجاً فالخضوع امر محتوم لا مناص منه .

وفي اواخر شباط من تلك السنة ، قرر صايغ رفع المسألة الى رومية

---

(١) في ذلك المنشور يرفض البابا شاجباً احداث البطريرك الدخيلة على الطقس الملكي .

(٢) « Echos d'Orient » مجلد ٩ ، وجه ٢٨٦ .

فطيرً الى البابا اكليمنضوس ١٢ ، والى المجمع المقدس رسالتين ضافيتين . لكنهما لم تبلغا محليهما المذكورين (١) فان وكيل الشويريين في رومة اعترضهما في الطريق فضبطهما . وحينما رجع الى سورية سلمهما الى البطريرك (٢) .

على ان تلك الشكوك والمناورات قد هالت البطريرك الماروني يوسف ضرغام الخازن ، نخشي ان تؤدي في النهاية الى عواقب وخيمة . فاستشار اساقفته في المسألة ، ورفع الى البابا اكليمنضوس المذكور رسالة في ٢٢ شباط عام ١٧٣٥ ، بسط فيها تلك الوضعية ورجا قداسته وضع حد لها (٣) . وكان كيريلس البطريرك يصوّر الشويريين في نظر البابا ، ومجمع نشر الايمان ، عصاةً صعاب القياد (٤) .

اما موارنة رومية فكانوا في جانب الشويريين . فان العلامة السمعاني الكبير قد ايدهم وشدّ ازرهم بتقاريره التي عدّل فيها شكايات كيريلس ، وخفّض من غلوائها . وكتب الى صايغ يقوّي رجاءه بالنجاح . وكذلك ابن اخته الخوري اسطفان عواد ، كان على اتصال مضطرد بالشويريين ،

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٩، وجه ٢٨٤ .

(٢) المرجع المذكور ايضاً ، صفحة ٢٨٧ .

(٣) المرجع عينه ، وجه ٢٨٤ .

(٤) ايضاً نفس المرجع ، وجه ٢٨٤ وما اليه .

يواصلهم دائماً بكل ما كان يجري في رومة بشأن رهبانيتهم (١) .

وكان رئيس الشويريين (صايغ) قد اوفد اثنين من رهبانه الى رومية ليدبرا بعض المسائل ، ويردا عن رهبانيتهما اعتداءات كيريلس. وقد ابرم هذا البطريرك، ووكيله برومية الاب يوحنا اميوني، الكرسي الرسولي بما ابديا من لجاجة وتحريض ، ليرجعا ذينك الراهبين الى ديرهما بلبنان . ولكن فاتهما ان يحسبا حساب السمعاني الذي صمد لهما ، فساعد الراهبين عند الكردينال بترا رئيس مجمع نشر الايمان، والكردينال بلّوجا على سماع دفاعهما حتى جعلهما يفلحان في وفادتهما . وحينئذ وردت على الاب صايغ رسائل التهنئة من الكرديناليين المذكورين ، بترا وبلوجا ، ومن السيد السمعاني ايضاً ، حافلة بالامتداح من سداد قاصديه وموقف الرهبانية الرشيد ، التي عرفت ان تثبت بوجه المستحدثات البطريركية الدخيلة . ثم يعللوه بتحصيل محل للرهبانية في رومية . ولم يحل ايلول عام١٧٣٤، حتى اعلم الاب صايغ ان الاب الاقدس قد انعم على الشويريين بتلك الكنيسة الكبرى على اسم « القديسة مريم عبدة الاحد » ، وتسميها العامة « Della Navicella » . وفي اول آب من تلك السنة ، تمت للرهبان تلك الملكية . (٢)

(١) المحل عينه ايضاً .

(٢) المرجع المذكور ، مجلد ٥ ، وجه ٢٥، ومجلد ٩ ، وجه ١٥٦ وما يليه .

وقد مني الشويريون بخصومات اخر مع واحد آخر من بطاركتهم، هو تاودوسيوس دهان ؛ ومع اغناطيوس صروف مطران بيروت . فاهابت الرغبة في السلام بالامير الماروني ، يوسف شهاب حاكم لبنان . فرجا رئيس عام الرهبان الموارنة ومدبريه بالذهاب الى دير مارانطونيوس القرقفة ، حيث كان يقيم تاودوسيوس ، فيقضوا على تلك الخصومات . غير ان البطريرك المذكور اسرع وارسل الى الاب العام ، قبل بلوغه دير القرقفة ، تقريراً مطولاً في ٢٠ صفحة متلاذة السطور ، ليطلعه على تشكياته من الشويريين بكل ظروفها وبواعثها . وبعد لأيٍ وجهد عنيف من الطرفين ، انتهى الامر بمصالحة البطريرك مع الشويريين ، واجراء مقابلة ايضاً بينهم وبين المطران صروف .

بيدَ ان هذا المطران كان على اكثر تصلب في عناده . واراد ان يفرض عليهم موجبات نقيضة لقوانينهم ، لا قِبل لهم بقبولها . وكان في تلك الأثناء جرمانوس آدم ، مطران حلب الملكي ، يقيم في زوق مكايل ، فتجند للذود عن الشويريين . فهاجمه زميله صروف بصدام عنيف . وقابله آدم بمثيل اشد . عندئذ دفعت الحمية البطريرك الماروني يوسف تيان ، فوقف بين المتساجلين يقضي على تلك المشادات المكدرة . ولدينا الآن تلك الوسائل وجهها آدم الى البطريرك تيان يبسط له فيها مكايد صروف وتعدياته الآخذ بها .

وحينما تقابل الشويريون بصروف ، طلبوا اليه العدول عن اوضاع جديدة اراد ادخالها على قوانينهم فرفض . فلجأوا الى رومية مستأنفين . وقد عُهد الى مطران بيروت الماروني مخايل فاضل باصدار فتوى شرعية مرتكزة براهينها على الدستورين الكنسي والمدني ، يحكم فيها بصحة الاستئناف الى رومية ، ويفرض على الحزبين المتناظرين الوقوف عن كل مناوءة وعداء ، مقتنعين في الحالة الحاضرة اذ ذاك ، ريثما تنتهي رومية من درس القضية واصدار حكمها فيها . فقام فاضل بالمهمة وعرضها على البطريرك الملكي .

مرّ بعض الزمان والجميع ينتظرون حكم رومية ، تحت ظلال الهدنة والهدوء . لكن صروفاً رجع الى الحملة يتقاضى الشويريين ديراً كان البطريرك تاودوسيوس قد وهبهم اياه منذ ١٨ سنة . ووقف البطريرك هذا الى جانب المطران يشد ازره . فاضطر الشويريون الى الالتجاء ثانية الى المطران فاضل ، فاصدر لهم فتويين عام ١٧٨٣ ، اخذ فيهما على البطريرك رجوعه عن هبة لم يعد له اي حق فيها (١)

وعام ١٧٨٤ ارسل البابا بيوس السادس ، الى ذلك الماروني الشيخ سعد الخوري الشهير ، براءة يحضه فيها على معاضدة الاسقف (انوش)

---

(١) « Echos d'or. » مجلد ١٣ ، وجه ٢٨٢ وما يليه .

في مهمته التي انتدبه اليها قداسته، لاخماد الاختلافات المتنشبة بين الشويريين من جهة، وبين البطريرك والمطران صروف من جهة اخرى، ويعمل على ذلك بكل ما اوتي من نفوذ ونشاط (١). فاحتسب الشيخ سعد المشهور بتقواه وغيرته على الديانة، ان الاطاعة لرغبات الحبر الاعظم امر واجب مقدس. واخيراً اضمحلت تلك المنازعات شأن كل ما هو بشري.

* * *

انتهى صايغ عام ١٧٥٦، من وضع القوانين لجمعيته الرهبانية، ورفعها الى رومية للتثبيت البابوي. فامر البابا بنديكتوس ١٤ الكردينال تمبوريني بفحصها. ثم اقرها قداسته عام ١٧٥٧. وطبعها في رومية على نفقته العلامة السمعاني الكبير، حافظ المكتبة الفاتيكانية، وقد دبج لها سنة ١٧٥٨ مقدمة ضافية جليلة ذات ٣٦ صفحة، مدح فيها الشويريين على اختيارهم قوانين القديس باسيليوس، بعد ان كانوا اعتنقوا ردحاً من الزمان قوانين مار انطونيوس للرهبان الموارنة، وسرد سيادته بعض ما غمرهم به من

(١) «سلسلة البطاركة الموارنة» للدويهي، وجه ٨٣ وما بعده. — ودونك ايضاً جيلاً آخر للشيخ سعد في جنب الملكيين، وهو انه سنة ١٨١١ سهّل للبطريرك اغابيوس مطر ان يتملك عين تراز، حيث اراد ان ينشئ مدرسة اكليريكية لتثقيف الاكليروس العلماني

امتيازات البابوان ، اكليمنضوس ١٢ وبنديكتوس ١٤ . واطرأ بالاعظام فضائل الاب صايغ المتوفي برائحة القداسة . ذلك الأثر يحتفظ به الشويريون ذكراً جللاً خالداً للعطف الذي غمرهم به الموارنة (١) .

٥ً الراهبات الملكيات

قصد لبنان عام ١٧١٩ ثمان من العذارى الملكيات ، وفي نفوسهن انشاء رهبانية نسائية . فساعدهن الآباء اليسوعيون على اقامة دير في قرية زوق مكايل ، في ارض وقفها لهن الموارنة ، وهو دير سيدة البشاره (٢) . وكانت ادارتهن الروحية في البداءة قسيمة بين اليسوعيين والشويريين . ولكن عندما بدئ لهن بتهيئة الاوضاع القانونية ، ظهر الاختلاف في النظريات . فالشويريون ارادوا ان يستأثروا وحدهم فقط بادارتهن ، ويسيروهن على قوانينهم الخاصة ، التي هي عينها قوانين الرهبان الموارنة . وتشبثوا ايضاً بان ينقطعن عن اكل اللحم ، ويحملن اسم « الراهبات الباسيليات » ولو اتبعن قوانين مار انطونيوس المارونية . واليسوعيون اقترحوا عليهن اعتناق قوانين راهبات الزيارة (Visitandines) وكانوا يتعهدونهن بمبادئ وقوانين سهلة الاخذ ، ويجيزون لهن اموراً

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ١٢ ، وجه ٣٠ وما يليه .

(٢) المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠٢) وجه ٩٧٤ وما بعد .

عدة ، منها اكل اللحم . وتولّد من ذلك التناظر نزاع تسرب الى نفوس اولاء البنات فقسم شملهن حزبين (١) .

حينئذٍ أُلقي على عواتق الموارنة : المطران عبد الله قرألي ، والمطران طوبيا الخازن (البطريرك) ، ورئيس عام الرهبان اللبنانيين ليحتكموا في تلك القضية . فحكم اولئك القضاة ، بعد فحص استوفى نضوجاً وتدقيقاً بايجاب الحرية المطلقة لاولئك العذارى ، وهنّ في خلاء بعد من التقيد باي نذر ، ليتمكنّ من اختيار ما يشأن من قوانين (٢) .

غير ان الحد النهائي لذلك الامر لم يكن هنا بل في رومية ، حيثما استؤنف اليها . واذ ذاك نصح البابا بنديكتوس ١٤ ان يعتنق اولئك الطالبات رسوم القديس انطونيوس ، ويتعلّقن مباشرة بمطران بيروت الملكي . فلم ترق هذه النصيحة في اعين الاخوات . وانحاز منهن سبع (من عشر) الى دير حراش الماروني وترهبن هناك متمورنات (٣) .

---

(١) انظر بلبيل ، المجلد الاول ، وجه ٣٠٧ . والخوري غبرئيل ، قسم اول ، وجه ٧١٤ وما اليه .

(٢) بلبيل ، مجلد اول ، وجه ٢٥٣ .

(٣) « Echos d'Orient » مجلد ١١ ، وجه ١٥٧ . — اذن فالملكيون قد استعملوا كما تقدم قوانين الرهبان الموارنة لرهبانهم وراهباتهم .

٦ً ما اصاب الملكيين من اضطهاد

كان النصارى المنفصلون ينظرون ، بعين ملؤها الغضب ، الى حركة تلك الارتدادات المتابعة حثيثاً على قدم وساق . فحدثت النفس بعضاً بالتصدي لها وايقاف جريها . وكانت لهم انجع الذرائع للافلاح . فعرضوا للباب العالي مؤكدين ان كل اولئك الهاجرين دياناتهم لاعتناق الكثلكة اضحوا من رعايا البابا . وكانوا ، بنوع من التضليل مكدّر ، وقد يكون مقصوداً ، يوقعون في الاذهان ان الاشتراك مع الكرسي الرسولي والاعتراف بسلطته العليا ، معناه الانضواء حقاً الى الجنسية اللاتينية (١) .

وقد عمدوا ايضاً الى حيلة اخرى هي : ان اسم « افرنجي » بالعربية كان ينحصر في الدرجة الاولى بالافرنسيين ، ثم تناول جميع الاوروبيين . « وبعد زمان مديد اعتُمد مرادفاً للفظة « كاثوليك » واطلق على نصارى الشرق الخاضعين للحبر الاعظم (٢) » . فكان المنفصلون يطلقونه ايضاً على المرتدين من اخوانهم ليوغروا عليهم الصدور العثمانية . « ان كاثوليكي او افرنجي لا يعنيان غير معنى واحد ، في الجور والبلص (٣) » . ومعناه ان من كان كاثوليكياً

---

(١) « Documents inédits » مجلد اول ، وجه ٥٤٨ وما يليه .

(٢) « Doc. inéd. » مجلد اول ، وجه ٢١٥ ، حاشية ٢ .

(٣) المرجع المذكور كما هو .

او افرنجياً فهو خارج عن سلطة السلطان . وكان ذلك يسر عمال الباب العالي . فانهم كانوا يتظاهرون بتصديق التشكيات ، فيؤدي ذلك الى اصدار « الاوامر السلطانية » باعتقال اولئك المجرمين (الكاثوليك) وزجهم في السجون وتثقيل كواهلهم بالمغارم، بنوع اخص . وعام ١٧٢٤ بدأ الروم الملكيون يتألفون جماعة مستقلة . ومنذ ذلك ، حتى استحصلوا من السلطان محمود عام ١٨٣٨ براءة بادارة شؤونهم المدنية ، تكبدوا اشد المظالم واقسى الاضطهادات . وكانوا في مطارداتهم وتعقباتهم يلجأون الى لبنان .

وسنة ١٨٤١ اثيرت قضية « اللاطئات او القلنسوات » . فجزم بطريرك الفنار في تقريره الى الباب العالي ، ان الملكيين لا يرتقون الى ما قبل ١٥٠ سنة . وقد تأسسوا طائفة على غرار الارمن الكاثوليك واتخذوا حماهم في لبنان (١) . وعندما انتخب روم دمشق كيريلس السادس ، تصدى له سيلفستروس خصماً مزاحماً ، وفاز من السلطان احمد ٣ ، خلا الفرمان الذي يقره بطريركاً على انطاكية ، باوامر غلّظ فيها النكير على المرسلين اللاتين ليقطعوا كل تعاطٍ مع الارمن والسريان ، وعلى الذين من هذه الطوائف قد اعتنقوا الكثلكة وهم من رعايا

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٩ ، وجه ٣٣٨ .

الدولة العثمانية ، ليرجعوا الى مذهبهم الاول (١) .

ودخـل سيلفستروس حلباً واذاع فرمانه على جميع الروم المقيمين هناك ، منـذراً اياهم بان يعرفوه بطريركاً عليهم (٢) . وحينئذٍ رمت السلطات العثمانيـة بالسجن مطران حلب ومطران صيدا وجمهرة من الكهنة والاعيان الملكيين في حلب ودمشق وطرابلس وصيدا. واشهرت عليهم النفي والاعـدام اذا لم يتبعوا مذهب سيلفستروس بطريركهم . « ولكن احد الموارنة ، ابراهيم ، ترجمان قنصل فرنسا في صيدا ، والمشرّف بالحصول على وسام « القديس لويس » من الملك لويس ١٤ ، في سفرة له الى باريس » ، مكّنه نفوذه عند الاتراك ذوي المناصب العليا ، في صيدا ودمشق ، من حمل الوزير الاكبر على اطلاق الحرية للاساقفـة والعوام الملكيين السجناء وفك اسرهم (٣) .

ثم استنبط سيلفستروس صورتين للاقرار بالايمان ، احداهما وجهها الى الكهنة الكاثوليك ، وفيها القذف والرذل للمجمع الفلورنسي ، والاخرى خصّصها بالعوام ، وفيها الشد لازر سابقتها والتأييد ، مع الجهد بقطع اية علاقة بالمرسلين ، ومقاطعة البابا في الاعتقاد . فصادف ذلك الرفض عند

---

(١) « Lettres édifiantes » مجلد اول ، وجه ١٨٤ .

(٢) المحل المذكور ، صفحة ٤٧٠ . ثم « Docu. inédi. » مجلد اول ، صفحة ٥٨٦ .

(٣) « Echos d'or. » مجلد ٥ ، وجه ١٩ وما يليه .

كثيرين من الملكيين . والذين عاندوا من الكهنة هربوا الى لبنان ، حيث كان قاطناً كيريلس السادس يبسط ولايته على بعض الاساقفة في السهل والجبل (١) .

وعام ١٧٨٥ قام دانيال بطريرك الارثوذكس القاطن دمشق يغري ابناءه في صيدنايا (٢) على الملكيين ، فناوءهم بكثير من التهم والشكايات . واذ ذاك استحضر نائب دمشق محمد باشا ثلاثة كهنة من ملكيي صيدنايا مع اوجه رجل منهم ، فزجهم في السجن واجرى عليهم شتى العذابات . فكانوا يجلدونهم كل يوم ويصفعونهم على مرأى الجماهير ، ثم يعيدونهم الى زريبتهم المظلمة . واستقاموا على تلك التعذيبات طويلاً ، حتى توفي الرجل الوجيه شهيداً تحت ذلك التأثير . وضُبطت كنائس الملكيين في صيدنايا فسلمت الى البطريرك دانيال ، وعددها اربع : « كنيسة المجامع » كنيسة مار بطرس ، كنيسة مار اندراوس ، كنيسة مار توما .

واذ حلت السنة التالية ، ١٧٨٦ جاء ابراهيم باشا خلفاً لمحمد باشا في

---

(١) « Lettres édifi. » مجلد اول ، صفحة ٢٥٢ ، و ٢٥٨ . ثم « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ١٩ وما اليه . ثم « L'Orient Chrétien » سنتها ٣ ، وجه ١٢ .

(٢) بلدة عامرة واقعة شرقاً بشمال من دمشق ، مشهورة بدير السيدة العذراء فيها المأهول براهبات الارثوذكس .

الوزارة . وكان حاكم لبنان الامير يوسف شهاب ، وقد قامت عليه في الجبل قيامة الاختلافات واثارة الحفائظ ، فهرع بحاشيته الى الوزير الجديد مستجيراً . وكان كاخية (مدبر) الامير حائذٍ ذلك الماروني الشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري الآنف الذكر . فذات يوم ذهب الشيخ غندور ببعض الاصحاب حجاجاً الى مزار صيدنايا . وهناك وجد الكنائس موصدة . طلب تعليل ذلك ، فاطلعه الملكيون على ماية كبدون من اضطهاد فادح . فاخذ ذلك من نفسه مآخذ الألم . ولم يتلكأ قط ، بعيد رجوعه الى دمشق ، عن الذهاب حالاً الى الباشا ابراهيم فحمله على تمكين الملكيين من الحرية في دينهم ، وردّ عليهم كنائسهم . ورُفعت قيود الحديد عن اولئك الكهنة السجناء ، فرجعوا الى اهلهم وصحبهم . وما فتئ الملكيون حتى يومنا يستولون على ثلاث من تلك الكنائس (١) .

ولم تزل حلب الى اليوم تحتفظ بذكرى أليمة لعسف جائر هاجت اعاصيره عام ١٨١٨ . فان السلطان محمود اصدر سنة ١٨١٧ فرماناً ضد الملكيين . واذ ذاك انفذ الوالي اوامره بتقتيل ١١ شاباً من اشرف واحسن العائلات الملكية بحلب (٢) . فشمل الذعر والاسف الكاثوليك

(١) المشرق ، مجلد ١٥ (١٩١٢) صفحة ٥٢ وما يليها .

(٢) «زهرة الشبيبة الكاثوليكية بحلب» (طالع «Docu. iné.» مجلد٢، وجه٥٨ .

من بقية الطوائف ، وبخاصة الموارنة . وهؤلاء كانوا يقفون بنفوسهم على تنفيذ الاعدام ، فيشجعون اولئك الضحايا البريئة على الثبات في ايمانهم الى النفس الاخير . « واستشهد اذ ذاك احد الموارنة ، انطونيوس مصور (١) . فقدانخرط بين الملكيين صارخاً : « انا ايضاً من ابناء الكنيسة الكاثوليكية ومستعد ان انيخ عنقي ، حباً بالايمان ، لنير الشهادة الذي عاناه اخوتي الملكيون (٢) » .

وقد اصدر السلطان ايضاً فرماناً آخر خوّل ارثوذكس حلب وضع اليد على كنائس الملكيين ، وكرسي اسقفهم وكل ممتلكات الابرشية ، وانزل الحكم بالنفي على اللاجئين الى الموارنة بلبنان من الكهنة الملكيين . وتبعهم الى ذلك المنفى عدد وفير من ابنائهم المؤمنين . ذلك الفرمان عينه قد حرّم ايضاً على الملكيين ان يدخلوا معابد الكاثوليك من غير طوائف ، منكراً كل الانكار ايضاً على كهنة هذه الطوائف ان يستقبلوهم في كنائسهم (٣) .

---

(١) والمطران نقاشه يسمي هذا الماروني « انطوان حواء » ، وقد يكون الاسمان لشخص واحد (اطلب « عناية الرحمان في هداية السريان » للمطران ديونيسيوس نقاشه ، وجه ٢٣٥) .

(٢) « L'Orient Chrétien » سنتها ٣، وجه ١٦، ونشرة «اعمال مدارس الشرق» عدد ١٦٦ . وكتاب « السلاسل التاريخية في الابرشيات السريانية » للفيكونت فيليب دي طرازي ، وجه ٢٣٥ .

(٣) راجع الحادث المذكور وجه ٨٥ حاشية ٤ .

لعمري ان تلك التهديدات المغلظة لم تكن لتنال من بأس اولئك الكاثوليك . فان الكهنة الموارنة ظلوا يقبلون اولئك التعساء المشردين ، وينزلونهم على دورهم ضيوفاً مكرمين . بل زادوا على ذلك ايضاً بانهم كانوا يذهبون آناء الليل ، معرّضين لذلك الاعدام المحتم ، فيوزعون الاسرار على من كان يطلبها من اولئك المنكوبين (١) . وقد عهد البطريرك الملكي الى كهنة الموارنة ليعتنوا بادارة رعاياه ، طيلة ذلك الاضطهاد (٢) . فقام اولئك الكهنة بتلك المهمة الرسولية عن طيبة خاطر ، وغيرة فائقة ، سحابة سنوات متتابعة (٣) .

---

(١) « L'Orient Chré. » سنتها ٣ ، وجه ١٧٠ و « اعمال مدارس الشرق » ، عدد ١٦٦ .

(٢) وقد ورد في سجلات عمادات الطائفة المارونية بحلب عمادات ابناء الطوائف الكاثوليكية التي قام بخدمتها كهنة الموارنة منذ سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٢٥ .

(٣) ومن قبل ذلك العصر كان الكهنة الموارنة يرعون نفوس الملكيين . ففي عام ١٧٤٥ ذهب القس موسى الشامي ، الراهب الماروني اللبناني ، الى مصر فأسس في دمياط اول كنيسة كاثوليكية ، وقام هو خورياً لها . والموارنة كانوا هناك اقلية ضئيلة . اما الملكيون واللاتين فكانوا الاكثرية . واستمرت دمياط ٤٢ سنة مكتفية بكاهن ماروني واحد لرعاية جميع الكاثوليك فيها . وعام ١٧٨٩ وكل البطريرك الماروني يوسف اسطفان الى احد ابنائه الرهبان ، الاب يوسف السمعاني ، رعية دمياط ، مفوضاً اليه « بقوة الامتيازات التي له من رومية ، الحل من المحفوظات وسماع الاعتراف لكل من تقدم اليه من الطوائف الكاثوليكية الاخرى » .

وعام ١٨٠٢ يمم القاهرة الاب انطونيوس مارون لخدمة النفوس . فبادر

وفي مكتبة المطرانية المارونية بحلب ، رسالة وجهها البطريرك الملكي
اغناطيوس قطان الى البطريرك الماروني يوسف حبيش ، تاريخها ٢٧

البطريركان ، اغابيوس مطر الملكي ويوسف تيان الماروني ، واعلما نائبيهما هناك
ليخولا ذلك الراهب الولاية الخورنية على ابنائهما الاخصاء . وقد قال البطريرك
مطر ، في رسالة اذاعها على اكليروسه وشعبه ، ما نصه : « ... نرغب اليكم ان تعتبروا
القس انطونيوس مارون الراهب اللبناني كأحد كهنتنا ، وتستقبلوه بعطف واحترام
وكرم ، على ما تستوجب صفاته النادرة وتقواه » . وقد اقتدى بهذين البطريركين
ايضاً نائب الاقباط الرسولي ، ثم نائبا بطريركي الارمن والسريان ، فمنحوا الاب
مارون ملء الولاية على ابنائهم .

وعام ١٨١٠ نُقل القس مارون الى دمياط ليخدم هناك الكاثوليك ، الذين
يتألف سوادهم الاعظم من الملكيين . وفي ذلك الغضون وجّه البطريرك مطر
منشوراً الى ابنائه الدمياطيين قال فيه : « ان ولدنا العزيز القس انطونيوس مارون
هو مبعوث الى مدينتكم من قبل رؤسائه ، مزوداً بكل ما يلزم الخوري من ولاية .
ونحن ايضاً قد اعطيناه نفس الولاية عليكم ، واعتبرناه من مصاف كهنتنا الاخصاء .
فنؤمل من محبتكم ان تستقبلوه بفرح واحترام وتعرفوه راعياً لكم ، وتقدموا له كل
ما يتوجب عليكم لقاء خدماته وفضائله وتقواه ، كما كنتم تعاملون سلفاءه » .

وعندما توفي البطريرك مطر عام ١٨١٣ ، خلفه المطران مكاريوس طويل .
وهذا المنتخب الجديد اشرك القس مارون بمراسيم الوفاة والانتخاب البطريركين .
واليك ما كتب له في ذلك الاوان : « ... نجدد لك نفس الولاية التي منحك
سلفاؤنا الصالحو الذكر . ولا نرى موجباً لحثك على اتقان مهمتك كما ينبغي ، فان
ضميرنا مرتاح من هذا القبيل » . (انظر الاب خوري المعهود ، صفحة ١٥ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ، وعدة محال غيرها .

اذار عام ١٨٢٥ ، يؤيد نصها ما نحن بصدده قال ما حرفيته : « قدس الاخ الجزيل الوقار . « بعد اهداء المصافحة الاخوية وبث الاشواق الودية والسؤال عن سلامتكم واعتدال المزاج الكريم . انه قد تكامل بجوده تعالى سرورنا وسروركم برجوع حضرة اولادنا الكهنة الاكرمين الى خدمة رعيتهم في محروسة حلب ومفهوم خوتكم انه صار منوطاً متعلقاً باشخاصهم جميع لوازم وظيفة الخورنة كما كانوا سابقاً . فنستكثر بخيركم وخير كهنتكم الاكرمين شاكرين الفضل عما اكملتم لخدمة رعيتنا في غيابهم . وصار ينبغي ان تنبهوا على حضرة كهنتكم ان يمتنعوا عن الخورنة بطايفتنا مع بقاء الحب المتردد بين الجميع واستمرار تصرف كهنتكم المصرفين منكم باعتراف ابناء طايفتنا ضمن كنيستكم كالعادة من دون تغيير . واما المحفوظات فقد فوضنا حلها لكل واحد من كهنتنا لكوننا لم نقم منهم احداً نائباً عنا . فان لا سمح الله لزم الامر فليرسل المعترف او المعرف الى احدهم يطلب الاذن . ونسأله تعالى بدوام بقائكم مع المكافأة بالاجور السماوية لخوتكم ولكافة كهنتكم . ولاتبرحونا من دعاكم واطال الله بقاكم (١) » .

والبطريرك استفان الدويهي قد بسط ظلال غيرته ليس على ابناء ملته فحسب بل ايضاً على النصارى من ابناء الطوائف اجمع . ولم يذخر اي دأب او جهد للذود عن ابناء الكنيسة، من اي نحلة او مذهب(٢) . وفي النصف الاول من الجيل ١٨ يمم ديارنا دي غرانجه (De Granger) لتفتيش الاساكل في شواطئ سورية ولبنان وفلسطين . فكتب في احدى تقاريره : « ... واحد الخوازنة ، الشيخ موسى ، يقبل في داره جميع رجال

---

(١) « المجلة السورية » سنتها الاولى (١٩٢٦) ، وجه ٢٢٠ .

(٢) « ترجمة حياة البطريرك الدويهي » للمطران بطرس شبلي، وجه ١٤٢ وما اليه.

الطوائف المنهزمين . ويبذل قصارى لوسع ليوفر لهم حلاوة المنفى في لبنان (١) » .
اذن يقوم في زوق مكايل ، حتى يومنا ، ما عدا الموارنة ، عدد وفير
من الملكيين (٢) .

وكان الامير بشير الكبير يفتح رحابه بوجه الملكيين الهاجرين من
حلب ودمشق انهزاماً من اعدائهم ، طوال تلك المحن العنيفة في العامين
١٨١٨ و ١٨١٩ ، ويسهل لهم الاقامة في زوق مكايل ودير القمر وغيرهما
من دساكر لبنان وقراه (٣) .

٧ً. ما نال الموارنة من المظالم

أثقلت كواهل الموارنة كثير مرار بالبلص الفادح ، ولا سيما في
حلب ودمشق ، عقاباً لهم على تسهيل الارتداد للارثوذكس بشتى الطرق .
وقد وصف الدويهي تلك الحالة في معرض كلامه عن حوادث سنة ١٦٣٣، قال:
« ... ومن كثرة الحكام والاغراض كثر الظلم وكلفوا الرعايا عوض المال مالين
وقبضوا على المرابيط (الحبساء) والرؤساء لكي يقروا على رزق ابن معن وبيت
الخازن . وكان القس حنا ابن بهينا الاجبعاني مترئساً على دير مار مارون ، ريش
مُران في قرية كفرحي بلاد البترون ، فوشى به اهل بقسميا الملكيون (وكانوا
من الروم الارثوذكس) عند ابن سيفا فقبض عليه واهانه وكلفه فوق طاقته فارتحل

(١) « صديقة ومحامية » للخوري بطرس غالب ، وجه ٣١٦ .

(٢) « المقاطعة الكسروانية » للخوري الحدتوني ، وجه ١٣٧ .

(٣) المشرق ، مجلد ١٢ (١٩٢٤) وجه ٥٧٤ .

ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت ايضاً بقسميا (١) » .

وقد سبق للموارنة قبل ذلك العصر بكثير ان تكبدوا من الارثوذكس التعنت والارهاق ، لانهم في عهد بطريركهم ميخائيل الرزي (١٥٨١ — ١٥٩٧) هجروا عام ١٥٨٣ الحساب السلوقي (اليوناني للاسكندر) واعتنقوا الحساب الغريغوري . وحين اقبل المطران الماروني ، يوحنا الحوشي الحصروني المسقف عام ١٦٠٣ ، على تعميم ذلك التقويم في حلب ، صمد له في ذلك الميدان رؤساء الطوائف المسيحية المختلفة ، وقاوموه في مقصده فرشوا الوالي باربعة آلاف غرش ليعاقبه بالاحراق حياً . ولما مثل ذلك الحبر الهمام امام المحكمة ، ابلى احسن بلاء في الدفاع عن نفسه ومشروعه ، وردّ الكيد الى نحر خصومه فابكمهم وخرج من المحكمة ظافراً وضاح الجبين (٢) .

ذلك التقويم الجديد جعل سنة ١٦١٤ ، ان تكون خمسة اسابيع فترة فاصلة بين الصوم الاربعيني عند الموارنة وبينه عند البقية من طوائف الشرق النصرانية . فكان منه ما اخرج دوروثاوس بطريرك الارثوذكس عن سجيته . فنقم عليه لدى باشا دمشق ، حافظ احمد . وهكذا نكل

---

(١) « تاريخ الازمنة » للدويهي ، لسنة ١٦٣٣ . والمشرق مجلد ٢٣ (١٩٢٥) وجه ٤٣٠ .

(٢) « الدر المنظوم » للبطريرك مسعد ، وجه ١٨٠ .

ببعض الموارنة ورمى بهم في السجن . حينئذٍ قدّم القس يوسف حليب العاقوري (١) عريضة للوالي يطلب فيها الاستماع له مدافعاً ، ثم الحكم عليه . واقترح ايضاً تعيين مجادلة يدلي فيها كلا الفريقين ، الارثوذكسي والماروني ، بالحجج على صحة مبدأه . فحسن ذلك الطلب في عين الوزير النائب ، لكنه اساء دوروثاوس فرفض القبول به . عندئذٍ صدر الامر فاعتقل وسُجن في القلعة ، بينما الموارنة احرزوا مرسوماً يخولهم الاحتفال بعيد الفصح ، في الوقت الذي يرى بطريركهم تعيينه (٢) .

وقد نال الموارنة نصيبهم من اضطهاد عام ١٧٢٥ و ١٧٢٦ ، في عهد البطريركين المهودين ، كيريلس السادس وسيلفستروس . فقد مرّ بنا ان الملكيين كانوا ينهزمون في ذلك الزمان من مدن سورية الى لبنان . والسواد الكبير منهم قد احتموا عند الرهبان الموارنة . وقد شكا سيلفستروس الموارنة الى سليمان باشا والي طرابلس . ومما قال في ذلك : « يساعدون ويحمون الملكيين الذين خرجوا على اوامري واوامر السلطان » . فعجل ذلك الوزير بارسال كتيبة من الجند لاعتقال البطريرك الماروني والملكيين المحتمين عنده . ومشت تلك الكتيبة ليلاً في طريق جبة بشري ، منقسمة الى فرق ثلاث : الاولى الى دير قنوبين مركز البطريرك ؛

---

(١) الذي تبوأ البطريركية المارونية بعدئذٍ (١٦٤٤—١٦٤٨) .

(٢) « الدر المنظوم » في نفس المحل .

والثانية الى دير قزحيا ؛ والثالثة الى مار اليشع . وهذه بلغت هدفها قبل الفجر تفاجئ الدير . فتسارع الرهبان الى تخبئة الملكيين ضيوفهم ، مع البطريرك الذي كان قد انسل اليهم محتمياً في مخبأ تحجبه الصخور اكتشافه عسير . واخذ الجنود يتسقطون ويتلمسون في ذلك الدير على ضوء الفوانيس ، حتى اعياهم التفتيش عبثاً عمن كانوا ينشدون ، فارتدوا اخيراً الى الرهبان يصبون عليهم جامات الكيد والتعنيف ليعرفوا اين اختفى المشكوون . وبعدمحاولات ومناورات على غير جدوى، اقتادوا الرئيس وواحداً من رهبانه اسيرين الى طرابلس . وما بلغوا نصف الطريق حتى رُزق الاسيران من افتداهما بالمال .

اما الفرقة الاولى فانحدرت الى قنوبين ، ولم تظفر بمطلبها . واما الثانية فاذ كادها ان تخفق ايضاً في ايجاد ضحاياها بدير قزحيا ، اقتادت الى طرابلس رئيس عام الرهبانية ومجلس مدبريها فطرحهم سليمان باشا في السجن واصرّ على اسرهم حتى يدفعوا له ١٢ الف غرش . فاضطروا الى دفع ذلك المبلغ مكرهين .

وعقيب ذلك ببعض الزمان حدثت فتن بين مشايخ جبة بشراي ، فتشاكوا الى الوزير نائب طرابلس . واذ عرف منهم ذلك الوالي ان البطريرك الماروني لم يبرح منطقتهم ، امر جنوده بالمبادره الى تعقبه واعتقاله اينما وجدوه . فنشدوه طويلاً على غير طائل . حينئذٍ فرّجوا كربهم

مستحلين ما طاب لهم من نهب القرى وضبط المواشي على اختلافها. واستولوا ايضاً على ما لدير قزحيا من قطعان الماشية، ولم يردّوها عليه تقاضوا عن كل رأس ماعز غرشاً، وعن كل رأس بقر خمسة غروش حتى بلغ ذلك البلص خمسمائة غرش (١).

٨ً الروم المترهبون عند الموارنة

لم تكن الكنائس الشرقية قد استوفت سياق درجاتها المقدسة كاملاً، في وضعيتها الرسمية، حينما انعم البابا بيوس الرابع، عام ١٥٦٢، على البطريرك الماروني، بامتياز الحل من التأديبات، وقبول الارثوذكس والاراتقة والملحدين من كل الملل في حضن الكثلكة (٢). ذلك الانعام البابوي قد ساعد على تسهيل الارتداد لكثيرين من الروم، وقبولهم في الطقس الماروني. بل زد على ذلك ايضاً ان بعضهم يمّموا ديورة الموارنة وقرعوا ابوابها للترهب.

وحين لم يكن الموارنة قد حصلوا بعد على رهبانية منظمة قانونياً، ورهبانهم كانوا يتنسكون في اديار لا رابطة بينها، كان بعض الروم يحتذونهم فيعتنقون معهم خطتهم القشفة في الحياة، كما جرت الحال مع

---

(١) الاب بليبل مجلد اول وجه ١٢٣ وما بعد. والبطريرك مسعد وجه ٨١.

(٢) « Collectio Lacensis » مجلد ٢، عمود ٤٢٠.

القس جرجس الاميوني ، من اسرة آل العازار الارثوذكس في قصبة اميون الكوره ، فانه كان مهندساً ثم صار راهباً مارونياً . وهو الذي هندس كنيسة مار شليطا مقبس وادار دفة بنائها عام ١٦٧٢ ، وجدّد بناء دير مار سركيس اهدن عام ١٦٩٠ .

ولكن منذ ان تأسست الرهبانية المارونية (١٦٩٥) ، اقبل عليها الملكيون والارثوذكس بكثرة ينخرطون في سلكها . واتصل بعضهم فيها الى احراز مكانة من الثقة عظيمة ، فشغلوا المراكز وتبوأوا المناصب وادوا للكنيسة اجل الخدم . فالاب بولس يونان ، الارثوذكسي التبعة، ترأس على قزحيا ، ذلك الدير العظيم (١) ؛ ثم تولى منصب المديرية في تلك الرهبانية . والقس مارون الجبيلي ، من ارومة ملكية ، تعين رئيس دير ثم نائب مدبر . والقس موسى الشامي الملكي ايضاً ، صار رئيس دير اولاً ، ثم انتخب مدبراً ؛ وناب عن الرئيس العام في سياسة الرهبانية وادارة شؤونها من كل جانب ؛ وهو الذي قد اسس الرسالة للرهبانية المارونية في مصر كما سبق .

بيد ان تلك الدعوات ، الموجبة تغيير الطقس قد اغاظت رجال الدين

---

(١) ونحن آخذون بوضع تاريخ واف لهذا الدير التاريخي ، من اعظم اديار المشرق ، اذا وفق المولى . (المترجم)

من غير طوائف . فان مطران صيدا الملكي ، افتيموس صيفي الشهير ، رفع شكواه الى مجمع نشر الايمان على ان الرهبان الموارنة اللبنانيين يقبلون في سلكهم البعض من ابنائه الذين قد اقتبلوا درجة الكهنوت ايضاً من يد الاساقفة الموارنة. وتوسل الى الكردينال الرئيس ليأمر بارجاع اولئك القسوس الى طائفتهم ، فينشئوا فيها جمعية رهبانيـة . اما المجمع المقدس فاجاب ، بعد فحص دقيق ناضج ، ان الملكيين يمكنهم الانتظام في الرهبانية المارونية (١) .

ولم يمر بعض الحين المديد ، حتى عاود الملكيون تكرار الاعتراض والتشكي كثير مرار . وكانوا اذ ذاك قد استقام كيانهـم الطائفي على سياق كنسي كامل ، في عهد كيريللس السادس ؛ وكان الموارنة من جهتهم قد بذلوا من الجهد والغيرة في ذلك السبيل ما لم يكن في محله ، على ما يظهر . فاصدر البابا بنديكتوس ١٤ عام ١٧٤٣ ، دستوراً بدؤه « المطلوب من العلى .. » امر فيه رؤساء الرهبان الموارنة بالعدول عن تسهيل القبول للملكيين في طقسهم حافظاً الاذن بذلك للكرسي الرسولي فقط (٢) وحينئذٍ اوفدت رومية قاصداً باسمها ، المطران عمانوئيل اسقف بابل اللاتيني ، الى البطاركة الشرقيين ليبلغهم اوامر البابا هذه . فاسرع

---

(١) بليبل ، مجلد اول ، وجه ٩٢ .

(٢) De Martinis « الحق البابوي » قسم اول ، مجلد ٣ ، وجه ١٢٤ .

البطريرك سمعان عواد الى اطاعة البابا حالاً . واظهاراً لذلك فرض على الذين اعتنقوا طقسه الماروني ، من الملكيين والسريان ، ان يرجعوا الى طقوسهم السابقة . لكن الكردينال بترا رئيس مجمع نشر الايمان قد نصح غبطته ليمتنع عن ذلك ؛ وهذا ما كتبه اليه بهذا الخصوص عام ١٧٤٦ ، قال :

« قد افهمنا مطران بابل انكم اردتم ارجاع كل من الروم والسريان الى طقسه بعد ان اعتنقوا طقسكم مدة طويلة . وبما ان هذا الامر لم تتناوله التعليمات البابوية ، الموكولة الى القاصد الرسولي ، ولما كان ايضاً هذا النوع من التصرف يمكنه احداث ما يثلم الوفاق ويجر الاختلافات ، اضطر الاب الاقدس ان يعد من غير الموافق ما لقنكم اياه القاصد الرسولي ، واذعتموه على اساقفتكم من تعليمات واجراءات . ويرسم بنوع اخص ان لا شيء يوجب على هؤلاء الروم والسريان ترك الطقس الماروني ، بل لهم ان يستمروا فيه ، مستنداً في ذلك الى احكام عالية صدرت عن هذا المجمع المقدس وعن مجمع التفتيش الاعلى .

« ولا تجهلون ان افتيموس مطران صور وصيدا قد رفع عدة عرائض في عام ١٧١٣ ، والسنتين التاليتين ملتمساً منع المطران عبدالله (١) ورهبانه الموارنة عن قبول روم ملكيين في رهبانيتهم . وهذا المجمع المقدس قد نصح له (لافتيموس) بالكف عن هذه التوسلات ، حيث ان اوامر الكرسي الرسولي ، المحرمة على الروم الملكيين الانحياز الى غير طقسهم ، تختص بالملكيين واللاتين فقط . وليس بالشرقيين فيما بينهم ، وهم لم يردهم اي تعليم بهذا الشأن .

(١) عبد الله قرألي رئيس عام الرهبانية المارونية اللبنانية (١٧٠٠ — ١٧١٦) ثم مطران بيروت (١٧١٦ — ١٧٤٢) .

« وكذلك قد اصدر مجمع التفتيش عام ١٧٤٠ حكماً يحرم بشدة على الذين تمورنوا من السريان ان يعودوا الى طقسهم الاصلي. هؤلاء عليهم ان يظلوا في الطقس الذي اعتنقوا . اذن عملاً بارادة الاب الاقدس يجب ان يبقى هؤلاء الروم والسريان في الطقس الماروني ، بعد ان اختاروه . ولا يتعرضنّ لهم احد في ما ابتغوا. وتوفيراً لحفظ المحبة والوئام بين رؤساء الكنائس الشرقية، وتجنباً لما يبطنه المستقبل من دواعي الخلاف والشقاق ، يجزم قداسته بنهي الملكيين ، من الآن وما بعد ، عن اعتناق الطقس الماروني ، قبل ان يحصلوا على رضاه ... (١) » .

ولم ينفرد الموارنة وحدهم باستجلاب الغير الى طقسهم ومذهبهم . فان الملكيين قد اعتمدوا ذلك ايضاً . وقد ارسل البطريرك الماروني يوسف تيان (٢) الى البطريرك اغابيوس يبلغه عام ١٧٩٧ ، ان من الموارنة من اتبعوا الطقس الملكي ، ومن الملكيين من اتخذوا الطقس الماروني .

« فلنتضافر على بذل الجهد ليبقى كل في طقسه الخاص ، خاضعين في ذلك لاوامر البابا » .

وفي ٣ ايار عام ١٨٠٥ ، كتب المطران الماروني يوحنا الحلو ، الى السيد صروف اسقف بيروت الملكي ، ان كثيرين من الموارنة قد انحازوا الى الطقس الملكي ، يحرضهم على ذلك كهنة هذا الطقس ، في زحله ، وصور ، وبلاد البشارة وغيرها . ثم كتب عن صور الخوري

---

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ٣٠٤ .

(٢) رقي البطريركية عام ١٧٩٦ ، تنزل عنها تواضعاً سنة ١٨٠٩ ، ورقد بالرب عام ١٨٢٠ ، وكان شهيراً بقداسته وعلمه .

طوبيا الهاشم الى البطريرك يوحنا الحلو في ٤ ك١ عام ١٨٠٩ يسأله ان يحمل المطران صروف على تحذير الكهنة الملكيين ، في تلك المدينة، من قبول الموارنة في طقسهم (١) .

٩ً الاوقاف والتبرعات

لما كان الموارنة يقبلون الملكيين ، اللاجئين اليهم في لبنان ، قداجروا عليهم اوقافاً وتبرعات وفرتهم على المعيشة وتأسيس مشاريعهم وضرورياتهم. فالشيخ موسى الخازن وقف ارضاً في زوق مكايل عام ١٧١٩ على البنات الملكيات ، الراغبات عن العالم الى الحياة الرهبانية . فتشيد هناك دير تحت حماية سيدة البشارة .

وفي زوق مكايل تكونت النواة الطائفية للملكيين المنهزمين ، اثر هاتيك المحن . ووهبهم الشيخ خالد الخازن ارضاً بنوا فيها ، بفضل مساعداته ومكرمات اسرته ، كنيسة مار جرجس وديراً صغيراً بجنبها. ثم وهب الرهبان الملكيين ارضاً اخرى شيدوا فيها دير مار ميخائيل في الجنوب من زوق مكايل . وعام ١٧٥٣ عمَّر الرهبان الملكيون دير سيدة النياح في ارض وهبهم اياها اولاد الشيخ ابي خطار الخازن في قرية بقعتوتا(٢).

---

(١) مخطوطات بكركي ، اوراق يوحنا الحلو ، عدد ١٣ و ٤٧ .

(٢) المشرق ، مجلد ٤ (١٩٠٢) وجه ٩٧٤ وما يليه .

والشيخ فاضل الخازن ايضاً وقف على دير مار يوحنا الشوير ارضاً في بقعتوتا المذكورة خصصها الرئيس العام بدير الراهبات، ثم ارضاً للزراعة. واشترط عليهم لقاء ذلك تقديم عدة قداديس سنوياً ومؤبداً لأجل الواقفين (١).

١٠ً جرمانوس آدم

ولد جرمانوس آدم في حلب. وتخرج في جامعة البروبغندة برومية. وبعد رجوعه الى مسقط رأسه حلب صار مطراناً عليها، وكان علاّمة كبيراً، ذا حافظة غريبة عجيبة. شغل منصب الحكم والقضاء في لبنان. وعينه الكرسي الرسولي مندوبه في مجمع بكركي الماروني المنعقد في شهر ك١ عام ١٧٩٠ في عهد البطريرك يوسف استفان (٢).

احدث بكتاباته دوياً قصياً، مستوحياً مبادئه في بعض مواطن من مذهب ينسينيوس الفاسد، ومن مجمع بيستوا (Pistoie) (٣) وفي بعض مؤلفاته (٤) حاول التخفيض من سلطة الحبر الاعظم. فراج كتابه وانتشر

---

(١) مخطوطات بكركي، مجلد ٢، وجه ٧٠٨.

(٢) «السلاسل التاريخية ...» للفيكونت دي طرازي، وجه ٢٣٠، حاشية اولى.

(٣) هذا المجمع حرمه بيوس السادس في براءة بدؤها «مؤسس الايمان» صدرت في ٢٨ آب سنة ١٧٩٤.

(٤) اسمه «الجواب على الكتاب المدعو «صوت المرسلين».

بين المؤمنين . فقام البطريرك يوسف تيان الماروني وفنّد تلك الاضاليل. وكان على صداقة متينة مع آدم . لكن من يهتم ضميره للواجب يتأثر المثل اللاتيني المشهور : « Amicus Plato, magis amica veritas » يعني احب افلطون ولكن احب الحقيقة اكثر » . فكتب الى آدم في ١٥ آذار عام ١٨٠١ ، مبيناً له فساد زعمه ، وناشده ان يسحب كتابه من اوساط التداول والقراءة : ومما قال له بالحرف :

« نحن وخوتكم ملتزمين بنوع خاص نجدّ حتى الى سفك الدم في تشييد سلطان ذاك الكرسي الذي اكلنا خبزه (١) والذي له علينا خاصة افضال لا تحد . ومفهوم خوتكم ان لم تحسّن عندكم ذلك نلتزم نحن بكل مكنتنا نحامي ونرد عن كل ما يثلم قواعد اعتقادنا خصوصاً ما هو مشكك ومضر ضمائر ابناء طائفتنا (٢) » .

اما المطران آدم فاجاب حالاً بانه لا يسعه تعديل مذهبه وهو نفس ما يأخذ به العلماء والملافنة . فرد عليه البطريرك تيان ، في ٢٢ آذار عام ١٨٠١ قال : « ان البعض الذين كانوا بعلومهم عواميد البيعة قد ضلوا وشذّوا احياناً ، ودجاه ثانية بسحب مؤلفه من ايدي الناس . لكن سيادته تذرّع « بتعليم اساقفة فرنسة واكليروسها عام ١٦٨٢ (٣) » .

(١) كان تيان وآدم من تلامذة رومية .

(٢) الخوري غبرئيل ، مجلد ٢ ، قسم اول ، وجه ٧٠١ .

(٣) عن رسالة مؤرخة في ٢٥ اذار .

فعاد البطريرك تيان وكتب رسالة ضافية ملؤها المحبة والتواضع، دحض فيها حجج آدم وافهمه ان « البنود الاربعة » في ما اعلن اكليروس فرنسة سنة ١٦٨٢ » قد رشقها البابا اسكندر الثامن بالرذل فالحرم عام ١٦٩٠ (١). الى ان قال له في الختام: « ... اذا كنا رجوناكم بنزع كراسكم من ايدي القراء فلكي نحافظ على سمعتكم ونوفر السلام للضمائر والخير للنفوس ... (٢) ».

اما آدم فلم يزدد حيال كل ذلك الا تشبثاً وتصلباً في مبادئه. وكم كانت اضاليله تحدث الشكوك في الناس. واذ ذاك اذاع البطريرك الماروني على ملته منشوراً شجب فيه كتابات المطران آدم، وحرم قراءتها، وامر بجمع نسخها لاحراقها واتلافها (٣). ذلك الدحض احدث دوياً عظيماً (٤).

فاحتج آدم امام ابناء ابرشيته واثبت ارثوذكسية تعليمه، واعلن ان ليس في نظره شيء من الاعتبار والقيمة لتحريم تيان (٥). والاغرب من ذلك ان البطريرك الملكي اغابيوس مطر شد ازر مطرانه، وقاوم

---

(١) رسالة دون تاريخ وهي قبل ٦ نيسان.

(٢) غبرئيل، المحل المذكور، وجه ٧٠٣.

(٣) كان ظهور ذلك المنشور قبل ٦ نيسان.

(٤) المشرق « مجلد ١٧ (١٩١٤) صفحة ٣٦٢.

(٥) المنشور الصادر في ٦ نيسان عام ١٨٠١.

رأي تيان ، وقرر ان عمل مطران حلب كان ارثوذكسياً حقاً ، وايده في مبدأه (١) .

على ان ذلك الجدال مهما بلغ من العنف فلم يكن لينال من مرونة البطريرك تيان ، ذلك اللاهوتي العالي الكعب والمجادل الذي لا يقوى على مباراة قامه مكابر. فنشر اذ ذاك كراساً اسماه: « جواب الكاثوليكي(٢) » التي فيه النور الوضاح على زعم آدم . ذلك الكراس هو غفل من اسم مؤلفه ، لكنه منهي بتوقيع «مرسل شرقي» . وقد اعلن تيان عينه ذلك الكتمان في رسالة تاريخها ٥ حزيران عام ١٨٠٣ موجهة الى وكيله في رومية الاب ارسانيوس القرداحي (٣) . فكان ذلك الامر داعية تفريق وخصومة بين تيان وآدم . وتدخل الامير بشير حاكم لبنان فطلب الرجوع الى رومية في ذلك الخلاف التعليمي الديني (٤) وهكذا جرى فرفع الامر الى رومية ، واعطته دوائرها الرسولية عظيم الدرس والاهتمام .

وفي ١٣ شباط عام ١٨٠٢ ، وردت من البابا پيوس السابع براءة فرض فيها على البطريرك اغابيوس مطر ان يستطلع ملياً آراء المطران آدم

---

(١) المنشور الصادر في ٣ حزيران سنة ١٨٠١ .

(٢) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، وجه ٩٧٤ وما بعده .

(٣) المحل نفسه ، وجه ٩٧٩ .

(٤) رسالة غير مؤرخة .

الكاثوليكية وآراء المطارنة مشايعيه ، وان يجمع كتاباتهم ويبعثها الى رومية للدرس والتمحيص ، ويجعل آدم يوقع بامضائه براءة البابا بيوس السادس التي بدؤها « على صلابة او متانة » الصادره في ٢٨ ت٢ عام ١٧٨٦، والبراءة « مؤسس الايمان » التي حرمت مجمع بيستوا (١) .

وكان البطريرك تيان قد قام من جهته وارسل الى وكيله في رومية، الاب ارسانيوس المذكور ، والى مجمع نشر الايمان ، كتاباته الشخصية ومبادلاته الجدلية مع المطران آدم، وارفقها بكتابات آدم نفسها ومنشور البطريرك مطر (٢) وسأل رومية مترجياً ان تجزم بامر هذا الخلاف . وكذلك في ٢١ شباط عام ١٨٠٥ اصدر تيان منشوراً آخر حرم فيه قراءة كتاب آدم واحرازه . واسماه « بسط التعليم الحقيقي » ضمّنه « القضايا المضادة لتعاليم الكنيسة الرومانية المقدسة (٣) » .

ولما حلّ ٢٣ تموز سنة ١٨٠٦ ، دعا البطريرك الملكي مطارنة ملته لعقد مجمع في دير مار انطونيوس القرقفة في كفرشيما قرب بيروت ، وكان الانتهاء منه في ٣ آب من السنة نفسها . ومن المرجح القوي ان قرارات ذلك المجمع كانت من عمل آدم الذي كان له فيه الامر الكبير

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٤، وجه ٤٦٠ .

(٢) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ٩٧٩ .

(٣) المحل نفسه ، صفحة ٩٧٤ وما يليها .

من النفوذ والتأثير . وانتهت اعمال ذلك المجمع ومقرراته ، بعد ان طبعت في دير مار يوحنا الشوير المعهود (١) ، الى ان حرمها البابا غريغوريوس ١٦ في براءة تاريخها ٣ حزيران عام ١٨٣٥ ، وبدؤها « مجمع الملكيين الكاثوليك (٢) ».

بيد ان آدم قد آلت به الحال ، قبل ان تدركه الوفاة سنة ١٨٠٩ ، الى اخضاع جميع اعماله وتعاليمه الى حكم الكرسي الرسولي ، مما جعل ان يعود عليه ذكر ذلك بالشرف والفخار (٣) . ولكن بالرغم من ذلك الخضوع ظل تعليمه المعهود منتشراً .

وفي ٦ آذار سنة ١٨١٢ بسطت رومية رأي الكنيسة الحقيقي في مسائل ذلك الخلاف . وحينئذٍ اجمعت هيئة الاساقفة الكاثوليك في الشرق ، تأكيداً لخضوعها لرومية ، على انشاء اعتراف بالايمان وقّعه سبعة اساقفة ملكيين وستة ارمنيين وثلاثة سريان وثمانية موارنة (٤) .

---

(١) وقد استغربنا جداً تأكيد الفيكونت دي طرازي قاطعاً ان البطريرك تيان ايدّ مجمع القرقفة . مع ان هذا البطريرك قد حرم بمنشوره سنة ١٨٠٥ مذهب آدم الذي كان روح المجمع المذكور (« السلاسل التاريخية » وجه ٢٣٠ ، حاشية اولى .

(٢) « Echos d'or. » مجلد ٥ ، وجه ١٣٠ .

(٣) المحل نفسه ، وجه ٣٤٠ وما بعد . ثم الاب شارون ، مجلد ٢ ، كراس اول ، وجه ٨ .

(٤) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ٣٤٠ وما بعد .

وفي ١٩ ايلول عام ١٨١٢ جمع البطريرك الملكي الجديد ، اغناطيوس صروف ، كتابات آدم وارسلها الى رومية . وكذلك امر البطريرك تيان ايضاً ، في نفس التاريخ المذكور ، بلم" ما انتشر من آثار آدم بين ابنائه ، واحراقها . وسنة ١٨١٦ حر"م البابا بيوس السابع ، تحت طائلة الحرم ، قراءة آدم في مكتوباته ، حتى يكون قد تم" النجاز كلياً من درس وتمحيص النقاط الواقعة تحت الخلاف (١) . واخيراً عاود ذلك البابا عينه الكرة بتجديد الحرم عام ١٨٢٢ على قراءة اعمال آدم او الاحتفاظ بها ، تحت عقوبة الحرم ايضاً (٢) .

وبعد وفاة آدم انقسم ملكيو حلب الى حزبين : انصار آدم ، واخصامه . فالحزب الاول جهد للحصول على مطران من اكليروس مدينتهم . اما الحزب الآخر فنشدوا السلام والطمأنينة ، وطلبوا ان يكون مطرانهم اجنبياً عن حلب . والفريقان ارسلوا العرائض مكررة عدة مرار ، الى البطريرك الماروني ، سألوه فيها التدخل بشأنهم لدى بطريركهم لاقناعه بقبول مطاليبهم (٣) . واليك بعض ما قالوا حول ذلك :

(١) « Collectio Lacensis » مجلد ٢ ، عمود ٥٨٤ .

(٢) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ٣٣٤ وما بعده ثم «Col. Lace» مجلد ٢ ، عمود ٥٥٠ .

(٣) العرائض المؤرخة في ٢٨ ت١ سنة ١٨٠٩ ؛ في ٤ نيسان سنة ١٨١٠ ؛ في ٢٧ حزيران سنة ١٨١٠ ؛ و ٢٩ حزيران سنة ١٨١٠ ، الخ ... (مخطوطات بكركي ، اوراق الحلو ، عدد ٤٣ ، ٦٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

« نظراً لغيرتكم المشهورة ، لنا الامل بان تتنازلوا لطلبنا . لانكم ابو الجميع وعضدهم، وغبطتكم لكم الحق اكثر من الجميع وقبل الجميع بالدفاع عن اوامر ورغبات الكرسي الرسولي والتقاليد القديمة » .

اما البطريرك اغابيوس مطر فقد اراد لذلك الانتخاب ميشال مظلوم، من اكليروس حلب . وقد تقابل بذلك الخصوص مع البطريرك الماروني، يوحنا الحلو ، الذي اشار عليه بتأجيل الرسامة الاسقفية ريثما يوعز الى الحزبين بالاجماع وجوباً على مرشح واحد . واستصوب الاساقفة الملكيون ذلك الرأي فايدوه جميعاً . لكن ذلك الاجماع لم يكن ، مع ما في تواثقه من استحكام ، ليزحزح البطريرك مطراً عن تشبثه بان يكون المنتخب من حلب . فالحزب المعارض للآدميين ، حالما لحظوا ذلك ، رفعوا المسألة الى حكم الكرسي الرسولي . فارسلوا الى رومية في ١١ تموز عام ١٨١٠ رسالة ، كان قد سبق وسجلها في ١٥ حزيران ، القاصد الرسولي لويس غوندولفي (Gondolfi) .

وحين امر البطريرك بمباشرة الانتخاب ، رفض الحزب المعارض ان يمتثل ، متعللاً باستئناف الامر الى رومية . وذلك الاستئناف يوقف كل عمل ، حسب علماء القانون . ومع ذلك اجري التصويت للانتخاب. وفي ٦ آب عام ١٨١٠ كانت رسامة ميشال مظلوم مطراناً لابرشية حلب مجلواً باسم مكسيموس .

وعندئذٍ حدّث ولا حرج عما وقع من جديد الانقسامات والشكوك (١) ، ومن احتجاجات الاساقفة والشعب ، والمحاولات لابطال الانتخاب . تلك التطاحنات اضرت بالشرق ايما ضرر . فهبت بقية الطوائف الكاثوليكية الى تدارك الحال ، وتوالت على الكرسي الرسولي عرائض التوسل عديدة من بطريرك السريان والبطريرك الماروني، يوحنا الحلو ، وقد كان له في ذلك المشكل ايادٍ مشكورة، ومن بطريرك الارمن ، ومن ١٢ مطراناً موارنة وسريان وملكيين .

وسنة ١٨١٥ سافر المطران مظلوم الى رومية . وحينئذٍ اعلن مجمع نشر الايمان ، بعد الدرس الدقيق الناضج ، ان الحزب المعارض هو على حق في ما طلب، وان انتخاب مكسيموس هو غير قانوني. اما مكسيموس نخضع لحكم المجمع المقدس ، واعطي اذ ذاك لقب رئيس اساقفة ميرا في ليسية شرفاً (٢) . ثم بعد ذلك بمدة انتخب بطريركاً على طائفته ، فكان من رؤسائها اللامعين العاملين .

١١ مكسيموس وجراسيموس

كان جراسيموس عام ١٧٣٢ مطران حلب . وقد رقي الاسقفية على

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٦ ، وجه ٣٠٤ وما يليه .

(٢) المرجع نفسه ، وجه ٣٨٠ وما بعده .

يد البطريرك اثناسيوس ١٤ الارثوذكسي . وكان ملكيو حلب آنذاك على ولاء متين مع المرسلين اللاتين . فراموا ان يقام لهم مطراناً مكسيموس حكيم ، من الرهبان الشويريين ، بغية ان يزيدوا في حركة الارتدادات ما قدر لهم ان يفعلوا . فاقترحوا على جراسيموس ان يستقيل ، تحت شروط لا بأس بها ، اذ وعدوه بتعيين مبلغ من المال يُرصد لمعاشه سنوياً ، ومنحه قسماً من الولاية والامتيازات في كنيستهم . كل ذلك رضي به جراسيموس مقتنعاً . وارتسم الخوري مكسيموس مطراناً .

وقد روى البعض ان اولئك الملكيين لم يمتد بهم الزمان بعض المراحل حتى حنثوا بوعودهم . ويؤكد آخرن ان جراسيموس هو الذي رجع عن الاستقالة نادماً (١) . فاحدث ذلك جواً من الاضطراب والشقاق . ووقع من ذلك للمطران حكيم مشاكل عائلية نكدت عيشه وسحقت قلبه ، مع خصومات سببها له المطران المستقيل . فترك حلباً وعاد الى لبنان يستريح في ديره مار يوحنا الشوير . وقضى هناك زهاء اربع سنين .

اما جراسيموس فلبث في حلب . واستمرت الاحوال على مجراها المعهود حتى عام ١٧٣٥ ، اذ وصل حلباً كاهن ماروني ، هو الخوري

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٩، صفحة ٣٦ . والاب بليبل مجلد اول وجه ٢٢٧ .

استفان عواد السمعاني الآنف الذكر، مبعوثاً من رومية في مهمة لدى بطريرك النساطرة. وحينما بصر بتلك الماجريات، شرع يعمل على رتق الفتق وتقرير السلام، ولم يعتم ان كلل النجاح مفرقه. وعندما رجع الى لبنان جاء جراسيموس بمعيته. وهناك جمع الخوري عواد بين المطرانين امام بطريركهما، كيريللس السادس، واصلح بينهما ذات البين بضمانة معاش لجراسيموس الذي لم يبدِ غير الرضى والقبول (١).

وسنة ١٧٣٦ عاد المطران مكسيموس الى حلب لكنه لم يبلغ بذلك النهاية من متاعبه. فان الارثوذكس هناك قد قاموا من حوله، فارسلوا عام ١٧٥٧ عريضة الى الوزير الاول في الاستانة، وهو من ولاة حلب السابقين، يشكرون الاعتراف بالمطران مكسيموس، ويطلبون عوضه آخر اسمه صفرونيوس. وما انكفأوا حتى سلخوا مكسيموس عن كرسيه ونفوه الى آدنه حيث قام خمسة شهور. ولكن الله قيَّض لتلك المحنة رجلاً مارونياً اسمه «يوحنا عسيلي» من الشخصيات البارزة، ومعتبر كوكيل عن جميع الطوائف الكاثوليكية. فابدى من المروءة والغيرة ما صدّ الارثوذكس عن تملك الكنيسة التي حاولوا احتيازها، وابقاها محردة للملكيين.

وقد كان لعسيلي من النفوذ ما وفَّره على استرجاع مكسيموس

---

(١) «Echos d'Orient». في نفس المحل. وبليل في المحل عينه ايضاً.

من المنفى ، بواسطة رئيس الاطباء في بلاط السلطان (١) . وساس مكسيموس ابرشيته طوال ٢٨ سنة (٢) ، اتى فيها كثيراً من المبرات . وعرف كيف خدم ملته بالمآثر الخلاصية . واذ حانت سنة ١٧٦٠ ، خلقت الايام من الموجبات الادارية ما حمل البابا اقليميس الثالث عشر على تعيين مكسيموس بطريركاً . ولكن حظ البقاء في الحياة طويلاً قد اخطأ بطريركيته . وفي السنة التالية ردّ وديعته الى الله مودع الجميع .

١٢ً براصاف دهان

احتوت سنة ١٧٣٥ ارثوذكسياً متعصباً اسمه نيوفيتوس ، كان مطران بيروت . وعندما نكبه العمى ، همّ الملكيون بانتخاب مطران لهم ، قبل ان يتدخل في ذلك بطريرك الارثوذكس ، فينصب لهم الحواجز والعوائق . فقرّ رأيهم على الاب يواصاف دهان ، من الرهبان الشويريين ، واطلعوا على عزمهم البطريرك كيريلس السادس ، فاستحسنه وايّده . وكان ذلك في شهر ت ٢ من تلك السنة . ولكي يكونوا في معتصم من اذى خصومهم لجأوا الى امير لبناني ، هو ملحم شهاب . فمهّد لهم الصعاب

(١) عن رسالة مخطوطة في خزانة بكركي كان قد ارسلها الشماس زخريا الملكي الى الخوري ديونيسيوس حجار في رومية ، تاريخها ٧ ايار عام ١٧٥٧ . ثم المجلة السورية ، سنتها الاولى ، وجه ٩١ .

(٢) ١٧٣٢—١٧٦٠ .

وازال العقبات عند السلطات العثمانية ، في بيروت وصيدا . وتوفق الى احكام الفصل والاستقلال بين الفئتين الكاثوليكية والارثوذكسية .

اما الارثوذكس فشعروا بالامر، وراحوا يكيدون لذلك الانتخاب ويدسون على تنفيذه ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . فكان من هذا مناورات اهابت بالامير ملحم الى القاء الامر على عاتقه ، والعمل على حل العقدة بصورة جدية حازمة . فاستحضر البطريرك كيريلس الى بيروت في ١٥ ك١ عام ١٧٣٦ . وهناك نزل غبطته ضيفاً موقراً على اسرة شلفون المارونية المثرية . وفي غد ذلك اليوم عينه كرس البطريرك الخوري يواصاف مطراناً باسم اثناسيوس. غير ان هذا الحبر الجديد وجد الطمأنينة والراحة في بيروت اندر من العنقاء ، فهرع الى الموارنة يطمئن بين اظهرهم في ذوق مكايل (١) .

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٩ ، وجه ٣٦٠ وما بعده . — وقد انجبت اسرة دهان مطراناً لبيروت غير هذا ، وهو المطران يوسف . توفي في ٩ تموز سنة ١٨٢٤ . وخلفه من الشويريين يعقوب الرياشي باسم اغابيوس ، رغماً عن اوامر البابا ، وقد فرض عليهم قداسته تعليمات يتأيدون بها في انتخاب الخلف ليوسف دهان . واذ اراد المطران الجديد ان يزور حاكم لبنان الامير بشير العظيم ، أبي سعادته ، وهو الماروني الامين نحو الكنيسة ، ان يقبله قبل ان يأتيه التثبيت العالي من رومية . اما الكرسي الرسولي فقد امره بالانسحاب فالاقامة في دير مار سمعان (عين القبو) محرماً عليه صريحاً استعمال الاسقفية . اما هو فخضع .

١٣ً صرّوف

كان صروف سنة ١٧٩٦ مطران بيروت الملكي . فاراد ان يؤسس رهبانية جديدة . فجمع في دير مار سمعان عين القبو ، في صرود كسروان عدداً من الاكليريكيين ، بينهم بعض الكهنة ، والبسهم الثوب الرهباني ملقياً اليهم بفرائض قانونية خاصة ، كان قد سبق فعرضها على يوسف تيان بطريرك الموارنة (١) . وذلك من قبيل الصداقة ، او طلباً للاستفتاء على ما نرجح . ولا نرى غير هذا تعليلا لذلك .

وعندما وقع شهرك٢ عام ١٧٩٧ ، ذهب صروف بنفسه الى البطريرك مطر ، يطلب بالالحاح الملكي تثبيت مشروعه ، فلم يظفر من غبطته بمراد . وحينما اجتمع المطارنة لعقد مجمع في دير مار ميخائيل بالزوق ، ايدوا

واخيراً اخرجه من هذا المأزق كاهن ماروني من زوق مكايل اسمه الخوري يوسف احد المعروفين والنافذين في دوائرها الرسولية . فسافر الى رومية . وبمساعدة السيد مظلوم سعى للحصول على التثبيت المنكر عليه . وحباً بالتملص من تلك المشاكل والتعاقيد قرّ الكرسي الرسولي على الاعتراف باغابيوس مطراناً على بيروت عام ١٨٢٩ . ولكن بشرط ان يلازمه دائماً احد العلماء في اللاهوت . (اطلب Martinis المعهود ، قسم اول ، مجلد رابع ، وجه ٧٠٤ : البراءة «فرض الرسالة» . ثم « Echos d'Orient » مجلد٦ ، وجه٢٠ وما بعد .

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ٢٦٥ وما يليه .

البطريرك بالاجماع . وفي ١٤ ايلول صدر المرسوم بحل الجمعية المذكورة، حاملاً تواقيع الاساقفة جميعهم ، وبينهم صروف ايضاً .

ثم فاجأت الايام ذلك العهد بخلاف جديد ايضاً بين صروف وبطريركه. وتفصيل ذلك ان منطقة جبيل كانت ، منذ بعض الزمان ، تابعة لابرشية بيروت . ففصلها البطريرك مطر عام ١٧٩٨ ، ورسم لها مطراناً مستقلاً هو اكليمنضوس طبيب . مضّ ذلك الاجراء صروفاً فهب يرفض الخضوع ، وامسك عن تسليم ما يختص بكرسي جبيل من موجودات. ثم رفع الى رومية دعوى ضمّنها تجزئة الابرشية ، وقضية جمعية مارسمعان المعهودة ، التي ايقظها من رقدتها . فكان ذلك الانقلاب وسطاً انطلقت منه نقمة البطريرك ، مصحوبة بالتونيبات الشديدة والتهديدات بالرباط والمنع . فما لان صروف لذلك ولم يمتثل . فانتزع منه البطريرك في ١٨ حزيران سنة ١٧٩٨ صلاحيات الاسقفية وحقوقها (١) .

ذلك الميدان لم يقف فيه مطران بيروت مكتوف اليدين ، مغلوباً على امره . بل انه أبى كل امتثال ، ريثما يأتيه جواب الكرسى الرسولي جازماً بالامر . وفاته ان استغاثته برومية لا توقف التأديبات البطريركية عن مفعولها . وبعد بذل الكثير من المساعي والاخطارات ، وكلها

---

(١) المرجع المذكور عينه .

اصطدمت بالعقم والفشل ، رشق البطريرك مطرانه بالرباط الكنسي وإذ مرّ بعض الشهور شرع البطريرك يدأب في اخضاع مطرانه بالتي هي احسن . فعزم على حمل القضية الى مجلس تحكيمي يتألف من البطاركة الكاثوليك الثلاثة : يوسف تيان الماروني ، اغناطيوس جروه السرياني ، وغريغوريوس الارمني ، المقيمين في لبنان . وتلبية لالحاف البطريرك مطر ، ورغبة الامير الماروني بشير شهاب الكبير ، نزل البطاركة عند الامر . غير ان البطريركين غريغوريوس وجروه ما عتما ان طلبا باعذار لم يعللاها ، فانسحبا من الميدان ، ولم يصمد فيه غير البطريرك تيان . فسار في المسألة غير هياب ، هدفه احقاق السلام واصلاح ذات البين ، قاطعاً على الشكوك كل نفوذ وجريان . فاصدر حكمه في ٨ تموز سنة ١٧٩٨ . « واذ استند الى ان صرّوفاً عمل طيلة ٨ اشهر بحكم مجمع مار ميخائيل الزوق ، وانه بعد تلك الحقبة عينها ارتأى رفع الامر الى رومية ، ولما كان هذا الاستئناف لا يعصم من الرباط ، حكم (تيان) بعقاب المطران صروف ، وأيّد البطريرك اغابيوس ، بما انه لم يتجاوز حقوقه (١) » بيد انه طلبت المشورة في ذلك الى المرسلين اللاتين ، فاصدروا حكمهم مناقضاً لحكم تيان ، وكان قوامهم الاباء : جبرائيل الكبوشي رئيس دير دمشق ،

(١) « Echos d'Orient » مجلد ٥ ، وجه ٣٦٧ وما بعد . ومخطوطات مطرانية بيروت الملكية ، عدد ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٧ الخ ...

لويس العازاري رئيس عنطوره ، وفلافيان الفرنسيسي الممثل لحراسة الارض المقدسة .

فعلى رأي هؤلاء المرسلين « ان حكم مجمع الزوق لم يكن على شيء من القيمة والاعتبار ، اذ ان اساقفته استندوا في حكمهم الى ارادة البطريرك فحسب ، دون يسمعوا لاغناطيوس صروف دفاعاً . والحال ان ارادة البطريرك لفي عجز عن تكوين حجة له من هذا القبيل . اذن كان على اغابيوس ان يرجع بايجاب التأديب الذي رشق به صرّوفاً ، بما ان هذا قد استأنف الى رومية . وكذلك جمعية مار سمعان فانها تظل جارية على وضعها كما سبق لها . وكان بوسعها ان تعتصم بما اختطت لنفسها من عوائد معمول بها في الكنيسة الرومانية . واخيراً ان ابرشية جبيل ترجع الى اغناطيوس بكل حق . فان من يستأنف الى رومية يبقى متمتعاً باستعمال جميع ما يُنكر عليه من حقوق ريثما يدلي الكرسي الرسولي بجوابه النهائي القاطع (١) » .

وفي اثناء تلك المناورات كان البطريرك الماروني المذكور يدأب في تقرير المصالحة ، واطلع على فكرته هذه المطران جرمانوس آدم . « وما تبادله تيان وآدم من الرسائل حول المسألة لم يقل عدده عن الاربع . وذلك سحابة فترة طرفاها ٢٣ و ٣١ ايار عام ١٧٩٨ (٢) . وكلها منيت بالخيبة والعبث . »

واخيراً اطل الجواب من رومية ، وبين جنبيه الاقرار الرسولي

---

(١) « Echos d'Orient » في نفس المحل المذكور .

(٢) المرجع الاخير نفسه .

لما حكم به تيان ، مع الالغاء لجمعيـة مار سمعان المعهودة . ثم يزيد مجمع نشر الايمان ان ابرشية جبيل تعتبر منفصلة عن ابرشية بيروت. وبالنتيجة ان ما اجـرى البطريرك من رسامة المطران طبيب كان على تمام المشروعية والصواب (١) .

وبعد ذلك تطورت الايام فانتجت لصروف ان يصير بطريركاً خلفاً لاغابيوس مطر ، وذلك في ٩ شباط عام ١٨١٢ . لكنـه ما عتم ان مات في سنة انتخابه نفسها ، في ٦ ت٢ عام ١٨١٢ (٢) .

---

(١) « Echos d'Orient » في نفس المحل .

(٢) المرجع المذكور ايضاً ، مجلد ٦ ، وجه ١٧ .

الفصل الرابع

في السريان

١ لمعة من تاريخهم . — ٢ البطريرك اندراوس. — ٣ البطريرك بطرس. — ٤ اسحق بن جبير. — ٥ ديونيسيوس شكرالله. — ٦ السريان الكاثوليك بعد وفاة البطريرك بطرس. — ٧ البطريرك ميخائيل جروه . — ٨ جمعية الراهبات. — ٩ السريان المترهبون عند الموارنة. — ١٠ دير السريان في رومية . — ١١ متى نقار .

١ً لمعة من تاريخ السريان

كان الطقس الانطاكي مستعملاً ، في عهود المسيحية الاولى ، باللغة الآرامية خصوصاً (١) . لكنه تعدّل مع هذه اللغة بالتدريج ، واصطبغ نظيرها باسم « السرياني » . وعندما اقدم المجمع الخلكيدوني عام ٤٥١ على رشق اوطيخا وبدعته بالحرم، كان ذلك مدعاة لانشاء الكنيسة المنوفوستية (توحيد الطبيعة في المسيح) . وقام ديوسقوروس يؤيد اوطيخا في مذهبه، فاكتسب بين نصارى سورية جمهرة من الاتباع وفيرة . هؤلاء الاشياع لبسوا فيما بعد اسم « يعاقبة » اذكاراً ليعقوب البرادعي، منظم كنيستهم في الجيل السادس ، والعامل الفعال على بث عقيدتهم وتذيعها في عهد

---

(١) وقد استعمل هذا الطقس ايضاً في اللغة اليونانية في المدن الساحلية .

الملك يوستينيانوس (١) . وكانوا في الجيل السابع على عدد وفير . لكنهم اقبلوا بكثرة كبرى على اعتناق الاسلام ، زمان الفتح العربي ، ولم يصمد منهم اليوم اكثر من ثمانين الفاً .

وهم منتشرون في سورية والعراق وكردستان (٢). ورئيسهم الروحي يتلقب « بطريرك انطاكية » ويقيم في دير الزعفران ، بين ديار بكر وماردين (٣). وتسميته تتم في مجمع اساقفة يتفق اعضاؤه على وضع لائحة بثلاثة مرشحين ، ترمى اسماؤهم ، على قصاصات ثلاث مقتطعة ، في اناء مطبق . ويُسحب منها اسم على طريقة « اليانصيب » فيكون صاحب الاسم المسحوب هو

(١) ولا بد من التمييز بين اتباع ديوسقوروس او اليعاقبة ، وبين اتباع اوطيخا . فالاوائل لا يسلمون الا بطبيعة واحدة في السيد المسيح ، وهي طبيعة مؤلفة من طبيعتين ، دون ان تعرف احداها امتزاجاً بالاخرى او التباساً بها ، او تحويلاً منها اليها ، واستقلالاً عنها . وبتعبير اوضح يعتقدون بطبيعة مزدوجة بدلاً من طبيعتين . اما الاوطيخيون فينسبون الى السيد المسيح طبيعة واحدة يصوغها مزيج او تركيب من الطبيعتين الالهية والانسانية . ويعتقد اليعاقبة عينهم ان « القديس ديوسقوروس نفي الى مدينة غانجر في بلاد تراقية اليونانية . لان اشياع نسطوريوس كانوا يشيعون ان زعمه كان زعم اوطيخا عينه » . (اطلب ميخائيل السرياني ، مجلد ٢ ، وجه ٥٨ . ثم « L'Orient Chrétien » سنتها ١٠ (١٩٠٥) وجه ١٤٤) .

(٢) وفي الملابار عدد منهم يربي على مائة الف ، يحكم عليهم البطريرك اليعقوبي بسلطة اسمية فقط .

(٣) وعلى اثر الانقلابات السياسية التي احدثتها الحرب الكونية لم يبق لغبطته مقر ثابت فاصبح يقيم تارة في حمص وطوراً في حلب .

البطريرك المنتخب وينتهي الامر (١) .

وفي عهد الصليبيين جرّب اليعاقبة ان يتقربوا من رومية بصلاتٍ كانت غير وثيقة ، فلم يكتب لهم الدوام طويلاً . ولكن في الجيل ١٧ اخذت الارتدادات منهم موقفاً جدياً فنمت وتزايدت بفضل المساعي الحثيثة من المرسلين اللاتين ، وغيرة قناصل فرنسة ، ولا سيما پيكه وبارون .

٢ً البطريرك اندراوس

اليك ما هو مسطور في رسالة تاريخها ١٦/٣ ، عن تكوين الكنيسة السريانية الكاثوليكية وعن انتخاب اندراوس بطريركها الاول :

« ... ان السريان يؤلفون اكثرية كبرى في مدينة حلب هذه ، وكثيرون منهم تعلّموا اسرار ديانتنا ... من مرسلي اوروبة ... ، فاتحدوا مع الكنيسة . لكنهم يقاسون اشد المحن ، لوجودهم تحت حكم اساقفة من الاراتقة ، ولا يجرأون على الجهر بديانتهم الحقيقية . لذلك ... ان فرانسوا پيكه ، قنصل فرنسة بحلب في ذلك العهد ... عزم مع الآباء المرسلين الذين كانوا هناك ، ان يستحضروا من لبنان مطراناً اسمه اندراوس ، كان قد ترك بيئته السريانية ولجأ الى بطريرك الموارنة في جبل لبنان ، ليتبع معهم بملء الحرية مذهب الكنيسة الرومانية . هذا الرجل الصالح اقام على ممارسة الديانة بحرارة فائقة ، حتى ان بطريرك الموارنة رسمه كاهناً .

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ١٠ (١٩٠٧) ، وجه ١١١ .

وفيما بعد رقاه الى الدرجة الاسقفية ... (١) » .

وكان اسمه عبد الغال اخيجان . ولد في ماردين عام ١٦٢٢ . وابواه يعقوبيان(٢) . هداه الى الكثلكة احد المرسلين (٣) . واذ خشي الاضطهاد من ذويه ، يمم لبنان وحلّ في دير قنوبين (٤) ، عند البطريرك يوسف حليب العاقوري الآنف الذكر . وعندما تبين هذا البطريرك في الفتى اخيجان اهليته الموهوبة واستعداداته الحسنة ، قرّر ارساله الى مدرسته

---

(١) « Doc. inéd. » مجلد اول ، وجه ٩٥ ، و ٩٦ . وخلاصة السجلات لمديرية الاشغال في قنصلية فرنسة بحلب سنة ١٦٨٣ .

(٢) « حياة الدويهي » للمطران شبلي ، وجه ٢٥ ، و ٢٦ . ثم المشرق ، مجلد ٢٣ (١٩٢٥) صفحة ١٧٨ وما يليها .

(٣) ينسب بعض المؤرخين اهتداء اندراوس الى الاب برونو سان - ايف (Saint-Yve) رئيس الكرمليين في حلب (دي طرازي : السلاسل التاريخية وجه ١٧٨ . ثم « Docu. inédi. » للاب رباط ، مجلد اول ، ٤٥٣) . بيد ان البطريرك الدويهي معاصر اندراوس وصديقه ورفيقه ، يؤكد ان تلك الهداية تمت على يد الاب ايمي شيزو اليسوعي (انظر « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » للاب شيخو ، وجه ١٢٣ . و « حياة الدويهي » ايضاً ، وجه ٢٥) . على انه مهما كان من الامر فاندراوس استرشد عدة مرسلين ولكل في ارتداده يد يصعب تحديد مداها من الكبر او الصغر .

(٤) بدأ قنوبين ان يكون مقراً للبطاركة الموارنة منذ عام ١٤٤٠ في عهد البطريرك يوحنا الجاجي .

المارونية برومية (١) حاسباً في نفسه ان هذا المهتدي الجديد سيتوفر هناك على احسن ثقافة فيستقي العلم الكاثوليكي من ينبوعه، ويكون الشاهد العيان على ما للكنيسة من قوة الحياة الجوهرية . فبعثه في جملة من الغلمان الموارنة للتثقيف الكهنوتي سنة ١٦٤٦ (٢) .

وصل اندراوس الى رومية وللحال انيطت به مهمة الرقابة والسهر على الدارسين . ودرس اللاهوت الادبي على كاهن ماروني هو جورج عبدالله الحاقلاني . وهناك تعرّف باستفانوس الدويهي وعقد معه صداقة وثيقة الرباط للغاية (٣) . ولما احتُفل باليوبيل المئوي الاول لمعهد الموارنة الاكليريكي برومية، طُبع هناك عام ١٦٨٥، «الكتاب الذهبي لتلامذة القدماء»، وبين تضاعيفه اسم اخيجان وصورته مذيلة بابيات من الشعر لاتينية نُظمت لمديحه تطلنا من معانيها على «مبلغ اخيجان العظيم من الانكباب الفائق على التحصيل، وتحليه بالمع الاخلاق واجلها (٤)» .

---

(١) وفي رسالة للمرسلين من حلب عام ١٦٦٢ ان اخيجان قد تعلم في رومية في جامعة البروبغنده («Docu. iné.» للاب رباط، مجلد اول وجه ٤٥٠ ومابعد). ولكن الدويهي الذي كان واياه سوية برومية يجزم قاطعاً بانه كان في المدرسة المارونية («تاريخ الازمنة» ، سنة ١٦٥٦) .

(٢) ويقول دي طرازي ، وجه ١٧٩ ، ان ذلك كان سنة ١٦٤٩ .

(٣) المشرق ، مجلد ٢٣ (١٩٢٥) وجه ١٧٩ .

(٤) دي طرازي ، وجه ١٨٠ .

وعند الانتهاء من دروسه الكهنوتية ، رجع الى حلب ، لكنه لم يقوَ على سكناها طويلاً لحنق والده عليه (١) . فلاذ بلبنان ثانية لاجئاً الى البطريرك الماروني ، يوحنا البواب الصفراوي الآنف الذكر . وللحال بادر هذا البطريرك فانعم عليه بالدرجة الكهنوتية ، وتسمى اندراوس (٢). وبينما كان هذا الكاهن الجديد معتكفاً على الصلاة والعزلة ، في قنوبين ، كانت الافكار في حلب متجهة اليه .

ومن المعلوم ان ارتدادات اليعاقبة في حلب كانت على اقبال باهر . وكان فرانسوا بيكه روح هذه الحركة الرسولية . ولكي يوجد هذا القنصل دعاة كاثوليك لاولئك المهتدين الجدد ، عقد صداقة متينة مع شمعون بطريرك اليعاقبة . « وكثيراً ما اتى في جنبه من آيات الولاء والايناس المشفوعة غالباً بالدعوات الرسمية الى تناول الطعام على مائدة القنصلية . وبعد محاولات ومجهودات ، تمكن بيكه من اقناع البطريرك باختيار كاهن سرياني كاثوليكي مطراناً على حلب (٣) » . واخيراً نجح بايقاع الاختيار على اندراوس ، فكتب هو وكتب المرسلون ايضاً الى البطريرك الصفراوي

---

(١) المشرق مجلد ٢٣ ، وجه ١٧٩ .

(٢) دي طرازي في نفس المحل .

(٣) المخطوطات الوطنية ، باريس ، ل ٩٣٢٠ ، عدد ٤ . ثم «Docu. iné.» مجلد اول ، وجه ٤٣٤ ، و ٤٣٥ . والمشرق ، مجلد ٢٣ (١٩٢٥) ، وجه ١٨٠ . و « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » وجه ١٣٢ .

المذكور ، في قنوبين ، يعرضون له حالة الكنيسة السريانية الكاثوليكية وحاجاتها ، وهي وليدة تلك الساعة ، ورجوه ان يرفع اندراوس الى الدرجة الاسقفية .

نزل البطريرك الماروني عند ذلك الطلب . فكرّس اندراوس حبراً في ٢٩ حزيران عام ١٦٥٦ ، وارسله الى حلب وتوفيراً لمساعدته في الرسالة والوعظ ، ومعاضدته في موقفه من الحراجة والوعورة ، حيث هو مزمع ان يقيم ، ارفقه غبطته بالخوري استفان الدويهي الذي لازمه هناك خمس سنين (١) احدث فيها كثيراً من الارتدادات في صفوف اليعاقبة (٢) . وحين صار ذلك الدويهي بطريركاً فيما بعد اذكر تلك الرحلة الحلبية في رسالة كتبها عام ١٧٠١ الى الاب بطرس مبارك الآنف الذكر ، الموجود حينذاك في رومية . واليك بعض ما جاء فيها قال : « ... وبعد ان ارتسم اندراوس مطران حلب على السريان ... رحت انا بنفسي معه . وكنت اساعده في المشورة وفي كتيبة الكرز الذي كنت انا اعطيه ... (٣) » .

---

(١) دي طرازي ، وجه ١٨٠ .

(٢) المخطوطات الوطنية في المحل المذكور . ثم « Documents inédits » في نفس المحل . والمشرق مجلد ٥ (١٩٠٢) وجه ١٨٧ . ثم « الدر المنظوم » ، وجه ١٠٩ .

(٣) حياة البطريرك الدويهي ، وجه ١٤٣ .

لقي اندداوس والدويهي في حلب ترحاباً جذلاً من المؤمنين والمرسلين والقنصل بيكه. هذا القنصل استحصل بشديد عناء « بالرغم عن البطريرك واراتقة حلب امراً من الباب العالي يوجب تحت عقاب العصيان، قبول المطران اندراوس راعياً شرعياً لحلب (١) ».

وعلى الرغم من هذا الامر السلطاني لم يتلكأ الخصوم عن اضطهاد هذا المطران الجديد. بل انهم اتخذوا من المال سبيلاً سوياً ادركوا منه النجاح فارغموا اندداوس على الهرب ثانية الى لبنان محتمياً عند البطريرك الماروني (٢)، في ١٥ ايار عام ١٦٥٧. واستقام هناك الى ١٨ ايار سنة ١٦٥٨ (٣). واغتنم من اقامته في قنوبين ان نقل لاستعماله الشخصي كتاب « الرتب الحبرية »، وسمّى نفسه فيه « مارونياً » اذ لم يكن السريان الكاثوليك في ذلك العهد قد اتخذوا لهم اسماً بعد يميزهم عن باقي الطوائف (٤).

---

(١) المخطوطات الوطنية في المحل المذكور. ثم « Docu. iné. » في المحل عينه.

(٢) البطريرك جرجس ابن الحاج رزق الله من قرية بسبعل حذاء قرية « المترجم » رئاسته: (١٦٥٧–١٦٧٠).

(٣) المشرق في المحل المذكور.

(٤) « عناية الرحمن في هداية السريان » للمطران ديونيسيوس نقاشه، وجه ٤١.

على ان المرسلين ما زالوا باندراوس الحاحاً وترغيباً، حتى رجع الى حلب. والتمس له القنصل پيكه من الكرسي الرسولي تثبيت انتخابه لمطرانية السريان. وما عتم الجواب ان رجع من رومية بالايجاب، في ٢٨ ك٢ سنة ١٦٥٩، وبدؤه «من الامور الخطيرة جداً» (١). فكان هذا المرسوم البابوي من اكبر المشجعات لاندراوس، فوق مساعدات الدويهي، على الاندفاع بخوض غمار الرسالة بالمحاضرات والمباحثات الدينية الجدلية. ومن جراء ذلك انفصل عدد ساحق من الارثوذكس عن طقسهم واعتنقوا العقيدة الرومانية.

وفي تلك الاثناء مات شمعون بطريرك اليعاقبة في ماردين. فانقسم الرأي في امر خلافته رأيين، انتصب لكل منهما حزب. عند ذلك قام المسيو بارون، خلف پيكه في القنصلية الفرنسية بحلب، يعمل جهده على احباط ذينك الحزبين، بالسعي وبذل المال. «فنجح بفضل ما قامت به فرنسة دولته من مفاوضة رسمية حملت السلطان سنة ١٦٦٢ على ان يصدر، تأييداً للمطران اندراوس، فرماناً سلطانياً، لم يسبقه مثيل بفساحة صفحته وكثرة مادته، مكتوباً بمداد من الذهب، ومعه فرمان آخر الى جميع الباشوات والوزراء الحكام يأمرهم باخضاع الشعب السرياني الى السيد اندراوس المومأ اليه، في كل بلد تظللها سماء سلطنته (٢).

---

(١) «الحق البابوي»، مجلد اول، وجه ٣٠٨. ثم «Docu. iné.» مجلد اول، وجه ٤٥٥، حاشية.

(٢) المرجع الاخير نفسه، وجه ٤٦٥.

وكان جلوس اندراوس على العرش البطريركي من النصر المبين .

« وحينذاك اقبل بطريركا الروم والارمن ، وهما كاثوليكيان بالقلب فقط ، على كنيسة السريان ، مرتدين الحبريات ، يحف بهما اكليروسهما وجمهرة غفيرة من الشعب . وحدّث ولا حرج عما نال اندراوس اذ ذاك من غريب الوقار والمجد اولته اياه السلطات التركية العليا من مدنية وعسكرية ، مما لا عهد به للكاثوليك من قبل . اما الشعب فاذ رأى ثلاثة بطاركة مجتمعين سواءً ، فتهم السرور فارغمهم على الهتاف : « اليوم قد حلّ الروح القدس في كنيسة السريان حقيقةً » ، وقد زادوا في السرور والانفعال عندما شاهدوا الاحبار الثلاثة محمولين على الكراسي فوق المناكب يجودون على الشعب بالبركات (١) » .

واصطبغ البطريرك الجديد باسم اغناطيوس اندراوس (٢) . واوفد الى البابا اسكندر السابع الاب ايرونيموس الكرملي ليلتمس له التثبيت (٣) . ولكن ذلك لم يتم الا بعهد البابا اكليمنضوس التاسع الذي اقرّ الانتخاب واولاه الدرع الحبرية عام ١٦٦٧ (٤) . وعام ١٦٧٨ استأثرت رحمة الله

---

(١) « Doc. inéd. » مجلد اول ، وجه ٤٦٦ .

(٢) منذ ان مات اغناطيوس الخامس من انطاكية (١٢٩٣ـــ١٣٣٣) اختط البطاركة السريان ان يضاف اسم اغناطيوس الى اسم كل منهم ، اذ كاراً للقديس اغناطيوس النوري بطريرك انطاكية الاول (٦٨ـــ١٠٧) ولم يحسبوا اوديوس وهو اول خلف لبطرس الرسول بعد رحيله الى رومية (دي طرازي ، وجه ٤١٤ ، حاشية اولى) .

(٣) « Documents inédits » مجلد اول ، وجه ٤٦٧ .

(٤) المشرق ، مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٩١٤ وما بعد .

باندراوس ، بعد ان ملأ السنين الطوال بالجهاد والوسولية ، وتكبد الاضطهادات (١) .

٣ً البطريرك بطرس

قال اخيجان ، في ساعة احتضاره الاخيرة ، الى المحيطين بسريره : « لن يكون لكم من يستطيع رعايتكم بالغيرة الواجبة والمحبة والنشاط ، غير المطران غريغوريوس بطرس شاهبادين . فارى ان تجعلوه بطريركاً من بعدي (٢) » . اصابت تلك الوصية محلها من السامعين فُنفذت . وكان غريغوريوس بطرس مطران اورشليم . فتعاون الكاثوليك والمرسلون والقنصل على بذل المستطاع ، مما تقاضاهم المال الكثير ، لدى السلطان والسلطات العثمانية المحلية ، حتى نجحوا اخيراً فجعلوه معترفاً به بطريركاً شرعياً مجلواً باسم اغناطيوس بطرس السادس (٣) . وحصل المنتخب الجديد على تثبيت الكرسي الوسولي عام ١٦٧٩ (٤) . وذهب الى حلب بعد كثير من تقلبات الاحوال به ، ففتح كنيسته بوجه المرسلين والكاثوليك ، وكرّس

---

(١) «Docu. iné.» مجلد اول ، وجه ٩٦ . والمشرق بنفس المحل . — وطرازي يقول ، وجه ٦١ ، انه مات سنة ١٦٧٧ .

(٢) دي طرازي ، وجه ٦١ ؛ ونقاشه ، وجه ٦٩ .

(٣) المشرق مجلد ٣ (١٩٠٠) ، وجه ٩١٤ وما بعد . وطرازي وجه ٦١ وما بعد .

(٤) الخوري غبرئيل ، مجلد ٢ ، قسم ٢ ، وجه ١٤١ وما بعد .

جملة من الاساقفة على كراسي المدن الآهلة بالاراتقة مما وفر الكثلكة على ازدهار كبير ، في الموصل ، وديار بكر وغيرها (١) .

ومعاضدة له في مهامه الكاثوليكية ، رتّب له الملك لويس ١٤ جعلاً سنوياً بمبلغ مائتي ريال . وقد اكد كولبير (Colbert) « ان هذه الجعالة ستؤدى كل سنة بالتدقيق (٢) » . على ان يعاقبة حلب لم يكونوا في نوم، بل انهم بعد وفاة اندراوس دعوا الى المدينة بطريركهم عبد المسيح ، وتضافروا واياه على هدم ما كان الفقيد قد شيّد . ولم يذخروا اي وسع لاهلاك البطريرك الجديد : بالشكايات والمضادات والافتراءات ، مما اضطره الى العياذ بلبنان عام ١٦٩٠ ، اتقاء الاهانات والتهجمات العدائية. ومكث في قنوبين الى سنة ١٦٩٣ (٣) ، في ضيافة البطريرك الدويهي الذي ذكر هذا الحادث في رسالة كتبها الى الاب بطرس مبارك المعهود، تاريخها ١١ ايار عام ١٧٠١ قال : « ... التجا الينا بطرس بطريرك السريان واقام عندنا مدة طويلة، وقد قبلناه بكل اعزاز واكرام (٤) » . ولم يتمكن البطريرك بطرس من الرجوع الى حلب ، الا بعد ان استحصل له اسحق بن جبير فرماناً

(١) « .Docu. inédi » مجلد اول ، وجه ٩٩ ، و ١٠٠ .

(٢) المحل الاخير نفسه ، وجه ١٠٤ ، و ١٠٥ .

(٣) دي طرازي ، وجه ٦٨ .

(٤) طرازي ايضاً ، وجه ١٢٠ . وترجمة البطريرك الدويهي ، وجه ١٤٤ . والمشرق ، مجلد ١١ (١٩٠٨) ، وجه ٢٨٧ .

سلطانياً يعترف به سيداً شرعياً لكنيسة السريان (١).

وعام ١٧٠١ اشعل جرجس بطريرك اليعاقبة، ضد السريان الكاثوليك، نار اضطهاد حامية، بالدسائس والكيود. فامر قاضي حلب بجلد البطريرك بطرس ٨٠ عصا، وهو شيخ في الستين من عمره، ومثلها الى رئيس اساقفته، وابناء ملته الذين امكن اعتقالهم. ثم القوهم جميعاً في غيابة جب بعيد القعر، وابقوا عليهم هناك شهوراً ثلاثة. ثم نفوهم الى قلعة آدنه. وهناك بعد الوف من شر المعاملات والبهدلات، وضرب الجالد والعصي، مات ذلك البطريرك القديس سنة ١٧٠٢ شهيد الايمان (٢).

وقد اصاب البطريرك الدويهي سهم وفير من ذلك الاضطهاد بسبب تفانيه في خير السريان الكاثوليك. واليك ما دوّن عن ذلك قنصل فرنسة في صيدا، المسيو استيل (Estelle) في مذكراته بشهر ت١ عام ١٧٠٢ قال:

« ان هذا البطريرك الماروني المسكين هو اليوم في محنة قاسية كتب لي هو عنها في ٣ من الشهر الجاري ... وبطريرك السريان المقيم في حلب ابلغ الباب العالي ان بطريرك الموارنة هـو في بطريركيته بامر البابا فقط، وانه لم يحصل على التثبيت من الصدر الاعظم. فامر الباب العثماني باحضار الدويهي امام وزير طرابلس للمجاوبة

(١) طرازي وجه ٦٨.

(٢) « Docu. iné. » مجلد اول، وجه ١١٠ الى ١١٧. ونقاشه، وجه ١١٩. واعمال السياسة التركية في وزارة فرنسة الخارجية، مجلد ٣٨، كراس ٢٠٩ والخوري غبرئيل، مجلد ٢، قسم ٢، وجه ١٤١، و ١٤٢.

على هذا الامر ... ولكن طائفته المتفانية بحبه والتعلق به لا تبقي على وسع وامكان لتدفع عنه هذه الصدمة العنيفة . وقد طلب الي حمايتي وحماية قنصل حلب ... فاجبته اني جد آسف لعجزي عن اعطائه ما اراد في هذا الظرف ، ونحن حيال امر مغلظ من الصدر الاعظم ضد المرسلين ... (١) » .

٤ اسحق بن جبير

كتب البطريرك الدويهي في رسالته الى الاب بطرس مبارك عام ١٧٠١ قال : « ان مشاغلي في الرسالة وغيرها ليست محصورة في طائفتي فقط . وما تاخرنا ايضاً عن نفع الطوائف التي بجيرتنا ... ولما طفر لعندنا القس اسحق وانا بطرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته ايضاً خورياً ... (٢) » .

هذا الضيف الذي نزل على العلامة الدويهي هو اسحق بن جبير ، احد الافذاذ في كنيسة السريان الكاثوليك ومفاخرها . وُلد في الموصل وتربى عند الكبوشيين ، متلقناً عليهم مبادىء اللغتين اللاتينية والايطالية . ثم ارسله البطريرك اندراوس الى رومية لاتمام العلوم . وهناك كان يقيم غالباً في مدرسة الموارنة الاكليريكية (٣) . وعندما ترك رومة ، جاء لبنان فامسكه الدويهي سنتين في ضيافته ، ورسمه كاهناً عام ١٦٧٢ . ثم

---

(١) « Missions du Levant » مجلد ١٠ ، كراس g وجه ١٤٤ وما بعد .

(٢) دي طرازي ، وجه ١٢٠ . و « حياة الدويهي » وجه ١٤٤ . والمشرق مجلد ١١ (١٩٠٨) ، وجه ٢٨٧ .

(٣) نقاشه ، وجه ٦١ .

سافر اسحق الى بطريركه في حلب فعينه غبطته خورياً لديار بكر . وبعد قليل من السنين تكرس مطران آمد (اسم قديم لديار بكر) مجلواً باسم طيموثاوس اسحق وتسلم مقاليد ابرشيته في اواخر عام ١٦٨٢ (١) .

واتى من الغيرة الرسولية ما أثار عليه وعلى ابنائه الاضطهاد العنيف من اليعاقبة . فان هؤلاء حملوا رئيسهم المفريان فشكا الكاثوليك ، ودفع السلطات العثمانية الى منع الارثوذكس من الارتداد الى الكثلكة . ثم جاء حلب فاستولى عنوة على كنيسة السريان الكاثوليك ، وطرد منها بطريركهم اغناطيوس بطرس ، وتابع سيره الى ديار بكر . اما طيموثاوس اسحق فلم يعبأ به ، بل قصد الاستانة وحصّل من الباب العالي امراً بارجاع بطريركه الى مركزه ، وقد كان هرع الى لبنان ، وبعزل جرجس بطريرك الارثوذكس من الموصل . ثم رجع الى حلب واسترد ملكية الكنيسة المغتصبة (٢) . فكافأه البطريرك بان جعله رئيس اساقفة نينوى ورقاه الى رتبة مفريان تحت اسم باسيليوس . وهو المفريان الاول والاخير عند السريان الكاثوليك (٣) .

---

(١) نقاشه ايضاً ، وجه ٨٧ .

(٢) « Docu... » مجلد ٢ ، وجه ١٤ .

(٣) ان رتبة مفريان هي خصوصية للكنيسة السريانية ، وهي في مقام جاثليق . ابتدعها اليعاقبة في عهد كسرى انوشروان الاول (٥٣١—٥٧٩) . ومهمته ان

وقد تمكن اليعاقبة من اشعال الاضطهاد والمناوءة بالوف الدسائس والمكايد. فانهم نفوا بطريرك الكاثوليك الى آدنه ومات هناك، ونكلوا بالمفريان فصفدوه بالقيود الثقيلة واشبعوه جلداً مبرحاً، وزجوه في اعماق السجن، والحفوا باعدامه مشنوقاً. ولكن الله منّ عليه بمن انقذه ودافع عنه (١).

وبعد ان مات البطريرك اغناطيوس بطرس في المنفى ارسل البابا

يدبر الكنيسة المنوفستية، في مملكة الفرس، نظير الجاثليق النسطوري. والمفريان يتمتع بكثير من الامتيازات: يكرس البطاركة، يستعمل شبه اعلى سلطة على الاساقفة في منطقة ولايته، والبطريرك لا يستطيع التدخل رأساً بشؤون تلك الولاية، اذا لم يكلفه المفريان ذلك رسمياً؛ له حق الترؤس في اجتماع رؤساء الاساقفة. واسمه يذكر في الفروض الالهية بعد اسم البطريرك رأساً. وبدون رضاه واقراره لا يتم انتخاب البطريرك. والحرم الذي ينزله بمطران يعتبر كانه حرم البطريرك عينه...

وقد وجد زمان ايضاً، لما سقطت البطريركية الانطاكية، تفوّق فيه المفريان على رئيسه الروحي بالاهمية والاعتبار. ولكن منذ الجيل ١٤ بدأت مرتبة المفريان بالتقهقر، حتى انتهت بها الحال ان تكون لقباً شرفياً فقط. (انظر ابن العبري: «تاريخ الكنائس» مجلد ٣، عمود ١٢٩. والعلامة السمعاني: «المكتبة الشرقية» مجلد ٢، بحث في المنوفستية، عدد ٨. والمشرق مجلد اول (١٨٩٨) وجه ٣٦٧، ٣٦٨؛ ثم مجلد ٢٢ (١٩٢٤) وجه ٣٦٤—٣٧٢، وعدة مواطن منه.

(١) «Docu...» مجلد ٢، كراس ١، وجه ٢٤. والمشرق، مجلد ٣ (١٩٠٠) وجه ٩١٤ وما بعد.

اينوشنس الثامن ، عام ، ١٧٠٤ ، بواسطة ، المسيو دي فريول (Ferriol) سفير فرنسة في الاستانة ، براءة رسولية عيَّن فيها المفريان اسحق بطريركاً لانطاكية على السريان. وقد طلب ذلك البابا الى السفير ايضاً ان يستحصل من السلطان احمد ٣ فرمان تأييد للمنتخب الجديد (١)

على ان المسيو دي فريول كان قد باشر ذلك السعي منذ زمان مديد. ودونك ما كتب الى الوزير في ٢٨ اذار عام ١٧٠٤ قال: « ان رئيس اساقفة نينوى هو في دار سفارتنا منذ شهر . وقد مكنته من مسكن ومعيشة . ويسهل عليَّ تنصيبه بطريركاً على السريان في حلب . ولكن بما ان الامور هي الآن في قبضة التذبذب ، لم اجد من الموافق ان يتعرض لثورة مكدّرة كالتي اثيرت على البطريرك بطرس ، الذي توفي في سجون ادنه . فان مطران نينوي هذا هو الوحيد بين السريان الذي يمكن الاعتماد عليه براحة ، لما هو عليه من جدارة وشديد التعلق بديانتنا . لذلك ارى من الاوفق ان اتريث عن تحقيق انتخابه بطريركاً (٢) » .

ثم عاد في ٢٨ ت١ سنة ١٧٠٥ فكتب من جديد الى الوزير في الموضوع عينه قال : « نسعى في قضية رئيس اساقفة نينوى لنجعله بطريرك السريان . ونحن الآن في انتظار شهادة طلبناها من حلب وغيرها لنحصل له على فرمان

(١) دي طرازي ، وجه ١٢٦ .

(١) « Doc. inéd. » مجلد اول ، وجه ١١٧ .

عال (١) » . والمفريان اسحق نفسه لاسباب حكيمة رأى ايضاً ان قبوله البطريركية هو غير مناسب اذ ذاك (٢) .

وفي ٢٦ نيسان عام ١٧٠٦ ، كتب السفير الى الكردينال سكريبنتي رئيس مجمع نشر الايمان قال : « ان رئيس اساقفة نينوى ، حين اراد الظعن الى رومية ارفقته بهذه الرسالة الى نيافتكم . وقد لبث نحو ثلاثين شهراً في دار سفارتنا. وكنت اود الاحتفاظ به ريثما يتوفر لنا الظرف الموافق لتنصيبه بطريركاً. على انني لم ادرك ما يحمله على السفر الى رومية (٣) » .

سافر اسحق الى رومية وفيها قضى بقية حياته . وكان هناك يقسم ايام اقامته بين مطران السريان، اثناسيوس صفر، وبين الموارنة في مدرستهم الاكليريكية ، على ما يؤكد ذلك هو عينه في ختام كتاب الاقتداء بالمسيح مخطوطاً ، وقد ترجمه هو من اللاتيني الى السرياني ، وهذا ما كتبه بالحرف : « هذا الكتاب قد خطه بالسريانية المطران باسيليوس الذي عاش في رومية في دير الآباء الموارنة (٤) » .

---

(١) المحل نفسه وجه ١٢١. ثم وزارة الخارجية: المعاملات السياسية التركية، مجلد ٤١ ، كراس ٢٠٩ .

(٢) دي طرازي ، وجه ١٠٦ .

(٣) «Docu. iné.» مجلد اول ، وجه ١٢٢ . والوزارة الخارجية ، مجلد ٤١ ، ٢٧١ .

(٤) المشرق مجلد ١١ (١٩٠٨) وجه ٢٩٠ .

وكان العلامة السمعاني يحفظ لاسحق اجل الولاء والاعتبار. ودونك ما كتب في ذلك قال: « صديقنا الحميم اسحق رئيس اساقفة نينوى الذي لجأ الى رومية بسبب اضطهاد اليعاقبة اياه من اجل تمسكه بالايمان الارثوذكسي وهو حتى الآن لا يزال مكباً على نقل المؤلفات الفلسفية واللاهوتية عن اللاتينية الى العربية (١) ». وقد ترجم ، فوق الكتب الادبية اللغوية والتقوية والجدلية الدينية ، عدة تآليف في الفلسفة واللاهوت . منها فلسفة اريسطو ، ومجموعة القديس توما (٢).

وعندما صار على فراش الموت ، استدعى اليه الاب جرجس بنيمين اليسوعي ، الذي كان قبلاً مطراناً مارونياً لابرشية اهدن — زغرتا ، فاعترف عنده واقتبل منه الاسرار الاخيرة . وحين كتب وصيته ، قسم متروكاته الى اقسام ثلاثة : اختص اولها بدير السريان ، وثانيها بدير الفرنسيسكان بالقدس الشريف ، والثالث وهبه للمدرسة المارونية في رومية دليل عرفان واقرار . وفاضت روحه الطاهرة الى ربها عام ١٧٢١ بعمر ٩٢ سنة (٣).

---

(١) « المكتبة الشرقية » للسمعاني ، مجلد ٢ ، ١٠ . ونقاشه ، وجه ١٦٦ .

(٢) نقاشه في مواطن عديدة . ودي طرازي في عدة نقاط .

(٣) المشرق مجلد ٣ (١٩٠٠) صفحة ٩١٤ وما يليها .

٥َ ديونيسيوس شكر الله

هو شكر الله بن صنيعه . ارتسم مطراناً على حلب عام ١٧٠٩ ، من يد اسحق البطريرك اليعقوبي ، باسم ديونيسيوس شكرالله . وكان مداجياً ذا لسانين ، وكثير التقلب . واذ كان بعد خورياً في الشام ، اكد للسريان الكاثوليك انه يشاطرهم عقيدتهم وحين يمم حلب اتجه فيها الى غير ما كان في دمشق . وارتبط بصداقة متينة مع اثناسيوس بطريرك الروم الارثوذكس . وكلاهما خلقا البواعث لاضطهاد الكاثوليك .

وعام ١٧١٦ انتدب الكرسي الرسولي يوسف سمعان السمعاني حين كان بعد كاهناً مارونياً عادياً ، ليزور الكاثوليك في مصر وسورية ، ويجمع الآثار الخطية العريقة برسم المكتبة الفاتيكانية . واذ زار حلب واجتمع بديونيسيوس ، انبه على تلونه وتقلبه ، ومما قال له : « لقد صرت مشهوراً بانك في وقت واحد تقر الكاثوليك على رأيهم والارثوذكس على رأيهم » . فاخذ الخجل من ديونيسيوس اشد مأخذ واعترف بخطائه وبحق الكنيسة الرومانية . وتزكية لاخلاصه ، كتب وثيقة اقراره بالايمان ودفعها الى السمعاني سائلاً تقديمها الى البابا ، فكان ذلك داعية فرح عظيم وتهليل للكاثوليك . ولكن الزمان بخل على ذلك الفرح بطول الاجل . فان ديونيسيوس ما عتم ان نكث عهوده . وحين نمي ذلك التغيير الى البطريرك اثناسيوس اشتعلَ غيظاً وحنقاً واستحصل من

من السلطان على فرمان ضد ديونيسيوس ، فاعتُقل عام ١٧٢٠ ونفي الى اروا د ، حيث مكث ستة شهور (١) .

وكان في حلب حينذاك الاب عبدالله النور من آمد . وهذا ايضاً قد انقلب على عقيدته الدينية . وذلك انه بعد ان تكبَّد ويلات السجون ، لاجل الايمان الكاثوليكي ، مع البطريرك بطرس الشهيد ، رجع القهقرى الى صفوف اليعاقبة . واذ بصر بمصير ديونيسيوس ، شمر عن ساعد الهمة لانقاذه وانطلق يبذل حثيث السعي بشتى الذرائع ، الى ان ظفر بما ابتغى ، فاقاله من عثرته ورافقه الى ماردين . وهناك افرغ البطريرك اسحق رتبة مفريان على ديونيسيوس ، متخذاً له اسم باسيليوس . وحينئذ انثنى المفريان الجديد على نفسه ، وهي مليئة بالحنق على موارنة حلب ، وفكر في وسيلة يقذف بها عليهم حمم الانتقام . فظعن الى الاستانة ، وشكا اولئك الموارنة بانهم ما فتئوا ، منذ ان مات البطريرك بطرس ، يعملون على كثلكة السريان وتمكين اقدامهم في عقيدة رومة . واستحصل فرماناً عليهم بين جنبيه الامر المحتم بنفي مطران الموارنة وكهنته . واذ ذاك انفجرت براكين الشقاق حامية بين الكاثوليك واليعاقبة . وامر رجب باشا والي حلب ، بالقبض على رؤساء الحزبين ، وزجهم

(١) نقاشه وجه ١٤٥ . ودي طرازي ، وجه ٢٠٥ ، و ٢٠٦ .

في السجون . ولم يفكهم من اسرهم حتى فدوا نفوسهم باربعة عشر كيساً من المال (١) .

ولما حلّ عام ١٧٢٣ ، تبوأ ديونيسيوس عرش البطريركية الانطاكية ، مكان اسحق الذي تنزل له عن تمام الطواعية ، واخذ اسم اغناطيوس شكرالله الثاني . وكان طيلة عهده البطريركي غليظ الكبد جافي القلب والاخلاق على الكاثوليك عموماً ، وعلى الموارنة بنوع اخص .

وعام ١٧٢٥ وصل الى حلب سيلفستروس من قبرس ، بطريرك الروم الارثوذكس المعهود ، وخليفة اثناسيوس ، ومعه فرمان سلطاني يحرم على النصارى اعتناق الايمان الكاثوليكي ، والاختلاف الى المرسلين اللاتين . وتعاهد مع زميله شكرالله ، وأصلان اسقف آمد اليعقوبي ، (٢) على طرد ونفي كيريلس السادس بطريرك الروم الكاثوليك ، الذي فرّ الى لبنان . وكان المطران جبرائيل حواء الماروني قد اوفده الكرسي الرسولي عام ١٧٢٤ قاصداً لزيارة الموارنة في حلب ، والسعي لاتحاد الكنائس .

---

(١) نقاشه ، وجه ١٦٨ . ودي طرازي ، ٣٠٧ . — والكيس كان يساوي ٥٠٠ قرش ذهب في ذلك العصر .

(٢) وقد ارتد اصلان هذا الى الكثلكة ، عقيب ذلك بردح . والف كتاباً عن « طبيعتي المسيح » . (نقاشه ، وجه ١٧٠

وكان قد مرَّ ٨ شهور على ممارسة مهمته ، حين شكاه ذاك البطريركان الى الوالي ، فامر بطرحه في السجن عشرة ايام مصفداً بالحديد . وشرط على ايلائه الحرية سبعة اكياس مالية ، اضطر المطران القاصد الى دفعها ما من ذلك بدّ . وبعد هذه النكبة ترك المطران حواء حلب عام ١٧٢٥ ويمم لبنان ، ومنه عاد الى رومية حيث قضى بقية حياته ، وتوفي عام ١٧٥٢ (١) .

اجل كل هذه الاضطهادات والتعانيف لم تكن لتخفض من جأش الموارنة وبسالتهم ؛ او لتقلل من جهودهم وغيرتهم . بل انهم لبثوا يدعون السريان الى كنيستهم لسماع المواعظ ، وينزلونهم على دورهم لتثقيفهم دينياً او ليحجبوهم عن مكايد اعدائهم . وعام ١٧٤٤ توفي اغناطيوس شكر الله (٢) .

٦ً السريان الكاثوليك

بعد وفاة البطريرك بطرس

مات البطريرك بطرس فضربت شمل السريان ايدي سبي ، وارغموا طويلاً على الحرمان من رئيس يضم عقدهم ويدبر شؤونهم . وفي ايلول

---

(١) دي طرازي ، وجه ٢٠٧ . وبلييل ، مجلد ٢ ، وجه ١١٦ .

(٢) نقاشه ، وجه ١٧٠ .

عام ١٧٠٢ ، نفذ الى حلب معتمد من قبل الباب العالي يحمل فرماناً . فقرأه على مسمع ممثلي اربع طوائف كاثوليكية : الموارنة والروم والارمن والسريان . واذا بهم امام تحريم حازم جازم على كل مسيحي يغير طقسه او يؤاوي عنده اي مرسل من اللاتين . ومن جروء على مخالفة ذلك عُدّ عدو السلطان وثائراً عليه ، وانزل به عقاب السجن مؤبداً (١) .

وشرع الكهنة السريان يهربون من حلب ، في فترة طرفاها عام ١٧٠٦ ـ ١٧١٠ ، فراراً من اضطهادات عسوفة تجسم فيها الموت والفناء وحشاً يبيد بمخالبه وبرائنه ، فلا يبقي ولا يذر ، ولا يرتوي ولا يشبع . وقد هرع اكثرهم الى لبنان ، حيث اقتبلهم البطريرك يعقوب عواد الآنف الذكر ، يعاونه احد اساقفته الياس صافي ، بكل اكرام وترحاب . وساعداهم على بناء دير مار افرام « عين الرغم » في ارض قرية الشبانية في المتن . وقد حضر الى هذا الموضع المطران صافي المذكور واوصى اهل الشبانية ابناءه باحد الاكليريكيين السريان ، هو نعمه حوبي (٢) . فنزل اولئك الموارنة عند وصاية مطرانهم ، ووهبوا حوبي المذكور عام ١٧٠٩ ، ارضاً وسيعة ، بدأ للحال بتشييد بناية فيها . واذ مرّ على ذلك

---

(١) نقاشه ، وجه ١٢٠ .

(٢) فرّ حوبي من اضطهاد بطريرك اليعاقبة ، ولاذ بالرهبان الموارنة في دير مار اليشع بشري ، (نقاشه ، وجه ١٢١ ، و ١٣٩ .

بعض الزمان ، توفي خوري الموارنة بالشبانية . فعيّن المطران صافي خلفاً له احد الكهنة السريان ، اسمه القس سليمان كهود (١) ، الذي اعتنى واهتم بتشييد الدير المذكور هناك . ومما قال السيد صافي لابنائه اولئك :

« ان هـذا الكاهن هو كاثوليكي ، عترفوا عنده ، واسمعوا قداسه ، الى ان اعين لكم كاهناً آخر (٢) » .

ووقت كان الكرسي الرسولي ينشد منذ زمان مديد ، خلفاً للبطريرك بطرس ، وكان المفريان اسحق بن جبير قد ابى ان يقبل المنصب البطريركي ، اسندت اليه النيابة البطريركية مع العهدة بادارة ملته المتيتمة ، ولو كان مقيماً في رومية . وعقيب وفاته عام ١٧٢١ ، تجنّد بدلاً عنه الاسقف اثناسيوس صفر رئيس دير مار افرام ، وشغل منصبه حتى ادركته الوفاة عام ١٧٢٨ ، (٣) . وكل ذلك كان تدابير موقوتة قابلة الالغاء في كل حال .

وكان يود الكرسي الرسولي ان يحظى برجل سرياني جدير ، قدير

---

(١) ولعله هـو الذي المع اليه الدويهي في رسالته المعهودة الى الاب بطرس مبارك عام ١٧٠١ ، حيث قال « ... الكهنة السريان نعمه وسليمان لجأوا الينا من جور بطركهم الضال ، دي طرازي وجه ٢٠ . ثم « حياة الدويهي » وجه ١٤٤ . والمشرق ، مجلد ١١ (١٩٠٨) وجه ٢٨٧ .

(٢) نقاشه ، وجه ١٣٩ وما بعد .

(٣) دي طرازي ، وجه ٣٨ .

على املاء مركزه، في ادارة السريان الكاثوليك وتدبيرهم، وهو مقيم بينهم. فبعث من رومية الى الشرق القس عبد الاحد، شقيق البطريرك بطرس، واكلاً اليه زيارة ملتـه. وسافر القس المذكور عام ١٧١٢، فزار دير مار افرام عين الرغم، في الشبانية، والسريان الذين في لبنـان وبعض مواطن من سورية. وعام ١٧١٥، نفذت اليه المنية، في طريقه الى حلب (١). ولما نُعي الى روميـة، امر الكرسي الرسولي القس بطرس بن يوحنا مصرشاه، عام ١٧١٦، ان يذهب الى بطريرك الموارنة ليقتبل من يده الرسامة الاسقفية. فلم يذعن مصرشاه لذلك الامر الرسولي وله عذره في ذلك، اذ كان في تلك السنة عينها ان الاسقف اليعقوبي، ديونيسيوس شكرالله المعهود، قد ارتدّ الى الكثلكة وايدها طارحـاً بين يدي السمعاني الكبير وثيقة اعترافه بالايمـان الروماني. فاعتقد مصرشاه لسلامة طويته ان هـذا المهتدي الجديد سيثبت على الحقيقـة ويكون راعياً شرعياً للسريان الكاثوليك. نخاب فأله وطاش سهمه. اذ حدا التقلب السريع بديونيسيوس الى الحنث بوعوده المعهودة، فانقلب على الكاثوليك يجرعهم كؤوس الاضطهاد مريرة مترعة.

على ان مجمع نشر الايمـان، عند اطلاعه على هاتيك الحوادث،

---

(١) ١٤٣ من نفاشه.

استأنف عام ١٧١٨ الالحاح على مصرشاه ليرتسم اسقفاً ، مبيناً له ما لهذا التدبير من دواعٍ ضرورية خطيرة (١) . حينئذٍ امتثل مصرشاه للامر الروماني وجاء لبنان يعرضه على البطريرك الماروني، يعقوب عواد المذكور. بيدَ ان غبطته كتب الى مجمع نشر الايمان يشرح له ما لحق ابناءه موارنة حلب من النكبات والويلات من جراء السريان المرتدين ، وطلب اليه تأجيل رسامة مصرشاه الاسقفية ريثما تخمد براكين الاضطهاد والمحن ، ويتقلص ظل الهول والذعر عن المسيحيين (٢) . واذ تأكد مجمع البروبغندة ان ذلك الرأي مصيب ، نزل عنده وامر مصرشاه بالذهاب الى دمشق لخدمة النفوس . وحين تمت السنتان من وجوده هناك ، لبى دعوة ربه الى المصير الاخير عام ١٧٢٠ (٣) .

ووقع الاختيار على القس نعمه قدسي، خريج رومية القديم، ليخلف مصرشاه . وتلقى اذ ذاك ايضاً امراً بالارتقاء الى الاسقفية . وقد لبث في دمشق حتى ١٧٣١ (٤) . ثم جاء لبنان فاقيم اسقفاً على اورشليم ودعي

---

(١) نقاشه ، وجه ١٤٤ ، و ١٦٥ . ودي طرازي وجه ٢٠٦ . ثم « Docu. iné. » مجلد اول ، وجه ٥٤٧ .

(٢) نقاشه في المحل نفسه . ودي طرازي ، في المحل نفسه .

(٣) المحل المذكور اخيراً .

(٤) نقاشه ايضاً كما تقدم .

غريغوريوس نعمه . واثبته الكرسي الرسولي ووكل اليه بتدبير الملة ريثما يستتب الامان والراحة والحرية الدينية فينصَّب اساقفة اذ ذاك على كل الابرشيات . وجعل غريغوريوس اقامته حيناً ما في لبنان بين الموارنة ، في دير مار افرام عين الرغم المعهود ، وحيناً في قرية زوق مصبح. ومن لبنان كان يرعى شعبه البعيد المتبدد (١) . وما حلّ عام ١٧٤٠ حتى قُبض الى رحمة ربه (٢) .

وانتقت البروبغندة خلفاً له ، القس جبرائيل فيزون . هذا رُسم عام ١٧٤٠ اسقفاً لاورشليم محلواً باسم غريغوريوس جبرائيل ، وتعين قائمقاماً بطريركياً (٣). وكان يترحل بين حلب ودمشق ولبنان. وانقبضت روحه الى خالقها عام ١٧٦٠ ، في دير الرغم الشبانية (٤) . وخلفه السيد غريغوريوس شكر الله ابن شقيق البطريرك العتيد ، مخايل جروه . فجعل مقره الدائم في لبنان، ولم يستطع براحة يوماً قط ، خوف اضطهادات ومحن كانت قنابلها حينذاك على انفجار مستمر . وعام ١٧٧٤ ختم الموت على حياته ودُفن في دير للموارنة ، على اسم مار الياس الحي (ولعل هذا

---

(١) نقاشه ، وجه ١٦٧ ، و ١٦٨ .

(٢) دي طرازي ، وجه ٨٠ .

(٣) نقاشه ، ١٨٧ .

(٤) دي طرازي ، وجه ٨٣ . ونقاشه وجه ١٨٧ .

الدير في غزير ، او هو دير شويا في قاطع المتن قرب ضهور الشوير (١).

وجلس مكانه القس يوسف قدسي من رهبان دير الوغم المعهود. فانجلى اسقفاً باسم غريغوريوس يوسف . وظل قاطناً لبنان في دير الوغم. وعام ١٧٧٦، شجر خلاف بينه وبين اسقف حلب مخايل جروه ، وهو اسقف يعقوبي متكثلك . فغريغوريوس بصفة كونه قيمقاماً بطريركياً على السريان يعد نفسه ولياً على سريان حلب . ورفعت المسألة الى مجمع البروبغندة . فاصدر حكمه عام ١٧٧٨ باقامة غريغوريوس في لبنان يسوس منه الملة جميعها ، ما عدا ابرشية حلب ، وراعيها الشرعي هو الاسقف جروه. وعام ١٧٩٧ انقضت انفاس غريغوريوس في بيروت (٢). ولكنه قبل وفاته باربعة عشر سنة كان الاسقف جروه قد انتخب بطريركاً سنة ١٧٨٣ .

٧ً البطريرك ميخائيل جروه

استقام الكرسي البطريركي السرياني شاغراً ، بعد وفاة البطريرك بطرس ، نحو ٨٢ سنة . ونال السريان سحابة تلك الاعوام ، وما بعدها ايضاً ، نوائب فاخرت بفظاعتها كل فظاعة . وكانوا على شفير الابادة

(١) دي طرازي ، وجه ٨٧ . ونقاشه وجه ١٩٣ . — على ان وفاته يعينها نقاشة في صفحة ٢١٢ ، عام ١٧٦٩ .

(٢) دي طرازي ، ٨٨ ؛ ونقاشه ، ٢١٢ .

والاندثار عندما قيّض لهم الله الرجل المعد للتضحيات والآلام، وهو مزمع ان يحمل الكنيسة الوليدة ويعززها بترسيخ دعائمها ونماء شعبها.

ذلك الرجل هو ميخائيل جروه من اصل يعقوبي. اعتنق الكثلكة مقتاداً اليها جمهرة ساحقة من ابناء جلدته، ومعهم اربعة اساقفة: ابراهيم، نعمه، موسى، جرجس. هؤلاء الاحبار انتخبوه بطريركاً في ماردين عام ١٧٨٣ (١). وفي ايلول من تلك السنة اقرّ انتخابه البابا بيوس السادس (٢). بيد ان هذا المنصب الرفيع جرّ عليه ذيول الويلات الكثيرة اصلاه نارها الاعداء. وتوالت عليه العقوبات ضروباً من الاعتقالات الى الغرامات، الى البلص الفادح، الى السجن مراراً الى مرار. وحين كان في بغداد مكرهاً على سكناها، وعلم ما انعقدت عليه النوايا من التصميم على قتله معدماً، فرّ راضياً من الغنيمة بالنجاة، واخترق الصحراء ماراً بتدمر. واذ خاف ان يعرّج على دمشق، فينكشف امره فيها، تابع المسير حتى وصل سنة ١٧٨٤ الى قرية مارونية بلبنان

---

(١) « Echos d'Orient » مجلد ١٠ (١٩٠٧)، وجه ١١١ وما بعد. والخوري غبرئيل، مجلد ٢، قسم ٢، وجه ١٤٢.

(٢) المشرق، مجلد ٣ (١٩٠٠)، وجه ٩١٤ وما بعد. وغبرئيل حيثما رأيت آخراً.

(بيت شباب) في حالة يرثى لها (١) .

ونزل هناك ، مع رفاقه اربعة شهور بادئ بدء ، في دير قديم للموارنة (٢) . ثم حلّ ضيفاً اربعة شهور اخرى على احد الفلاحين من موارنة تلك القرية . وكان سكانها يوفرون له المعيشة بكل اسبابها ، ويسدون كل ما كان يعرض له من حاجة وعوز . وقد قال هو ، في ما كتب عن نفسه من ترجمة حياته ، هذه العبارة : « كان يعوزنا كل شيء فانقلبت الى هذه القرية استجير باهلها المؤمنين واستندي اكفهم (٣) »

وعلى الرغم من تلك الازمات العصيبة ، تشد الخناق على الموارنة ، ما تلكأ هؤلاء قط عن اجارة ذلك البطريرك الطريد المشرّد ، واغاثته مع صحبه ، غير عابئين بعسر المعيشة ، وندور المال الشديد ، واضطراب الامن والاطمئنان ، وهم من ذلك الزمان في حرب ضروس . تلك الحرب الطاحنة كان يتأجج سعيرها بين ذلك الطاغية الجبار ، احمد باشا الجزار ، والي عكا وصيدا ، الذي لم يعرف التاريخ غاشماً اشر منه واظلم ،

---

(١) نقاشه، وجه ٣١٢ . والمشرق كما تقدم اخيراً. ثم « L'Orient Chrétien » سنتها ٦ (١٩٠١) وجه ٣٩٧ .

(٢) هو دير مار انطونيوس النبع للرهبنة اللبنانية اليوم (انظر المشرق مجلد ٣ (١٩٠٠) صفحة ٩٢٤ حاشية ، (المترجم) .

(٣) « L'Orient Chré. » كما رأيت اخيراً .

وبين الامير يوسف شهاب حاكم لبنان . وقد دارت رحاها سبعة شهور . ويصفها البطريرك جروه بما ترجمته :

« جرت الويل والثبور على البلاد واهلها . اولئك المساكين نفضوا ايديهم من اي رجاء بالتملص من جشع الجزار وجوره . وقد ضرب سرادق سلطته وسطوته على الجبل برمته . فاحتلت عساكره القرى وشغلت البيوت ، حتى ايقن اذ ذاك بطريرك الموارنة واساقفتهم ورهبانهم ان حياتهم في خطر محتم ، وقراهم صائرة الى الدمار لا محالة ، فاخرسوا اجراسهم عن الدوي والرنين ، وخنقوا اصواتها مكرهين ، وفزعوا بمتاعهم وكنوز كنائسهم الى المغاور في اجواف الاودية مختبئين . وكان الحكم العثماني ناشراً لواءه على البلاد ، وجزار عكا يعبث فيها بما اراد .

وعزت اسباب المعيشة ، وتفاقمت اثمانها ، لعجز البلاد عن الانتاج ، وكثرة العساكر تغتصبها العيش لتعيش وهي جائعة كلبة . فوق ما كان من جفاف الموارد ، وقطع السبيل على حركة المرور جيئةً وذهوباً . وانا اعرض حالتي لحكم الملا . فاني كنت دائماً في ديري المتهدم الداثر (١) انتظر القوت تجود عليّ به محبة المؤمنين ، وانا خالي الانفاض لا املك شروى نقير . وبعد اربعة شهور من ذلك اذا براهبات مدبرات من وجه الحرب جئن ينشدن ملجأ في تلك الخرائب ، حيث كنت ، ولا متسع لهن فيها ، وعددهن مع بعض اشخاص يقارب الخمسين . فتعذّر عليّ البقاء هناك ، واخرجتني حراجة المكان الى غير حمى .

« ولكن انى اذهب في بلاد هي في حرب طاحنة ، وخصوصاً انا غريب انكر من شيء ؟ اخيراً لجأت الى فلاح وضيع في قرية مجاورة (٢) واقمت في بيته اربعة شهور اخرى ، على اشد بؤس وشقاء . وفي ذلك الحين بلغ اليّ احد اساقفتي فازعاً الى مصر ، ثم واحد من شمامستي في حالة كلية الشبه بحالتي ، من قبل ذلك ببضعة

---

(١) اي دير النبع المذكور .

(٢) هي قصبة بيت شباب اليوم .

شهور . فانضما الينا بمن معهما . وصرنا جهوراً من ستة اشخاص ، لا مورد لمعيشتنا سوى من حسنات المؤمنين ... (١) » .

وضعت تلك الحرب اوزارها، وكان ذلك البطريرك قد يمم كسروان. فنزل قرية درعون ، حيث استقبله نائب البطريرك الماروني ، الخوري مخايل حرب ، ثم البطريرك نفسه ، يوسف استفان (١٧٦٦—١٧٩٣) بالرحابة والحب ؛ والاثنان ساعداه على تملك دير سيده النجاة في محلة « الشرفه » الراكز على علوة فوق درعون . هذا الدير قد اسسه ، وشيَّد اركانه عام ١٧٥٧ ، كاهن ماروني من اهدن ، هو الخوري يوسف مارون الدويهي ، احد اعلام الدارسين في رومية ، وجعل منه مدرسة للاحداث (٢) .

والاسرة المارونية ، آل الخازن ، قد ساعدت البطريرك جروه ، بسخي احسانها وهباتها ، على تشييد هذا الدير كما هو اليوم . وقد تحول مؤخراً الى معهد علمي لنشء الاكليروس السرياني . وفي هذا الدير ايضاً قد عقد المجمع الملي السرياني واشتهر باسمه « مجمع الشرفه » . وقد عيَّن الكرسي الرسولي لاهوتياً لذلك المجمع ، وعضواً في اللجنة الرسولية الموكول اليها فحص الكتب الطقسية عند السريان ، هو صاحب

---

(١) « L'Orient Chrétien » حيثما رأيت مؤخراً .

(٢) نقاشه ، وجه ٣٢١ .

السيادة النبيل ، المطران بولس عواد الماروني الجليل ، ورئيس اساقفة قبرس حالياً (١) .

وفي ١٤ ايلول (وشيخو يقول في ١٦) من عام ١٨٠٠ استأثرت بالبطريرك جروه رحمة الرحمان ، بعد ان كان طوال حياته المثل الاعلى للشجاعة والتضحية والقداسة .

٨ً جمعية الراهبات

على عهد البطريرك اندراوس ، نشأت في حلب جمعية راهبات اختطت لها فرائض راهبات دير حراش ، الذي شيّده الموارنة عام ١٦٤٢ في قرية درعون بلبنان . هذه الجمعية المحدثة كانت تقبل الفتيات ، القاصدات التكرس لخدمة الرب ، من اي ملة كاثوليكية كنّ . واول من تجندن فيها اربع ارمنيات وثلاث مارونيات ، كانت حياتهن مثال اقتداء . وحين زارهنّ احد اساقفة الهند ، قادماً من رومية مسّ قلبه الخشوع لما وجدهن عليه من حرارة التعبد وشدة الامساك والقنوت . ولم يتمالك حيالهن من ذرف الدموع خشوعاً وتأثيراً . وكم من فتيات هجرن العالم ، وهن خطيات ، وانضممن الى اولئك القانتات (٢) .

---

(١) غبرئيل ، مجلد ٣ ، قسم ٣ ، وجه ١٤١ .

(٢) « Docu. inédi. » مجلد اول ، وجه ٥١١ .

وتكاثر عديدهن حتى بلغ عام ١٦٧٠ ثلاثاً وعشرين طالبة . وقد احتفل البطريرك اندراوس باعطائهن الثوب الرهباني ، حسب الطقس السرياني، وعهد بادارتهن الى رئيس الكبوشيين في حلب . ونصح لهن باضطراد السير على رسوم راهبات دير مار يوحنا حراش المارونيات ، ليؤلفن معهن جمعية واحدة .

بيد ان مرشدهن الكبوشي قدّم لهن قانون القديسة كلاره ، ومرّسهن على تلاوة فرض العذراء، والقراءة الروحية ، والصلاة العقلية وغير ممارسات تقوية . لباسهن من الصوف الخشن يعلوه ثوب راهبات مار فرنسيس ، مما اوجب لهن اسم « الكبوشيات بالاولى» . واقامتهن كانت في بيوت اهلهن ، شريطة ان يكن جماعات من اثنتين او ثلاث. ومُنعت عليهن مخالطة غير النساء ، مع الخروج من اخدارهن الى غير الكنيسة، وايام الآحاد والاعياد فحسب . وفي خروجهن تصحبهن نساء عجائز، ذوات التقى المعروف. والجسم منهن متدثر بخمار ابيض جرياً على عادة البلاد. وهدفهن الرسمي هو تربية الفتيات، وتلقيتهن التعليم المسيحي، وممارسة الواجبات الدينية، وتعليمهن القراءة والكتابة . وكن في طريقة معيشتهن موضوع اعجاب للحلبيين حتى المسلمين . وجم غفير دان بالكثلكة مجذوباً اليها بامثلتهن العالية من الصلاح وحسن الاحدوثة (١) .

---

(١) نقاشه ، وجه ٦٦ .

٩ السريان المترهبون عند الموارنة

تأسست الرهبانية اللبنانية المارونيـة عام ١٦٩٥ . فانتظم في سلكها فتيان من نحل ومذاهب متنوعة . فنهم لاتـين ، واسرائليون وروم ، وارمن ، وسريان من البئتين الرومانية والارثوذكسية تجاذبتهم الامثال والغيرة من بعضهم بعضاً . فغاروا واعتنقوا حياة رهبانية واحدة مع الرهبان الموارنة (١) .

واول اجنبي قُبل في هذه الرهبانية ، هـو سرياني ، ميشال الحلبي . دخلها عام ١٧٠٠ ، اي بعد ستة اعوام من تأسيسها وجم وفير من الرهبان السريان المتمورنين اكتسبوا ثقة هذه الرهبنة ، فتولوا فيها المراكز وبعضهم شغلوا منها اخطر المناصب واعلاها . فالاب عمانوئيل عبدالاحد من السريان الكاثوليك ، تعـين رئيس دير مار بطرس ومرشلينوس في رومية (٢) . والاب مبارك اشتما رئيس دير ونائب مدبر . والاب توما العاقل نائب مدبر ، ثم رئيس عام على الرهبنة . والاب ارسانيوس عبدالاحد تقلّب في مراتب الرهبانية جمعاء من رئيس دير ، الى مدبر ، الى رئيس عام ، واخيراً صار مطراناً على ابرشية دمشق المارونية (٣) .

---

(١) الاب بليبل ، مجلد اول ، في عدة مواطن منه .

(٢) بليبل ، مجلد اول ، وجه ٣١٤ ، و ٣١٥ .

(٣) المحل الاخير عينه .

١٠ً دير السريان في رومية

ان دير السريان في رومية قد تملكه المطران اثناسيوس صفر . هذا المطران ولد في ماردين عام ١٦٣٨ (١) . وتخرج على المفريان اسحق بن جبير . وتكرس كاهناً عام ١٦٨٣ . ثم ارتسم اسقفاً على ماردين ، من يد البطريرك بطرس ، سنة ١٦٨٥ . وعقيب ذلك ظعن الى فرنسة لقضاء مهمة وكلها اليه القنصل بيكه لدى مليكة لويس ١٤ . ومن هناك انتحى رومية ، حيث احتضنه البابا اينوشنس ١٣ بعطف ابوي فائق ، واذن له بالسفر الى الاقطار الاميركية فيجمع منها الحسنات والعطايا لاشادة دير للسريان في ماردين . وبعد ان زوّده قداسته برسائل التوصية حافلة بالامتداح والتقريظ ، شدّ الرحال سنة ١٦٩١ (٢) . فمرّ على اسبانية والبرتوغال ، وقابل كلاً من ملكيهما : شارل الثاني ، وبطرس الثاني . واستأنف الرحيل الى اميركا . وعندما بلغ النجاح في جولته ، قفل راجعاً الى رومية سنه ١٦٩٦ ، فالتقى فيها البطريرك بطرس زائراً الاعتاب الرسولية . واكّد له غبطته ان الحصول على دير في سورية او ما بين النهرين ، دونه خرق القتاد تقيمه لهم اضطهادات اعدائهم على اشد ما

---

(١) دي طرازي ، وجه ٣٢ .

(٢) نفاشه ، وجه ٩٧ .

يعهد من العنف والجور. فقرر كلاهما، باقرار مجمع البروبغندة، ابتياع محل في رومية يمكنهما ايضاً من ايواء الناشئة الدارسة من ملتهما. وحينذاك وقع اختيارهما على دير قائم بين كنيسة مار بولس الحبيس، وكنيسة سيدة الثلوج (١) وجعلاه على اسم مار افرام. وكان محاطاً بحديقة وكرم عنب (٢). واقتبل فيه المطران صفر بعض فتيان من السريان. فرباهم وثقفهم في العلوم المقدسة على نفقته، واعادهم الى بلادهم يبشرون ابناء وطنهم وجلدتهم بالانجيل الكريم (٣).

غير انه لما مات المفريان اسحق بن جبير عام ١٧٢١، كان صفر قد طعن في العمر ونقصته القوة على الاهتمام بتجنيد المدعوين الى الكهنوت. فآثر السكنى وحيداً في ذلك الدير، ولا سمير له غير خادمه. وعبثاً حاول اصدقاؤه، وبعضهم من الكرادلة، واستفزوه ليجتلب الى الدير طلبة علم يأهلونه فيقتبسون العلم فيه من جامعة البروبغندة. اما هو فما كان منه غير التمهل والقعود عن اي عمل.

عندئذٍ كتب الكردينال، محامي السريان، الى القس نعمه قدسي في لبنان، ليبادر حالاً بالتوجه الى رومية، مع جانب من طلبة الكهنوت،

---

(١) دي طرازي، وجه ٣٤ وما بعد.

(٢) نقاشه، وجه ١٠٧.

(٣) دي طرازي، وجه ٣٦.

فيرتقي الى الدرجة الاسقفية ، ويتقلد زمام النيابة البطريركية على السريان. وكان المطران صفر يلح ايضاً من جهته على القس قدسي بالرحيل الى رومية ، ليلقي اليه بمقاليد الخلافة في منصبه. اما قدسي فصمدت له العراقيل القاهرة ومنعت عليه الامكان من تلبية الدعوة (١) . وارغمت ظروف الزمان والمكان تلك الوضعية على البقاء في حالتها اذ ذاك ، حتى ختم الموت على صفر عام ١٧٢٨ (٢) .

ولما حلت سنة ١٧٣٢ ، بعث القس نعمه حوبي من رومية رسالة ضافية في العربية الى النائب البطريركي السرياني ، نعمه قدسي ، وقد سُقّف على اورشليم معتنقاً اسم غريغوريوس ، وهو مقيم في لبنان بدير الزعم المعهود . تلك الرسالة الطويلة تميط اللثام عما آلت اليه حالة دير رومية من جراء قعود صفر عن العمل في سنيه الاخيرة . والى القارئ نص هذه الرسالة الاصلي كما وردت بالحرف ، قال حوبي :

« ... فالمعروض لشريف قدسكم بعد الف الوف تقبيل اقدامكم هو ان اول شهر ايار سنة تاريخه المجمع المقدس ذكر احوال الطائفة والدير حسبما ذكرها سابقاً قبل وفاة الاسقف سفر واخبركم اول وثاني والآن بهمة ابينا الخوري

---

(١) نقاشه ، وجه ١٦٧ . ودي طرازي كما مرّ مؤخراً .

(٢) دي طرازي ، وجه ٣٦ . والمطران نقاشه يعين تلك الوفاة عام ١٧٣١ . (نقاشه ، وجه ١٦٧) .

يوسف السمعاني (العلامة الكبير) الكلي الاكرام كتب لكم ثالثاً ورسم بان يكون ناس في الدير حتى يصير نمو روحاني في الطائفة بجهد كلي لئلا تتلاشى وتعطل فاتفق رأي الخوري يوسف المكرم مع الآباء المحترمين ذوي الثقة والمشورة الصالحة ابونا مخايل (اسكندر الاهدني) الرئيس العام على رهبنة اللبنانيين وابونا يواصاف (البسكنتاوي والمطران فيما بعد) رئيس الدير في رومية ونظروا بعين البصيرة الامواج التي تلاطم الدير من كل ناحية وطائفة وصرف الزمان بالباطل فاتفقوا بروح واحدة لنفع الطائفة ومن جملتهم الحقير خادم سيادتكم وابطلوا ما تقدم في الماضي :

اولاً عن الاولاد وسكنتهم في الدير هذا امر عسر وبدءه مصروف كثير وبطيء المنفعة للطائفة والسريان لهم في المدرسة موضع اثنين يكفيان ان جاء واحد او اثنين يقعدوا في المدرسة العامرة .

ثانياً ما انبث من القيل والقال وتقسم الاراء كلياً وشرعوا بامر جديد واصوب ما يكون لمداواة الحاضر وهو هذه الاربعة الشروط المذكورة المنبية لقدسكم بعد مرسوم المجمع المقدس المطاع مطلقاً وقبول وكالة ابونا الخوري يوسف السمعاني الكلي الاكرام على دير السريان لاسواه بنوع آخر .

ثالثاً الذين يأتون من الطائفة بقوانين مناسبة الحال لا احد يخصص ذاته بشيء .

رابعاً يتمسكوا برتبة السريانية بالتمام في الكنيسة التي سكنوا بها البطريرك اندراوس والبطريرك بطرس وباقي الاساقفة الكاثوليكيين مطابقة رأي الكنيسة البطرسية .

خامساً من يلزمه شيء من الرتبة والطقوس والذمة وما يخص نفع الطائفة يتعلم ويصير كاهن وحسب الامكان والزمان والمكان يستعد لنفع الطائفة وانا الحقير ما بتخلى عنهم بساعد حسب ضعفي .

« فعاد المأمول من سيادتكم ان تهتموا باتمام مرسوم المجمع المقدس ورأي

الآباء المهتمين على تكميل ذلك وترسلوا من ترونه مناسب والاصوب انهم يكونوا ذوي درجات مقدسة قابلين الشروط المدونة اعلاه وانهم يحلفوا او ينذروا قدام ابوتكم ويعملوا سنة تجربة . واما لاجل ضيق الوقت والعازة الماسة لازم ترسلوا اثنين حالاً وانا بنذر مثلهم حتى نصير ثلاثة نمسك الدير ونقيم صلاة ورتبة ونكمل سنة التجربة جملة وفيها بعد من يجيء يكون عمل التجربة ولبس القباعة (قبعة المبتدئين) ولازم تلبسوها للذين يأتون ويكونوا الديرين (١) مشتركين معاً بتدبير واحد كما هم بالاسم واحد اي ماري افرام وحسب سائر الاديرة ينتقلوا من دير الى دير لنفع الطائفة ونمو خيرها الروحي وعمار الديرين ولان قدسكم قريب للبلاد اكتبوا للمرسلين ام لمن تعرفوه مناسب للغرض المطلوب .

« والذين ترسلوهم ديرهم ومعاشهم حاضر ما يعوزهم غير الهدو والمحبة وخوف الله ونفع انفسهم والطائفة هذا ما قد رأيناه ارسال الاثنين حالاً حسب الشرح المتقدم وبعناية المجمع المقدس وهمة ابونا الخوري يوسف السمعاني الاجل يتم الامر على قدر الخاطر في الديرين حسبما اعتنى بدير القبط الذي كان انضبط من الغير ما ينيف مائتين سنة . فالمذكور بتعب كثير استخلصه ورده لاصحابه وجاب خمسة ثلاثة اولاد حطهم في المدرسة والاثنين في الدير وكان سابقاً الراهب مقاريوس وقس حنا الخياط بتعرفوهم من مصر وهذه الغيرة المذكورة استعملها لكل طوائف الشرق فالمراد لا يكون مؤاخذة بالتهجم على ابوتكم بهذا الكلام فان صار اهمال او اعتذار بهذا المقصود العتب مرفوع والدير بيروح من اليد والمجمع بيكره الطائفة لا يسمح الرب ان يكون ذلك .

« وبعد هذا ما بقي لنا حق لان رب الكرم انتظر الشجرة ثلاث سنين فما وجد فيها ثمرة امر بقطعها والمجمع المقدس له اربعين سنة يطلب ثمرة في هذا البيت ما وجد فلا عجب ان اعطاه لغير طائفة وقد سمعتم ان مطران الكلداني جاء وسكن فيه مع قسيس . بعده جاء قسيس روم مع خادمه له سنة ساكن . بعده جاء

---

(١) دير رومية ودير الرغم في الشبانية لبنان .

ماوي يوسف بطريرك الكلدانيين مسك ست اوض على هذا الحال ... واصل لعندكم ابونا ريس عام (اللبنانيين) هو يخبركم عن كل شيء جلياً ...

حرر في شهر تموز عام ١٧٣٢ الامضاء (١) » .

اجل ان تلك التدابير والوسائل والمساعي مُنيت بالاخفاق وما عرفت تحقيقاً . والغي ذلك الدير من كيانه الادبي فبيع عام ١٧٥٣ (٢).

١١ً متى نقار

في تضاعيف العامين ١٨٢٥ و ١٨٣٠ ، دان بالعقيدة الكاثوليكية السواد الاعظم من السريان اليعاقبة في دمشق ولبنان الجنوبي . وذلك بمساعي زعيمهم ابي حمد . ولم يلبث من اليعاقبة سوى ١٥ عائلة، واضطر المطران يعقوب حلياني ان يتبعهم . ولما بلغت اخبارهم ابن السيار بطريرك اليعاقبة ، شقّ عليه السماع ، ولا سيما لان المطران يعقوب كان من اخص تلاميذه . ولذلك القى بامر الى المطران متي نقّار واوفده الى دمشق ليسترد اليه شعبها ومطرانها . واوصاه قائلاً : « اذا رفض يعقوب الامتثال جرّعه مرارة السجن » . وخاف كاثوليك حلب ان يضطهدهم البطريرك ابن السيار ، طابعاً في ذلك على غرار سلفائه . فتملقوه بشتى

(١) مخطوطات بكركي ، مجلد ٢ ، صفحة ١١٦، و ١١٧ .

(٢) دي طرازي ، وجه ٣٦ .

الملاطفات. وكتبوا الى الاسقف يعقوب ينبئونه عن سفر عدوه نقار. فهرب يعقوب الى لبنان ولاذ بحماية الامير الماروني بشير شهاب الكبير.

واذ بلغ نقار دمشق، وعلم ان يعقوب عاذ بالادبار، قصد الى الكنيسة فالفاها موصدة، فخلع بابها ودخلها عنوة. فشكاه الكاثوليك الى الوالي. فاستدعاه هذا وناقشه الحساب قال: «باي حق كسرت باب الكنيسة وانت لست بمطران هذه المدينة؟». واجتزاء عن اي جواب، عرض نقار للوالي امر بطريركه. وما قرأه الوالي حتى بادر بالقاء القبض على ٢٥ شخصاً من الكاثوليك وطرحهم في السجون ٢٥ يوماً. وكتب حالاً الى الامير بشير يطالبه بتسليم المطران يعقوب. اما الامير الخطير فردّ جواباً مدلساً كله مرونة ودهاء، ملفعاً باللطف والتمداح، ولم يتعرض فيه قط لذكر الطلب المعهود. فالحّ نقار بالاوفر وقال: «يجب انجاز امر رئيسي البطريرك في اي حال. والا فارفع شكواي الى الباب العالي».

فكرر والي دمشق كتابته الى الامير المذكور. فاجاب الامير: «ان المطران يعقوب قد دخل تحت حمايتي، ولذلك لن ارضى بتسليمه ولو هاجمني الجبل من رأسه الى اسفله». عندئذ انثنى ذلك الوالي الى المطران نقار يقول: «اعلم يا مطران انني لا اقدر على امير لبنان الغشمشم. وانما اشير عليك ان تغيب زماناً، وتنتظر حتى يأمن خصمك، فيرجع. فاقبض عليه اذ ذاك. ولعله عند ايابك يكون في السجن».

فاذعن نقار لذلك الرأي ، وحجّ من هنـاك الى الارض المقدسة . ثم عاد الى دمشق وعلم ان المطـران يعقوب ما زال في لبنان . فاطلع بطريركه على واقع الحال . فاجابه غبطته موعزاً ان يذهب الى النبك ، منتظراً هناك امراً آخر ، ويسوس في الوقت عينه المؤمنـين ويرعاهم في تلك الانحاء (١) . وكانت النهاية اخيراً من امر نقار ، انه دخـل حضن الكثلكة . وعام ١٨٣٢ اعلن ايمانه الكاثوليكي باقرار رسمي (٢) .

الخاتمة

لعمري ان الموارنة قد اتوا بحجرهم ، وان وضيعـا ، في اعادة بنـاء الكنائس الشرقية ، كما سبق لنـا قول عن ذلك في غير موطن (٣) . وصفحات هذا الكتاب قمينة باثبات ذلك . فضلاً عن ان الذين غمرتهم منافع ذلك ، هم انفسهم يشهدون به ويؤيدونه . ففي الجيل ١٨ عُقـد في حلب اجتماع انضوى اليـه رؤساء الطوائف الكاثوليكية الحلبية على اختلافهم : من ارمن ولاتين وموارنة وملكيين وسريان . هؤلاء الرؤساء كانوا يقولون ان الكنيسة المارونيـة كانت ملجأ تفزع اليه طوائف

(١) نقاشه ، وجه ٤٨٣ وما بعد .

(٢) المحل عينه ، وجه ٥٢٦ .

(٣) طالع كتاب « Le cèdre de Liban... » لمؤلف هذا الكتاب ، وجه ١٨٢ .

الشرق الكاثوليكية جمعاء (١).

وقد اقر ذلك، ونادى به علانية، اغناطيوس افرام رحماني بطريرك السريان الكاثوليك، في خطاب لفظه عام ١٨٩٩ (٢).

وفي العام ١٨٩٥ كتب الكردينال ليدكوفوسكي، رئيس مجمع نشر

---

(١) انظر كتاب «لاجل الحقيقة» للخوري نعمة الله عواد، وجه ١٦.

(٢) تجد معظم فقرات هذا الخطاب في عدد ٢٧٩ الصادر في ٣ حزيران عام ١٨٩٩ من جريدة «الروضة» القديمة المحجوبة. وقد كان يصدرها في بيروت المرحوم خليل طنوس باخوس. وقد تدبرنا نحن ذلك العدد في مجموعة الجريدة واخذنا عنه نصوص تلك الفقرات كما هي اكمالاً للتاريخ. قال البطريرك رحماني: «... وقد تذكرت عند دخولي ارض لبنان الارز الشهير الممثل الطائفة المارونية العظيمة بالثبات والنمو. هذه الطائفة الجليلة هي شقيقة طائفتنا وقد كان يجمعهما اصل واحد وكنيسة واحدة هي الكنيسة الانطاكية التي اسسها بطرس الرسول قبل ذهابه الى رومية العظمى. غير ان هذه الكنيسة التي ظهر منها ملافنة عظام، وعلماء اعلام كرام، اخص منهم بالذكر القديس افرام السرياني كنار الروح القدس قد فرقت شعبها دواعي الارتقات. فأتت الطائفة المارونية العظيمة ونزلت على لبنان عاملة بتلك الغيرة الشهيرة على حفظ ايمانها، فارجعت الكثيرين، ولا سيما من الامة السريانية ... ولولا الارتقات لكنا لم نزل طائفة واحدة. فأسفاً على ما كان ...»

قالت «الروضة»، ثم اخذ غبطته يخاطب الجموع الغفيرة الحافلة باعيان القوم من اكليروس وعوام مستنداً الى كلام القديس اغناطيوس النوراني قائلاً: «اذكري ايتها الطائفة المارونية اختك الطائفة السريانية التي كنت واياها طائفة واحدة، من اصل واحد. عاونيها ومدي لها يد المساعدة. هذه هي شقيقتك الموجودة في سورية وما بين النهرين وفي اشور ... صلي من اجلها لان الله اعطاك ما لم يعطه لسواك ...» (طالع ايضاً الخوري غبرئيل، مجلد اول، وجه ٦٢٢ وما بعد). (المترجم)

الايمان ، الى البطريرك الماروني ، يوحنا الحاج قال : « ان الطائفة المارونية الكريمة ، باتحادها الدائم الصادق مع كرسي بطرس المعصوم من الغلط ، قد حافظت وناضلت في الشرق عن الايمان الكاثوليكي المقدس . وزادت في الجيل المنسلخ انها عملت على ارجاع الطوائف المنفصلة من ذوي الطقوس الاخرى ، ولا سيما السريان والروم الملكيين ... (١) » .

اجل ان الموارنة جعلوا من لبنان مفزعاً اميناً عاذت به ملل الشرق الكاثوليكية من محنها وبلاياها . فتحوا دورهم وصدورهم لكل من استجارهم واستغاث بهم ، وعدّوه من اهلهم وصحبهم . ولله درّ صاحب القداسة البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً الذي قال : « ان الشعوب هي جميعها ، ولا استثناء ، من ابناء اب واحد عام ، جالس وابناءه المؤمنين الى الخوان العائلي ينتظر ويتمنى من صميم قلبه رجوع الغائبين ... أليس جميعهم نعاجاً وحملاناً ، لحظيرة واحدة يدعوهم اليها دوماً ، ومن دون ملل وعياء ، صوت الله الحنون الذي هو الراعي الوحيد الفريد ؟ (٢) » .

وخير ختام ننهي به جهادنا ان نطلب الى الله ، مع وكيله ابي المؤمنين ، بيوس الحادي عشر ، باشد الحرارة والايمان ، « نعمته اللذيذة العزيزة بان نشاهد في الرجوع الى مراعي الحياة الابدية » ، جميع اخوتنا الغائبين (٣) .

---

(١) غبرئيل ، مجلد ٢ ، قسم اول ، وجه ٨٣١ .

(٢) من خطاب قداسته في مجمع الكرادلة ، في ٢٣ ايار عام ١٩٢٣ .

(٣) من منشور قداسته الرسولي ، في ٢٦ ك٢ عام ١٩٢٣ .

— انتهى —

مواد الكتاب

صفحة

الفصل الرابع : في السريان

﴿ بيان الخطأ والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
		يحياتك: صفحة ٢ من اهداء الكتاب	بحياتك
٥	١٥	Collection	Collectio
٧	١٧	وستلنوبر	وستلهوبر
٨	٦	١٦٣٢	١٦٣٤
٨	١٧	١٠٩١	١٩٠١
٨	١٧	٩٤٨	٩٧٤
٩	٦	الرهبانية	الرهبانية اليسوعية
٢٤	٦	بمينه	يمينه
٢٧	١٣	الصقوها زوراً	الصقوها به زوراً
٢١	١٧	عدد a ،	عدد a ، صفحة ٢١٤ وما يليها
٣٢	٦	خجادور	خهاشدور
٣٢	١٥	حدت	حدث
٤٩	١٦	الحبر لم	الحبر العاشر لم
٥١	١٥	وارمن	وارض
٥١	١٨	فيه من	فيه تصرف من
٦٠	٩	يجبرون	يجهرون
٨	١٣	فلث	فلبث
٨٠	٢٣	فصر	فقصد قصر
[illegible]	١٦	انتته	انتبه
[illegible]	٧	اصل	آصل
[illegible]	٣	عليه تقاضوا	عليه حتى تقاضوا
[illegible]	٩	آخرن	آخرون
١٠	٨	الملكي	الكلي
١٩١	١٢	براحة	براحه

